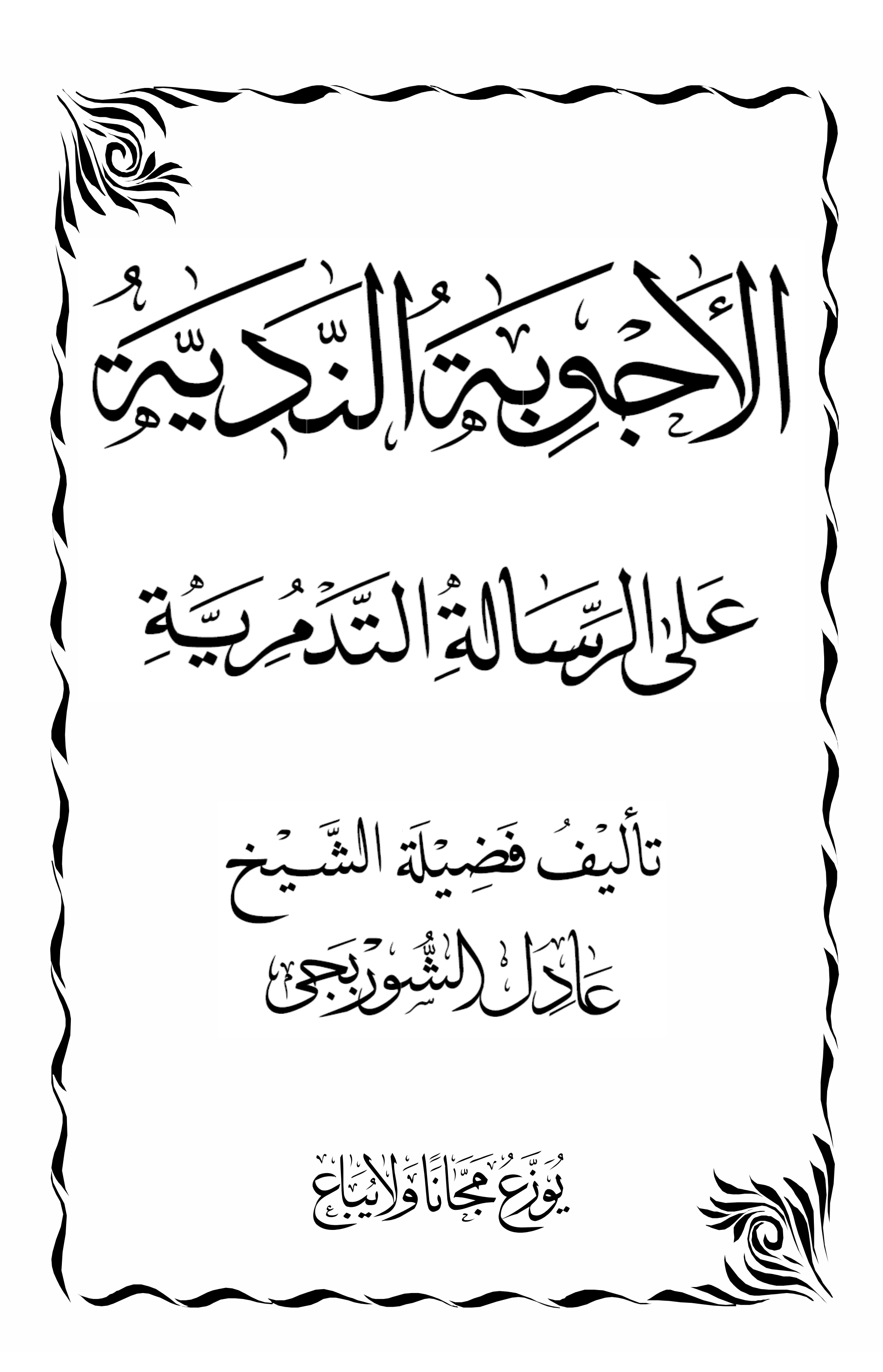


الأجوبة النديّة

على الرسالة التدمرية

تأليف فضيلة الشيخ
عادل الشوربجي

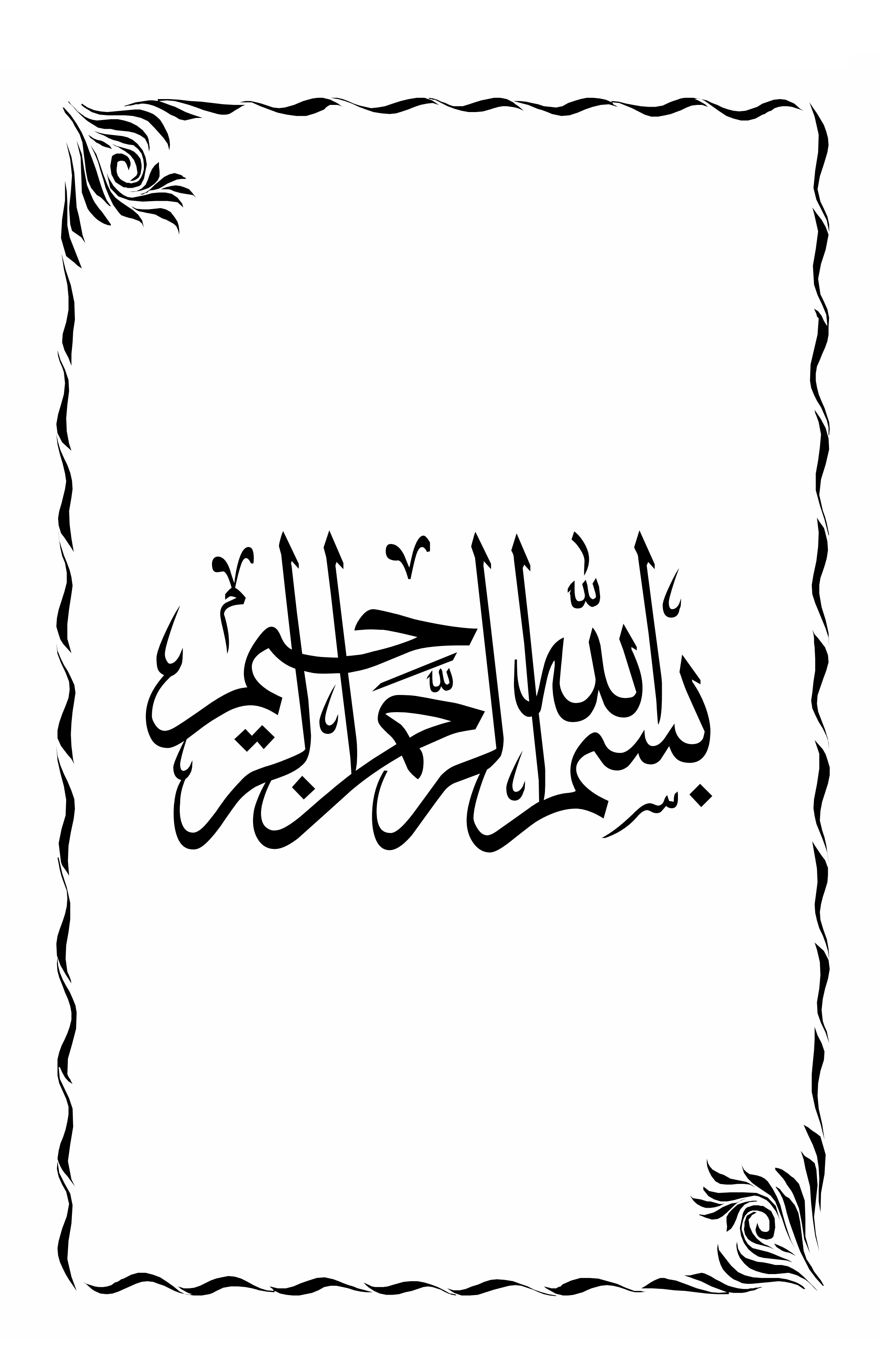
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

رقم الإيداع: ١٠٥٢٧ / ٢٠١٨

الترقيم الدولي: ٩- ٢٧ - ٦٦١٨- ٩٧٧- ٩٧٨

elshorbagyadel@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمةُ الشَّارِح

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ(١).

---

(١) أَخْرَجَهَا: مُسْلِمٌ (٨٦٧)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢١٢٠)، وَالنَّسَائِيُّ (١٥٧٨)، وَغَيْرُهُمْ.

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلىٰ الهدىٰ، ويصبرون منهم علىٰ الأذىٰ، يحيون بكتاب الله الموتىٰ، ويبصرون بنور الله أهل العمىٰ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم علىٰ الناس، وأقبح أثر الناس عليهم. ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون علىٰ مفارقة الكتاب، يقولون علىٰ الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين(١).

قال عنهم نبينا ﷺ: «**دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**»(٢).

فمن رحمة الله بهذه الأمة ما مَنَّ عليها من علمائها الربانيين الذين هم ورثة الأنبياء، يحملون العلم في صدورهم ويعملون به، قال ﷺ: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرِثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ، أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**(٣)»(٤).

---

(١) الرد علىٰ الجهمية والزنادقة [١/ ٥٥].

(٢) أخرجه البخاري [٧٠٨٤]، ومسلم [١٨٤٧] من حديث حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ.

(٣) أخرجه ابن ماجه [٢٢٣] وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٦٣/ ٦٨).

(٤) مقدمة كتاب فوائد شرح كتاب التوحيد لابن باز.

والعلماء هم أخشىٰ الناس لله، وهم أعبد الناس لله تعالىٰ؛ قال تعالىٰ مادحـًا إياهم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، وهم الأعلام علىٰ طريق الهدىٰ، والنجوم التي يهتدي[١] بهم الناس في معرفة أحكام دين الله وشرعه.

قال أبو الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: «مَثَلُ الْعُلَمَاءِ فِي النَّاسِ كَمَثَلِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ يُهْتَدَىٰ بِهَا»[٢].

مَا الْفَخْرُ إِلاَ لأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ ... عَلَىٰ الْهُدَىٰ لِمَنِ اسْتَهْدَىٰ أَدِلاَّءُ
وَقَدْرُ كُلِّ امْرِئٍ مَا كَانَ يُحْسِنُهُ ... وَالْجَاهِلُونَ لأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ
فَفُزْ بِعِلْمٍ تَعِشْ حَيًّا بِهِ أَبَدًا ... النَّاسُ مَوْتَىٰ وَأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ[٣]

فلا زال أمر الأمة بخير وهدىٰ مستقيم لما كانت متمسكة بعقيدتها الصحيحة التي أتتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن صحابته رضوان الله عليهم، وسار عليها التابعون، حتىٰ فشت فيهم الأهواء والبدع، ففشت فيهم عقائد فاسدة، ونحل باطلة، وضلالات جائرة، نشرها أهل الإلحاد والفتن، ووجدوا من يتلقاها عنهم بالرضىٰ والتسليم، إما جهلًا وإما عنادًا واستكبارًا، فكانت معولًا لهدم عقيدة المسلمين، ففرقتهم وشتت جمعهم، ومن يوم

---

(١) هداية الإرشاد والبيان.
(٢) أخلاق العلماء [١/ ٢٩].
(٣) جامع بيان العلم وفضله [٢٣٤] من قول علي بن أبي طالب.

ظهور أهل البدع والأهواء وعقائدهم الباطلة الزائغة تعمل في هدم الأمة وتفتيت بنيانها حجرًا حجرًا إلىٰ وقتنا هذا، واعلم أنه يموت الشخوص، وتبقىٰ الأفكار الفاسدة تنتقل من جيل إلىٰ جيل وتلك سنة الله في الكون ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢- ٣].

* **قال شيخ الإسلام ابن تيمية:** «واعلم أن عامة البدع المتعلقة بالعلوم والعبادات إنما وقع في الأمة في أواخر خلافة الخلفاء الراشدين كما أخبر به النبي ﷺ حيث قال: «**من يعش منكم بعدي فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**» ... »[1].

إلىٰ أن قال: «فلما ذهبت دولة الخلفاء الراشدين، وصار ملكًا ظهر النقص في الأمراء؛ فلابد أن يظهر أيضًا في أهل العلم والدين:

فحدث في آخر خلافة علي رضي الله عنه بدعتا الخوارج والرافضة إذ هي متعلقة بالإمامة والخلافة وتوابع ذلك من الأعمال والأحكام الشرعية.

وكان ملك معاوية ملكًا ورحمة، فلما ذهب وجاءت إمارة يزيد وجرت فيها فتنة قتل الحسين بالعراق، وفتنة أهل الحرة بالمدينة، وحصروا مكة لما قام عبد الله بن الزبير، ثم مات يزيد وتفرقت الأمة: ابن الزبير بالحجاز، وبنو الحكم بالشام، ووثب المختار بن أبي عبيد وغيره بالعراق وذلك في أواخر

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٥٤).

عصر الصحابة، وقد بقي فيهم مثل عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم حدثت بدعة القدرية والمرجئة فردها بقايا الصحابة ... مع ما كانوا يردونه هم وغيرهم من بدعة الخوارج والروافض.

وعامة ما كانت القدرية إذ ذاك يتكلمون فيه: أعمال العباد، كما يتكلم فيها المرجئة، فصار كلامهم في الطاعة والمعصية، والمؤمن والفاسق، ونحو ذلك من مسائل الأسماء والأحكام والوعد والوعيد.

ولم يتكلموا بعد في ربهم، ولا في صفاته إلا في أواخر عصر صغار التابعين، من حين أواخر الدولة الأموية حين شرع القرن الثالث - تابعو التابعين - ينقرض أكثرهم؛ فإن الاعتبار بالقرون الثلاثة بجمهور أهل القرن - وهم وسطه -.

وجمهور الصحابة انقرضوا بانقراض خلافة الخلفاء الأربعة، حتىٰ إنه لم يكن بقي من أهل بدر إلا نفر قليل.

وجمهور التابعين بإحسان انقرضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك.

وجمهور تابعي التابعين في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية.

وصار في ولاة الأمور كثير من الأعاجم، وخرج كثير من الأمور عن ولاية العرب، وعربت بعض الكتب العجمية من كتب الفرس، والهند،

والروم، وظهر ما قاله النبي ﷺ: «**ثم يفشو الكذب حتىٰ يشهد الرجل ولا يُستشهد، ويحلف ولا يُستحلف**».

حدث ثلاثة أشياء: الرأي، والكلام، والتصوف، وحدث التجهم – وهو نفي الصفات – وبإزائه التمثيل».(١)

إلىٰ أن قال: «فإن معرفة أصول الأشياء ومبادئها ومعرفة الدين وأصله، وأصل ما تولد فيه من أعظم العلوم نفعـًا، إذ المرء ما لم يحط علمـًا بحقائق الأشياء التي يحتاج إليها يبقىٰ في قلبه حسكة» اهـ.(٢)

وقال ابن حجر رحمه الله **في شرح البخاري**: «فمما حدث: تدوين الحديث، ثم تفسير القرآن، ثم تدوين المسائل الفقهية المولدة من الرأي المحض، ثم تدوين ما يتعلق بأعمال القلوب.

فأما الأول؛ فأنكره عمر وأبو موسىٰ وطائفة، ورخص فيه الأكثرون.

وأما الثاني؛ فأنكره جماعة من التابعين كالشعبي.

وأما الثالث؛ فأنكره الإمام أحمد وطائفة يسيرة، وكذا اشتد إنكار أحمد للذي بعده.

ومما حدث أيضـًا تدوين القول في أصول الديانات فتصدىٰ لها المثبتة والنفاة، فبالغ الأول حتىٰ شبه، وبالغ الثاني حتىٰ عطل، واشتد إنكار السلف

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٥٦- ٣٥٨).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٣٦٨).

لذلك كأبي حنيفة، وأبي يوسف، والشافعي. وكلامهم في ذم أهل الكلام مشهور. وسببه أنهم تكلموا فيما سكت عنه النبي ﷺ وأصحابه.

وثبت عن مالك أنه لم يكن في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر شيء من الأهواء يعني بدع الخوارج، والروافض، والقدرية.

وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أمة التابعين وأتباعهم.

ولم يقتنعوا بذلك حتىٰ مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلًا يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ولو مستكرهـًا.

ثم لم يكتفوا بذلك حتىٰ زعموا أن الذي تربوه هو أشرف العلوم وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدث الخلف، وإن لم يكن له منه بد فليكتف منه بقدر الحاجة، ويجعل الأول المقصود بالأصالة» (١).

ولما كان من حكمة الله البالغة أن يجعل للحق معارضين يتبين بمعارضتهم صواب الحق وظهوره علىٰ الباطل، فإن خالص الذهب لا يظهر إلا بعرضه علىٰ النار، قيض الله جل وعلا بقدرته التامة ولطفه الواسع وقهره الغالب من يدحض حجج هؤلاء المعارضين ويبين زيف شبههم

فلا يزالون في كل عصر وجيل يناضلون ويذبون عنه بألسنتهم وأقلامهم

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٥٣).

وهم الطائفة المنصورة الذين قال عنهم النبي ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَىٰ الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**».(١)

فكان من جملة من قيضهم الله تعالىٰ لنصرة دينه والذب عنه باللسان والبنان والسنان شيخ الإسلام: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية.

ولقد كان له رحمه الله مصنفات كثيرة في مجادلة أهل البدع ومجالدة أفكارهم ما بين مطولة ومتوسطة وقليلة، وحصل بذلك نفع كبير ومن جملة رسائل الشيخ رحمه الله رسالة: «تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع» المعروفة باسم: «التدمرية».

وكانت هذه الرسالة من أحسن وأجمع ما كتبه في موضوعها علىٰ اختصارها.

ولا تخفىٰ أهمية هذه الرسالة لما فيها من تحرير للقواعد، وتأصيل في الرد علىٰ أهل البدع، وذلك في أصلين عظيمين:

الأول: في الاعتقاد. إثبات ما أثبته الله لنفسه ونفي ما نفاه عن نفسه.

والثاني: في العمل بالاجتهاد في فعل المأمور وترك المحظور مع

---

(١) رواه مسلم (١٩٢٠).

الاستغفار بعد ذلك قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران:١٧].

فالاعتقاد: انحرف فيه جماعة من أهل الكلام فعارضوا الكتاب والسنة بأفكار فلسفية، وآراء كلامية.

والعمل: انحرف فيه مجموعة من العُبَّاد والزُّهاد الذين عملوا بغير هدىٰ من الكتاب والسنة.

ونظرًا لأهمية الرسالة التدمرية، فإني أستعين الله ﷻ في بيان ما فيها من أصول وردود علىٰ أهل البدع، فرأيت أن أنشر هذه الرسالة المباركة بطريقة سهلة وميسورة، تقرب معانيها وتوضح مقاصدها، مع زيادة ما تدعو الحاجة إليه، وحذف ما يمكن الاستغناء عنه علىٰ وجه لا يخل بالمقصود، في صورة سؤال وجواب تسهيلًا لطلاب العلم وسميتها: «**الأجوبة الندية علىٰ الرسالة التدمرية**».

وأسأل الله تعالىٰ أن يجعل عملي خالصًا لوجهه، موافقًا لمرضاته، نافعًا لعباده، إنه جواد كريم.

❊❊❊

بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بالمؤلف رحمه الله

س١ – ما اسم مؤلف الرسالة وما لقبه؟

الجواب: أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ ابْنِ تَيْمِيَةَ الْحَرَّانِيُّ الحنبلي الدمشقي، ولقبه شيخ الإسلام.

وإذا أُطلق لقب شيخ الإسلام فلا يصرف إلا له رَحِمَهُ اللَّهُ.

س٢ –ما كنيته ومولده ونبذة عن حياته؟

كنيته: أَبُو الْعَبَّاسِ شيخ الإسلام في زمانه وأبرز علمائه، فقيه أصولي ومفتي الدين الحصيف وصاحب الآثار الكبرى في علوم الدين فَرِيدُ الْعَصْرِ عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وذَكَاءً وَحِفْظًا وَكَرَمًا وَزُهْدًا وَفَرْطَ شَجَاعَةٍ وَكَثْرَةَ تَآلِيفٍ وَاللهُ يُصْلِحُهُ وَيُسَدِّدُهُ، فَلَسْنَا بِحَمْدِ اللهِ مِمَّنْ نَغْلُو فِيهِ وَلا نَجْفُو عَنْهُ، مَا رُئِيَ كَامِلا مِثْلُ أَئِمَّةِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، فَمَا رَأَيْتُهُ إِلا بِبَطْنِ كِتَابٍ.

وُلِدَ فِي عَاشِرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَىٰ وَسِتِّينَ وَسَتِّ مِائَةٍ بِحَرَّانَ وَتَحَوَّلُوا إِلَىٰ دِمَشْقَ سَنَةَ سَبْعٍ وَسِتِّينَ، فَسَمِعَ مِنَ ابْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ، وَابْنِ أَبِي الْيُسْرِ، وَخَلْقٍ كَثِيرٍ، وَعَنِيَ بِالرِّوَايَةِ، وَسَمِعَ الْكُتُبَ وَالْمُسْنَدَ وَالْمُعْجَمَ الْكَبِيرَ.

وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَسَبْعِ مِائَةٍ مَسْجُونًا بِقَاعَةٍ مِنْ قَلْعَةِ دِمَشْقَ، وَشَيَّعَهُ أُمَمٌ لا يُحْصَوْنَ، وَلَمْ يَخْلُفْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ فِي الْعِلْمِ، وَلا مَنْ يُقَارِبُهُ.(١)

كان ابن تيمية صالحًا مصلحًا، داعيًا إلىٰ الإصلاح والعودة إلىٰ القرآن والسنة، وكان ذا باع طويل في اللغة العربية وعلومها، وفي مختلف العلوم. تربو مصنفاته علىٰ ثلاثمائة مجلد في علوم الإسلام المختلفة من أهمها: «اقتضاء الصراط المستقيم في الرد علىٰ أهل الجحيم»؛ «السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية»؛ «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول»؛ «الواسطة بين الخلق والحق»؛ «العقيدة التدمرية»؛ «الكلام علىٰ حقيقة الإسلام والإيمان»؛ «العقيدة الواسطية»؛ «بيان الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن»؛ «تفسير سورة البقرة»؛ «درء تعارض العقل والنقل»؛ «منهاج السنة النبوية»؛ «مجموعة الفتاوىٰ».

۞

(١) معجم الشيوخ الكبير للذهبي (١/ ٥٦).

فصل

مقدمة المؤلف رحمه الله وما تضمنته من فوائد

س٣- ما اسم الرسالة التي تم تلخيصها في صورة سؤال وجواب وعن أي شيء تتحدث؟

الجواب: الرسالة التدمرية وتتحدث عن توحيد صفات الله تعالىٰ وتوحيد الشرع والقدر وحقيقة الجمع بين الشرع والقدر.

س٤-ما سبب تسميتها بهذا الاسم وما سبب تأليفها؟

الجواب: نسبة إلىٰ طلبة العلم الذين سألوا شيخ الإسلام أن يكتب ما سمعوه منه في بعض المجالس من الكلام في التوحيد والصفات وفي الشرع والقدر وكانوا من أهل تدمُر وهي مدينة في بلاد الشام (سورية) وفتحها خالد ابن الوليد رضي الله عنه في سنة (١٢هـ).

س٥-لغة العرب التي نزل بها القرآن وتكلم بها خير الأنام كلام ينقسم إلىٰ قسمين اذكرهما؟

الجواب: نقول اعلم - رحمني الله وإياكَ - أَنَّ دِينَ اللهِ ﷻ أَصْلُهُ الَّذِي لَا اخْتِلَافَ فِيهِ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، بِفَهْمِ السَّلَفِ؛ وَنُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا تَخْرُجُ عَنْ شَيْئَيْنِ اثْنَيْنِ: خَبَرٌ يُصَدَّقُ، وَأَمْرٌ يُنَفَّذُ؛ أَيْ خَبَرٌ وَإِنْشَاءٌ.

وَالْخَبَرُ وَالْإِنْشَاءُ هُمَا أَصْلُ كَلَامِ الْعَرَبِ، وَلَا يَخْرُجُ كَلَامُهُمْ عَنْ هَذَيْنِ النَّوْعَيْنِ.

س٦-عرف الخبر والإنشاء مع ذكر أمثلة؟

الجواب: الْخَبَرُ: هُوَ مَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ لِذَاتِهِ، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الْمُخْبِرِ.

بِمَعْنَىٰ: أَنَّنِي أَنْظُرُ إِلَىٰ الكلامِ الذي سمعته من هذا الشخص الذي قال هذا الكلام، فإن كان من المحتمل أن نقول عنه صدق، أو نقول عنه كذب؛ فَهَذَا نُسَمِّيهِ خَبَرًا، بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا سَمِعْتَ كَلَامًا مِنْ إِنْسَانٍ يَقُولُ لَكَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَجْرِي. فَهُنَا تَنْظُرُ إِلَىٰ هَذَا الْكَلَامِ وَتُفَكِّرُ فِيهِ إِنْ كَانَ يُصَدَّقُ، أَوْ يُكَذَّبُ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٠]. فَهَذَا فِي الْقُرْآنِ يَقُصُّهُ عَلَيْنَا رَبُّنَا ﷻ.

فَهَذَا الْكَلَامُ الَّذِي أَخْبَرَنَا بِهِ اللهُ ﷻ مِنْ نَاحِيَةٍ هُوَ كَلَامٌ -بِغَضِّ النَّظَرِ عَنِ الْمُخْبِرِ- يَقْبَلُ التَّصْدِيقَ وَالتَّكْذِيبَ، وَكَذَلِكَ كَلَامُ غَيْرِهِ.

وَالْإِنْشَاءُ هُوَ: مَا لَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ، وَلَا الْكَذِبَ لِذَاتِهِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِذَا قَابَلْتَ إِنْسَانًا، فَقُلْتَ لَهُ: أَنَا أَتَأَلَّمُ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، فَقَالَ لَكَ: أَنَا مُصَدِّقُكَ. فَهَذَا خَبَرٌ. فَإِذَا قُلْتَ لَهُ: أَعْطِنِي طَعَامًا لِآكُلَ؟ فَقَالَ لَكَ: أَنَا مُصَدِّقُكَ. فَهَذَا لَا يَصِحُّ؛ لِأَنَّ هَذَا طَلَب، وَالطَّلَبُ يَتَطَلَّبُ التَّنْفِيذَ، لَا التَّصْدِيقَ.

س٧ - اذكر أنواع الخبر والإنشاء؟

قَدْ قَسَّمَ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ الْأَخْبَارَ بِاعْتِبَارِ التَّصْدِيقِ وَالتَّكْذِيبِ إِلَىٰ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

١ – مَا لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا الصِّدْقَ وَيَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْكَذِبُ.

مِثَالُ ذَلِكَ: الْأَخْبَارُ الْوَارِدَةُ عَنِ اللهِ ﷻ وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَعْتَرِيَهَا الْكَذِبُ؛ فَهَذَا تَصْدِيقٌ جَازِمٌ لَا يَحْتَمِلُ كَذِبًا قَطُّ.

وَلَكِنَّ الْعُلَمَاءَ وَضَعُوا شَرْطًا فِي الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْخَبَرُ صَحِيحًا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ.

٢ –خَبَرٌ لَا يَحْتَمِلُ إِلَّا الْكَذِبَ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ الصِّدْقُ.

مِثَالُ ذَلِكَ: الْمَمْنُوعُ شَرْعًا، أَوْ عَقْلًا، مُمْتَنِعٌ شَرْعًا؛ أَيْ: إِذَا أَتَاكَ رَجُلٌ وَقَالَ لَكَ: أَمَا سَمِعْتَ آخِرَ الْأَخْبَارِ؟ فَقُلْتَ لَهُ: أَسْمِعْنِي! فَقَالَ لَكَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ادَّعَىٰ النُّبُوَّةَ، وَأَتَىٰ بِأَدِلَّةٍ وَبَرَاهِينَ قَاطِعَةٍ عَلَىٰ صِحَّةِ ادِّعَائِهِ. فَهَذَا الْخَبَرُ مُمْتَنِعٌ شَرْعًا؛ لِأَنَّ الْأَدِلَّةَ الشَّرْعِيَّةَ دَلَّتْ عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آخِرُ النَّبِيِّينَ(١)، فَهَذَا الْخَبَرُ كَذِبٌ، يَسْتَحِيلُ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ الصِّدْقُ.

مِثَالٌ آخَرُ: كَأَنْ يَأْتِيَ رَجُلٌ وَيَقُولُ لَكَ: لَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابًا يُعْلِمُنَا فِيهِ كَاتِبُهُ مَوْعِدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَأَتَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ بِحُجَجٍ وَبَرَاهِينَ تُذْهِبُ الْعُقُولَ. فَهَذَا الْكِتَابُ كَذِبٌ؛ لِأَنَّهُ مُمْتَنِعٌ شَرْعًا.

الْمُمْتَنِعُ عَقْلًا: مَا يَتَّفِقُ عَلَيْهِ الْعُقَلَاءُ أَنَّهُ مُسْتَحِيلٌ؛ كَأَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ قَائِمًا، وَقَاعِدًا، وَنَائِمًا فِي زَمَنٍ وَاحِدٍ، فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ.

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

٣- مَا يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ أَوِ الْكَذِبَ، وَتَرْجِيحُ أَحَدِهِمَا عَلَىٰ الْآخَرِ طِبْقًا لِحَالَةِ الْمُخْبِرِ، مَنْ هُوَ؟ فُلَانُ بن فُلَانٍ وَهُوَ كَذَّابٌ؛ فَلَا تُصَدِّقْهُ، أَمَّا إِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَكَ هُوَ: يَحْيَىٰ بْنِ مَعِينٍ؛ فَهَذَا يُصَدَّقُ – وَهَذَا الْأَمْرُ وَظِيفَةُ عُلَمَاءِ الْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ.

وَيَنْقَسِمُ الْإِنْشَاءُ إِلَىٰ الْأَقْسَامِ الْآتِيَةِ:

١) الْأَمْرِ.
٢) النَّهْيِ.
٣) الِاسْتِفْهَامِ.
٤) النِّدَاءِ.
٥) الدُّعَاءِ.
٦) التَّرَجِّي وغيرها.

س٨: ما الواجب الشرعي تجاه الأخبار الواردة عن الله تعالىٰ وعن رسوله ﷺ؟

الجواب: التَّصْدِيقُ الْجَازِمُ الَّذِي لَا يَعْتَرِيهِ شَكٌّ، وَلَا رَيْبٌ.

ضَابِطُ التَّصْدِيقِ الْجَازِمِ: أَنْ يُؤَثِّرَ التَّصْدِيقُ عَلَىٰ سُلُوكِ الْعَبْدِ، وَكُلَّمَا زَادَ التَّأْثِيرُ كُلَّمَا عَلَا أَثَرُ التَّصْدِيقِ. فَإِذَا أَخْبَرَكَ إِنْسَانٌ بِخَبَرٍ، وَقُلْتَ لَهُ: أَنَا أُصَدِّقُكَ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ هَذَا الْخَبَرُ فِي سُلُوكِكَ قِيدَ أُنْمُلَةٍ؛ فَهَذَا مُجَرَّدُ كَذِبٍ، فَلِكَيْ يَكُونَ التَّصْدِيقُ جَازِمًا، لَا بُدَّ وَأَنْ يُؤَثِّرَ فِي السُّلُوكِ، فَمِقْدَارُ تَأْثِيرِهِ عَلَىٰ السُّلُوكِ هُوَ الَّذِي يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ صَدَّقَ أَوْ لَمْ يُصَدِّقْ.

مِثَالُ ذَلِكَ:

إِذَا قَابَلَكَ إِنْسَانٌ وَأَنْتَ تَعْرِفُ جَيِّدًا أَنَّهُ ثِقَةٌ، فَأَخْبَرَكَ أَنَّ الطَّرِيقَ مَقْطُوعٌ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمُرَّ بِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: أَنَا أُصَدِّقُكَ، ثُمَّ وَاصَلْتَ السَّيْرَ، فَلَمَّا سِرْتَ وَجَدْتَ الطَّرِيقَ كَمَا أَخْبَرَكَ؛ فَهَذَا التَّصْدِيقُ وَادِّعَاؤُهُ كَذِبٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُؤَثِّرْ عَلَىٰ السُّلُوكِ.

وَهُنَا يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ التَّصْدِيقَ إِنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فِي السُّلُوكِ، فَلَا فَائِدَةَ مِنْهُ.

مِثَالٌ آخَرُ: إِذَا جَاءَكَ رَجُلٌ وَقَدَّمْتَ لَهُ شَرَابَيْنِ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا فِيهِ سُمٌّ قَاتِلٌ، فَأَخْبَرْتَهُ بِذَلِكَ.

فَقَالَ: أُصَدِّقُكَ أَنَّ هَذَا بِهِ سُمٌّ، فَقُلْتَ لَهُ: لَا تَشْرَبْ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّ فِيهِ سُمًّا، فَقَالَ: أَنَا أُصَدِّقُكَ فِيمَا قُلْتَ، ثُمَّ أَمْسَكَ الْكُوبَ الَّذِي بِهِ سُمٌّ فَشَرِبَ فَمَاتَ مِنْ فَوْرِهِ. فَهَذَا الرَّجُلُ يَعْلَمُ وَقَدْ أَخْبَرَهُ أَنَّ بِهِ سُمًّا، وَادَّعَىٰ أَنَّهُ يُصَدِّقُ، وَلَكِنْ لَمْ يُؤَثِّرْ عَلَىٰ جَوَارِحِهِ فَهَلْ نَفَعَهُ؟

الجواب: لَا. وَعَلَيْهِ، فَإِذَا جَاءَكَ خَبَرٌ عَنِ اللهِ، أَوْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَيَجِبُ عَلَيْكَ التَّصْدِيقُ وَعِنْدَ التَّصْدِيقِ لَا بُدَّ وَأَنْ يَظْهَرَ عَلَىٰ السُّلُوكِ، فَإِنْ لَمْ يُؤَثِّرْ فَدَعْوَىٰ التَّصْدِيقِ كَذِبٌ.

س٩: ما الواجب الشرعي تجاه الأوامر والنواهي الواردة عن الله تعالىٰ وعن رسوله ﷺ؟

الجواب: الِامْتِثَالُ لِمَا أُمِرْنَا بِهِ، وَالِانْتِهَاءُ عَمَّا نُهِينَا عَنْهُ.

وَتَنْقَسِمُ الْأَوَامِرُ بِاعْتِبَارِ الْفِعْلِ، وَالتَّرْكِ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

١) أَمْرٍ بِالْفِعْلِ.

٢) أَمْرٍ بِالتَّرْكِ، أَوْ نَهْيٍ عَنِ الْفِعْلِ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»(١).

دَلَّ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَىٰ: أَنَّ تَنْفِيذَ الْأَوَامِرِ مَنُوطَةٌ بِالِاسْتِطَاعَةِ، وَأَمَّا الْبُعْدُ عَنِ الْمَنْهِيَّاتِ؛ فَفِي مَقْدُورِ الْعَبْدِ، فَلَا يَعْتَذِرُ بِعَدَمِ الِاسْتِطَاعَةِ. فَإِذَا أُمِرَ الْعَبْدُ بِالْحَجِّ عُلِّقَ الْأَمْرُ بِالِاسْتِطَاعَةِ، وَإِنْ أُمِرَ الْعَبْدُ بِالْبُعْدِ عَنِ الزِّنَا؛ فَلَيْسَ مُعَلَّقًا بِالِاسْتِطَاعَةِ.

س١٠- اذكر أنواع التوحيد الواجب إثباتها لله تعالىٰ؟

الجواب: النوع الأول توحيد الربوبية: والربوبية في اللغة: مصدر من الفعل ربب، ومنه الربُّ، فالربوبية صفه الله، وهي مأخوذة من اسم الرب، والرب في كلام العرب يطلق علىٰ معانٍ: منها (المالك ـ والسيد المطاع ـ والمصلح).

- **وأما اصطلاحًا**: هو إفراد الله جل وعلا بالخلق والملك والتدبير، فلا خالق إلا الله ولا مالك إلا الله ولا مدبر إلا الله إذ هو سبحانه المتفرد بالخلق والمتفرد بالملك والمتفرد بالتدبير.

تعريف آخر: هو إفراد الله جل وعلا بأفعاله أو بما يختص به من أفعال ويسمىٰ بتوحيد المعرفة والإثبات.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٢٨٨)؛ وَمُسْلِمٌ (١٣٣٧).

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات أي إفراد الله تعالىٰ بأسمائه التي سمىٰ بها نفسه أو سماه بها رسوله ﷺ وكذلك الصفات، أي إثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل. ويدخل هذا النوع في توحيد المعرفة والإثبات.

النوع الثالث: الألوهية:

وهي في اللغة: مأخوذة من أله يأله إلهةً: إذا عبد مع المحبة والتعظيم، يقال: تأله إذا عبد معظمًا محبًّا، ففرق بين العبادة والألوهية، فإن الألوهة عبادة فيها المحبة، والتعظيم والرضا بالحال، والرجاء، والرغب، والرهب، فمصدر أله يأله: أُلُوهة وإلهة؛ ولهذا قيل: توحيد الإلهية، وقيل توحيد الألوهية، وهما مصدران لـ (أَلَهَ، يأَلَهُ).

ومعنىٰ (أَلَه) في لغة العرب: عبد مع المحبة والتعظيم، والتأله: العبادة علىٰ ذاك النحو، قال رؤبه بن العجاج:

للهِ دَرُّ الغانياتِ المُدَّةِ... سَبَّحْنَ وَاسترَجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي

يعني: عبادتي (١).

توحيد الألوهية: يقال له توحيد الألوهية أو توحيد العبادة باعتبارين:

فباعتبار إضافته إلىٰ الله سمي توحيد الألوهية.

وباعتبار إضافته إلىٰ الخلق يسمىٰ توحيد العبادة.

(١) يراجع كتاب التمهيد شرح كتاب التوحيد صـ٢٤.

وتعريفهُ: هو إفراد الله ﷻ بالعبادة بألا يكون عبدًا لغير الله لا تعبد مَلَكًا ولا نبيًّا ولا وليًّا ولا شيخًا ولا أمًّا ولا أبًا لا تعبد إلا الله وحده فتفرده بالتألِيه والتعبد.

تعريف آخر: هو إفراد الله ﷻ بأفعال عباده، التي يوقعوها علىٰ جهة التقرب، فإذا توجه بها إلىٰ الله تعالىٰ كان موحدًا إياه توحيد الإلهية، وإذا توجه العبد بها إلىٰ لله ولغيره كان مشركًا في هذه العبادة.

قال الشيخ صالح آل الشيخ: وتقسيم التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات جاء في عبارات المتقدمين من أئمة الحديث والأثر، فجاء عن أبي جعفر الطبري في تفسيره (١) وفي غيره من كتبه، وفي

---

(١) ومن ذلك قوله عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤، ٦٥]»: وقوله: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ [غافر: ٦٤] يقول تعالىٰ ذكره: فالذي فعل هذه الأفعال، وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم، هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر: ٦٤] يقول: فتبارك الله مالك جميع الخلق جِنِّهم وإنسهم، وسائر أجناس الخلق غيرهم ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ ﴾ يقول: هو الحي الذي لا يموت، الدائم الحياة، وكل شيء سواه فمنقطع الحياة غير دائمها ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يقول: لا معبود بحق تجوز عبادته، وتصلح الألوهة له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، ﴿ فَٱدْعُوهُ ﴾ أيها الناس ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾، مخلصين له الطاعة، =

كلام ابن بطة (١)، وفي كلام ابن منده (٢)، وفي كلام ابن عبد البر، وغيرهم

= مفردين له الألوهة، لا تشركوا في عبادته شيئًا سواه، من وثن وصنم، ولا تجعلوا له ندًّا ولا عدلًا [٢١/ ٤١٠].

وقال عن تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]: وَأَمَّا مَعْنَىٰ قَوْلِهِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:١٦٣]، فَإِنَّهُ خَبَرٌ مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَزَّ، أَخْبَرَ عِبَادَهُ أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ خَاصَّةٌ بِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَنْدَادِ، وَأَنَّ الْعِبَادَةَ لَا تَصْلُحُ وَلَا تَجُوزُ إِلَّا لَهُ لِانْفِرَادِهِ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوَحُّدِهِ بِالْأُلُوهِيَّةِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا دُونَهُ فَمِلْكُهُ، وَأَنَّ كُلَّ مَا سِوَاهُ فَخَلْقُهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي سُلْطَانِهِ وَمُلْكِهِ؛ احْتِجَاجًا مِنْهُ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ ذَلِكَ إِذْ كَانَ كَذَلِكَ، فَغَيْرُ جَائِزَةٍ لَهُمْ عِبَادَةُ غَيْرِهِ، وَلَا إِشْرَاكُ أَحَدٍ مَعَهُ فِي سُلْطَانِهِ، إِذْ كَانَ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَمِلْكُهُ، وَكُلُّ مُعَظَّمٍ غَيْرَهُ فَخَلْقُهُ، وَعَلَىٰ الْمَمْلُوكِ إِفْرَادُ الطَّاعَةِ لِمَالِكِهِ، وَصَرْفُ خِدْمَتِهِ إِلَىٰ مَوْلَاهُ وَرَازِقِهِ... الخ [تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٥/ ١٧٠)]

(١) قال ابن بطة في الإبانة الكبرىٰ (٦/ ١٧٢)

أَنَّ أَصْلَ الْإِيمَانِ بِاللهِ الَّذِي يَجِبُ عَلَىٰ الْخَلْقِ اعْتِقَادُهُ فِي إِثْبَاتِ الْإِيمَانِ بِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ: أَحَدُهَا: أَنْ يَعْتَقِدَ الْعَبْدُ آنِيَّتَهُ لِيَكُونَ بِذَلِكَ مُبَايِنًا لِمَذْهَبِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ لَا يُثْبِتُونَ صَانِعًا. الثَّانِي: أَنْ يَعْتَقِدَ وَحْدَانِيَّتَهُ، لِيَكُونَ مُبَايِنًا بِذَلِكَ مَذَاهِبَ أَهْلِ الشِّرْكِ الَّذِينَ أَقَرُّوا بِالصَّانِعِ وَأَشْرَكُوا مَعَهُ فِي الْعِبَادَةِ غَيْرَهُ. وَالثَّالِثُ: أَنْ يَعْتَقِدَهُ مَوْصُوفًا بِالصِّفَاتِ الَّتِي لَا يَجُوزُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَوْصُوفًا بِهَا مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْحِكْمَةِ وَسَائِرِ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، إِذْ قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ يُقِرُّ بِهِ وَيُوَحِّدُهُ بِالْقَوْلِ الْمُطْلَقِ قَدْ يُلْحِدُ فِي صِفَاتِهِ، فَيَكُونُ إِلْحَادُهُ فِي صِفَاتِهِ قَادِحًا فِي تَوْحِيدِهِ، وَلِأَنَّا نَجِدُ اللهَ تَعَالَىٰ قَدْ خَاطَبَ عِبَادَهُ بِدُعَائِهِمْ إِلَىٰ اعْتِقَادِ كُلِّ وَاحِدَةٍ فِي هَذِهِ الثَّلَاثِ وَالْإِيمَانِ بِهَا.

(٢) ففي كتابه «كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته علىٰ الاتفاق والتفرد» ذكر =

=
أقسام التوحيد واستعرض كثيرًا من أدلتها في الكتاب والسنة بشرح وبسط لا مزيد عليه.

فمن الأبواب التي عقدها وهي متعلقة بتوحيد الربوبية ما يلي:

١. ذِكْرُ ما وصف الله ﷻ به نفسه ودلَّ علىٰ وحدانيته ﷻ وأنَّه أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

٢. ذكر معرفة بدء الخلق.

٣. ذكر ما يدل علىٰ أنَّ خلق العرش تقدم علىٰ خلق الأشياء.

٤. ذكر ما يدل علىٰ أنَّ الله قدَّر مقادير كل شيء قبل خلق الخلق.

٥. ذكر ما يستدل به أولو الألباب من الآيات الواضحة التي جعلها الله ﷻ دليلًا لعباده من خلقه علىٰ معرفته ووحدانيته من انتظام صنعته وبدائع حكمته في خلق السموات والأرض...

٦. ذكر ما بدأ الله ﷻ من الآيات الواضحة الدالة علىٰ وحدانيته.

٧. ذكر الآيات المتفقة المنتظمة الدالة علىٰ توحيد الله ﷻ في صفة خلق السموات التي ذكرها في كتابه وبينها علىٰ لسان رسوله ﷺ تنبيهًا لخلقه، ثم ذكر أبوابًا أخرىٰ. انظر هذه الأبواب في كتابه «التوحيد» (١ / ٦١-١١٦).

ومن الأبواب التي عقدها وهي متعلقة بتوحيد الألوهية ما يلي:

١. ذكر معرفة أسماء الله ﷻ الحسنة التي تسمىٰ بها وأظهرها لعباده للمعرفة والدعاء والذكر.

٢. ذكر معرفة اسم الله الأكبر الذي تسمىٰ به وشرفه علىٰ الأذكار كلها.

وذكر تحت هذا الباب ما يلي:

أ) قول النبي ﷺ: «**أمرت أن أدعو الناس إلىٰ شهادة أن لا إله إلا الله**».

ب) قول النبي ﷺ: «**بني الإسلام علىٰ شهادة أن لا إله إلا الله**».

ج) قول النبي ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت**».

د) قول النبي ﷺ لرجل: «**قل ربي الله ثم استقم**».

=

=

هـ) قول النبي ﷺ لرجل: «**الله يمنعني منك**».

و) قول النبي ﷺ: «**من كان حالفًا فليحلف بالله ﷻ ومن حلف بغير الله فقد أشرك**».

ز) قول النبي ﷺ: «**اذكروا الله علىٰ جميع الأمور**»، قال تعالىٰ: ﴿ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١﴾ [الأحزاب:٤١]. وذكر أمورًا أخرىٰ كثيرة متعلقة بتوحيد الألوهية. انظر هذه الأبواب في كتابه «التوحيد» (٢ / ١٤-٤٦).

ومن الأبواب التي عقدها وهي متعلقة بتوحيد الأسماء والصفات ما يلي:

ذكر معرفة صفات الله تعالىٰ التي وصف بها نفسه وأنزل بها كتابه وأخبر بها الرسول ﷺ علىٰ سبيل الوصف لربه ﷻ مبينًا ذلك لأمته.

وذكر أبوابًا أخرىٰ كثيرة في توحيد الأسماء والصفات. انظر هذه الأبواب في كتابه «التوحيد» (٣ / ٧) إلىٰ نهاية الكتاب.

علمًا بأنه قد كان قبل هذا ذكر جملة كبيرة من أسماء الله الحسنىٰ. انظر في كتابه «التوحيد» (٢ / ٤٧-٢٠٨).

قال الشيخ الدكتور علي بن ناصر فقيهي في مقدمة تحقيقه لكتاب ابن مندة المتقدم (١ / ٢٧-٢٧): «ومؤلف هذا الكتاب عاش في القرن الرابع الهجري (٣١٠-٣٩٥هـ) وقد اشتمل كتابه علىٰ أقسام التوحيد التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالىٰ: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات؛ فبدأ بقسم الوحدانية في الربوبية مستدلًّا به علىٰ توحيد الله في الألوهية، ثم ذكر عنوانًا لتوحيد الأسماء ومنه دخل في توحيد الألوهية وذلك من الفصل الثاني والأربعين إلىٰ الفصل الخمسين، ثم عاد لتكميل أسماء الله تعالىٰ، ثم أتبعه بتوحيد الصفات حيث بحثه مستقلًّا عن أسماء الله ﷻ، ثم عاد إلىٰ توحيد الربوبية بالتصريح بذلك في آخر الكتاب ولم يخرج في استدلاله علىٰ ذلك عن كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ وأقوال السلف كما يجد ذلك القارئ في الكتاب». اهـ.

من أهل العلم من أهل الحديث والأثر، خلافًا لمن زعم من المبتدعة أنَّ هذا التقسيم أحدثه ابن تيمية، فهذا التقسيم قديم يعرفه من طالع كتب أهل العلم التي ذكرنا(١).

✍ **فائدة:**

سئل الشيخ العثيمين ﵀ فقيل له: ما تقول فيمن أضاف للتوحيد قسمًا رابعًا وسماه توحيد الحاكمية؟

الجواب:

نقول: إنه ضال وجاهل؛ لأن توحيد الحاكمية هو توحيد الله ﷿، فالحاكم هو الله ﷿، فإذا قلت: التوحيد ثلاثة أنواع كما قاله العلماء: توحيد الربوبية فإن توحيد الحاكمية داخل في توحيد الربوبية؛ لأن توحيد الربوبية هو توحيد الحكم والخلق والتدبير لله ﷿، وهذا قول محدث منكر، وكيف توحيد الحاكمية ما يمكن أن توحد هذه؟ هل معناه: أن يكون حاكم الدنيا كلها واحد أم ماذا؟ فهذا قول محدث مبتدع منكر ينكر علىٰ صاحبه، ويقال له: إن أردت الحكم فالحكم لله وحده، وهو داخل في توحيد الربوبية؛ لأن الرب هو الخالق المالك المدبر للأمور كلها، فهذه بدعة وضلالة. انتهىٰ(٢).

وتقسيمات التوحيد هذه لم يقسمها النبي ﷺ ولم يحددها ولا أحد من الصحابة حددها ولكنه تقسيم استقرائي لنصوص الكتاب والسنة فلا يجوز

(١) شرح الطحاوية [١/ ٨].
(٢) لقاء الباب المفتوح اللقاء رقم (١٥٠).

الزيادة فيه ولا النقصان.

س١١-ما الدليل علىٰ ثبوت هذه الأنواع من التوحيد وما العلاقة بينهم؟

الجواب: قال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥].

فقوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [مريم:٦٥] يدل علىٰ توحيد الربوبية

وقوله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم:٦٥] يدل علىٰ توحيد الإلهية.

وقوله تعالىٰ: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥] يدل علىٰ توحيد الأسماء والصفات.

والعلاقة بينهم علاقة تلازم بمعنىٰ من وحَّد الله تعالىٰ في الربوبية يلزمه أن يوحده في الألوهية والاسماء والصفات.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: وسُمِّي دين الإسلام توحيدًا؛ لأن مبناه، علىٰ أن الله واحد في ملكه وأفعاله، لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا ند له وإلىٰ هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر من آتىٰ بنوع منها ولم

يأت بالآخر، فما ذاك إلا أنه لم يأت به علىٰ وجه الكمال المطلوب. [(١)] اهـ.

فتوحيد الربوبية والأسماء والصفات مستلزم لتوحيد الألوهية الذي هو التوحيد العملي بمعنىٰ أن الإيمان بوحدانية الرب الخالق الرازق المحي المميت المدبر وبكافة أسمائه وصفاته يستلزم الموحد أن يعبد الله ويوحده في ألوهيته لأنه مادام أقر بالرب الواحد لزم لأن يتبع ذلك بتوحيد الإله.

وأما توحيد الألوهية فهو متضمن لتوحيد الربوبية والأسماء والصفات بمعنىٰ أن الإيمان بوحدانية الله وتقديم العبادة له لا تحصل إلا ممن أقر بأن هذا الإله المعبود رب العالمين لأن العبادة لا تصرف حقيقة إلا للرب المتصف بالكمال المنزه عن النقصِ.

س١٢: ما هي أنواع الحكم العقلي؟

الجواب: الأحكام العقلية ثلاثة:

١-**الواجب**: بمعنىٰ واجب الوجود لذاته: هو القائم بنفسه المقيم لغيره، الذي لم يسبق بعدم، ولا يلحقه فناء، ولا يفتقر إلىٰ غيره في الإيجاد وهو وجود الله ﷻ.

٢-**الممكن**: أي ممكن أن يوجد وممكن ألا يوجد لذاته. فوجوده ليس واجبًا ولا ممتنعًا؛ لأنه لو كان واجبًا لما سبقه العدم، وهو الذي يحتاج إلىٰ غيره لإيجاده، وهو وجود المخلوقات جميعًا.

(١) تسير العزيز الحميد صـ١٧.

٣-**المستحيل**: هو المستحيل الوجود لذاته. وهو الممتنع. وهو الذي لا يمكن وجوده، فهذا لا يسمىٰ شيئًا كاجتماع الضدين كالبياض والسواد وكارتفاع النقيضين كالوجود والعدم. (١)

س١٣: ما العلاقة بين الكلمات والمعاني؟

الجواب:

١-العموم والخصوص مطلقًا:

مثال ذلك: العلاقة بين الإنسان والحيوان والمراد بالحيوان هنا ما فيه حياة بالنفس فالحيوان أعم مطلقًا والإنسان أخص مطلقًا، فنقول كل إنسان حيوان (أي به حياة بالنفس) وليس كل حيوان إنسان

مثال آخر: العبادة والصلاة فكل صلاة عبادة وليس كل عبادة صلاة.

٢-**العموم والخصوص الوجهي**: ويكون في المعاني، وضابطه أن يكون المعنيان يجتمعان في حال وينفرد كل منهما في حال.

مثال ذلك: الأبيض والإنسان فإنهما يجتمعان في الإنسان الأبيض وينفرد كل واحد منهما فالأبيض في الثلج والأسود في الإنسان الأسود.

مثال ذلك: أيضًا الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص وجهي فيجتمعان في الثناء علىٰ الله تعالىٰ باللسان بما أنعم، فتعظيمه تعالىٰ باللسان لما أنعم به علىٰ عباده حمد وشكر.

(١) التوضيحات الأثرية صـ ٦٤.

وينفرد الشكر في التعظيم بالفعل.

وينفرد الحمد في الثناء باللسان من غير تقابل نعمة، فالله تعالىٰ هو المحمود علىٰ كل حال، محمود علىٰ السراء والضراء، فحمده علىٰ السراء والضراء حمد، وشكر وحمده علىٰ الضراء حمد.

وعليه فالشكر أعم من جهة الأداء فيكون بالقلب -اللسان- الجوارح- والحمد أعم من جهة سببه.

٣-مماثلة كالكلمات المترادفة: (حنطة- بر- قمح)- (بشر-إنسان- آدمي).

٤-مباينة كالسماء والأرض: أي أن كل كلمة تدل علىٰ معنىٰ لا يتفق مع الأخرىٰ.

٥-مشتركة: أي كل كلمة تدل علىٰ معان متعددة وهذا عكس الترادف.

مثال ذلك: كلمة عين (الجارحة-البئر-الجاسوس-الذهب... وغيرها) والسياق هو الذي يحدد المعنىٰ المراد.

فسبب الحمد صفات الكمال المطلق لله وحده وسبب الشكر ما أنعم الله به علىٰ عباده.

س١٤- هناك قواعد اتفق عليها العقلاء اذكرها؟

الجواب:

الأول: بطلان الترجيح بدون مرجح، والمراد بالترجيح إثبات مرتبة

أعلىٰ في أحد الدليلين علىٰ الآخر.

الثاني: بطلان التسلسل.

الثالث: بطلان الدور.

الرابع: قانون العلية.

أولًا بطلان الترجيح بدون مرجح: هذا الكون الموجود لا يخلو من احتمالات ثلاثة:

الأول: أن يكون واجب الوجوب وهذا الاحتمال باطل لأن معنىٰ واجب الوجوب أي لا يتطرق إليه الانعدام وبالنظر إلىٰ الواقع نجد أن هذا محالٌ عقلًا لأننا نرىٰ أعيان الموجودات تموت فلا مانع عقلًا من انعدام الكون.

الثاني: أن يكون ممتنع الوجود وهذا الاحتمال باطل ووجه البطلان: أن الكون موجود حقيقة فلو كان ممتنع الوجود لما أمكن وجوده.

الثالث: أن يكون ممكن الوجود بمعنىٰ أنه يمكن أن يوجد وممكن أن لا يوجد علىٰ حد سواء، ولكن الكون موجود فعلًا، فإذًا لا بد من وجود مرجح خارجي لأحد الأمرين المستويين الوجود والعدم.

فإن قال قائل: إن الكون هو الذي أوجد نفسه.

قلنا: هذا يستلزم الترجيح بدون مرجح لأنه لو أوجد نفسه لكان واجب الوجود، وهذا باطل فلزم من ذلك أن تكون أوجدته قوة أخرىٰ خارجية عنه ومختلفة عنه.

فإن قال قائل: أليس من المحتمل أن تكون هذه القوة التي أوجدت الكون غير الله.

قلنا: هذا باطل لأنه يؤدي إلىٰ **التسلسل**: وهو أن تطَّرد الاحتمالات بصورة مستمرة دون أن يصل العقل إلىٰ شيء يستقر عليه حكمه.

توضيح ذلك: لو قلنا أن الكون محتمل أن يوجده سوىٰ الله قلنا هذا الموجد المفترض الذي أوجد الكون سوىٰ الله من أوجده؟ فقال موجد آخر فقيل فمن أوجد الموجد الآخر؟ قيل: موجد آخر، وهذا يؤدي إلىٰ التسلسل وهو باطل عقلًا.

وعليه فالذي أوجد الكون شيء واجب الوجوب لذاته وهو الله ﷻ.

الدَّور: قبيله التسلسل وكلاهما باطل عقلًا وهو نوع من أنواع التسلسل.

وضابط التسلسل: ترتيب أمور غير متناهية.

ضابط الدَّور: والدَّور هو توقف وجود أمر علىٰ أمر آخر إلا أن هذا الأمر الأخير متوقف علىٰ وجود الأول فهذا باطل غير مستقيم عقلًا.

مثاله: لو قلنا: إن وجود البيضة متوقفة علىٰ وجود الدجاجة، إلا أن الدجاجة متوقفة علىٰ وجود البيضة لما وجد كلاهما لاستحالة ذلك. وهذا هو الدور.

فلو قال القائل: إن الكون حادث وله علة إلا أن هذه العلة المؤثرة في وجوده عبارة عن التفاعلات الذاتية لذراته الأولىٰ والتي استمرت لملايين السنين حتىٰ انتهت إلىٰ هذا الكون أي أن الطبيعة هي التي أوجدته.

فنقول له: ما هي العلة الأولىٰ في إيجاد الذرات الأولىٰ المتفاعلة؟ وما علة التفاعل الذاتي؟

فإن قال: العلة في تلك الذرات ذاتها أي أنها أوجدت نفسها ثم تفاعلت لتوجد الكون.

قلنا له: إن هذا هو الدور الممنوع ذاته لأنك جعلت الشيء علة لوجود غيره وهذا الغير علة لوجوده هو في ذاته حيث إنه لـمَّا كان في العدم المطلق كان وجوده متوقفًا علىٰ أن يخرج من العدم فإذا خرج أصبح علة لإيجاد نفسه.

ثم نقول له: إنك قلت إن الكون محدث غير أزلي فكيف يكون المحدث علة لنفسه وهو لم يكن موجودًا من قبل والعدم المحض لا يوجد شيئًا فإن الشيء يمتنع أن يكون خالقًا ومخلوقًا في الوقت نفسه.

قانون العلية: التخصيص والنظام في كون الله يدلان علىٰ الحكمة ولا يعقل أن توجد علة أو حكمة بدون مؤثر ومدبر لها.

مثال ذلك: لو قال قائل إن هذه الشمس وجدت اتفاقًا وليس من وراء وجودها حكمة وكل ما تقوم به من الوظائف إنما جاء اتفاقًا وصدفة فلا شك في جنون من قال هذا.

يقول بعض علماء الغرب: وقد ينكر منكرٌ وجود الله ولكنه لا يستطيع أن يؤيد إنكاره بدليل، وأحيانًا يشك الإنسان في وجود شيء من الأشياء ولا بد في هذه الحالة أن يستند شكه إلىٰ أساس فكري. (١)

---

(١) كتاب مفهوم العقيدة الإسلامية – موقع وزارة الأوقاف السعودية.

س١٥-بين ما معنىٰ: اتفاق المُسمَّيَيْن في بعض الأسماء والصفات؟

الجواب: أي يوجد شيئان لهما اسم واحد ويشتركان في بعض الصفات.

مثال ذلك: الإنسان له يد وساق وعين، وللجمل يد وساق وعين، كذلك للإنسان علم، ولله تعالىٰ علم.

وقد يُسمىٰ الإنسان بأنه كريم، ومن أسماء الله تعالىٰ الكريم.

س١٦-هل اتفاق المتسميين في بعض الأسماء والصفات هو التمثيل المنفي في الأدلة؟

الجواب: قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] فالمثلية المنفية في الآية ليست هي المثلية في اتفاق المسميين في بعض الأسماء وفي بعض الصفات.

س١٧- بيِّن المراد من التمثيل المنفي في الآية؟

الجواب: التمثيل المنفي هو ما يختص بالخالق وهو كمال المعنىٰ وكيفية الوصف.

س١٨- اذكر مثالًا لما سبق؟

الجواب: الإنسان له علم والله تعالىٰ متصف بالعلم، وعلم الإنسان مسبوق بعدم وملحوق بنسيان، وعلم الله تعالىٰ أوليٌّ أزلي.

وأصل العلم: إدراك الأشياء فهذا الأصل مشترك بين العبد وبين الله تعالىٰ.

وكذلك السمع إدراك المسموعات فهذا أصله عند العبد وعند الرب،

ولكن عند الإنسان محدود وعند الرب مطلق، وعند الإنسان نعلم كيفيته وعند الرب لا نعلم له كيفية.

قال شيخ الإسلام: مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إلَّا بَيْنَهُمَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ وَقَدْرٌ مُمَيِّزٌ فَالنَّافِي إنْ اعْتَمَدَ فِيمَا يَنْفِيهِ عَلَىٰ أَنَّ هَذَا تَشْبِيهٌ قِيلَ لَهُ: إنْ أَرَدْت أَنَّهُ مُمَاثِلٌ لَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ فَهَذَا بَاطِلٌ؛ وَإِنْ أَرَدْت أَنَّهُ مُشَابِهٌ لَهُ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ أَوْ مُشَارِكٌ لَهُ فِي الِاسْمِ لَزِمَك هَذَا فِي سَائِرِ مَا تُثْبِتُهُ (١).

س١٩-هل تسمية الشيء بغير اسمه الحقيقي يغيره؟

الجواب: لا فلكل مسمىٰ اسمًا بأصل اللغة وتغييره ليس بشيء.

س٢٠- اذكر مثالًا لما سبق؟

الجواب: ما فَعَلَتْهُ المحرِّفة للصفات فسموا إثبات الصفات لله التي جاء بها النص تمثيلًا وتشبيهًا وتجسيمًا.

س٢١- ألهذا المسلك الباطل تأثير؟

الجواب: نعم له تأثير علىٰ الجاهل الغبي فيظن أن إثباته للصفات الواردة في الكتاب والسنة تمثيلًا أو تجسيمًا ومن ثم يحمله هذا الخطأ علىٰ التعطيل.

س٢٢- عرف المركب؟ وبين ما يجوز من معاني التركيب علىٰ الله وما لا يجوز؟

الجواب: المركب: هو المكون من شيئين أو هو المنقسم ويحتمل معانٍ

(١) مجموع الفتاوىٰ [٣/ ٦٩].

منها:

١-ما كان متفرقًا ثم اجتمع.

٢-ما يقبل الانقسام.

٣-ما تقوم به العديد من الصفات وهذا هو المراد بالتركيب عند الفلاسفة.

س٢٣: ما الذي يجوز من معاني التركيب علىٰ الله وما لا يجوز؟:

الأول والثاني باطلان ممتنعان في حق الله لأنه سبحانه وتعالىٰ أحدٌ صمدٌ لم يلد ولم يولد ولا تجزء في ذاته.

أما الثالث: فهو باطل من ناحية اللغة فليس في لغة العرب تسمية الواحد الموصوف بالصفات مركبًا.

س٢٤- ما المراد بشبهة التركيب عند الفلاسفة؟

أن إثبات الصفات لله تعالىٰ يلزم أنها متعددة وهذا التعدد للصفات يُسمىٰ تركيبًا وهو ممتنع في حق الله.

وهذه ليست حقيقة لغوية ولا حقيقة عقلية، إنما هي حقيقة فلسفية، اصطلاح فلسفي يتضمن معنًىٰ فلسفيًّا، والمتكلمون الذين استعملوا هذا انقسموا إلىٰ فريقين: فجمهورهم قالوا: لا نثبت الصفات حتىٰ لا نقع في التجسيم، ومن هنا نفت المعتزلة قيام الصفات بالذات حتىٰ لا يقعوا في التجسيم[١].

(١) شرح القواعد السبع [١٠/ ٢٥].

س٢٥-هل معنىٰ كون الله قدير هو عليم هو سميع؟

الجواب: بصريح المعقول عند كل العقلاء ليس معنىٰ كون الشيء عالمًا هو معنىٰ كونه قادرًا ولا هو بمعنىٰ كونه سميعًا بصيرًا.

س٢٦-هل الصفة هي الموصوف؟

الجواب: لا ليست الصفة هي الموصوف عند جميع العقلاء ومن قال بغير ذلك فهو من أعظم الناس سفسطة [مغالطة].

س٢٧-وضح ما سبق بمثال؟

الجواب: لا يوجد عاقل يقول أن ذات زيد مثلًا هي كرم زيد وعلمه! وكذلك فصفات الله تعالىٰ ليست ذاته سبحانه وتعالىٰ.

س٢٨-ما الذي يلزم علىٰ فرض التسليم من أن الصفات كلها معناها واحد؟

الجواب: يلزم من ذلك ولا بد أن يكون وجود هذا الشيء هو وجود ذلك الشيء ووجه ذلك أن الوجود صفة وعليه فيلزم من القول السابق وهو جعل العلم هو القدرة والسمع هو البصر والعلم هو القدرة أن يكون وجود الله تعالىٰ هو وجود المخلوق وكفىٰ بذلك بطلانًا لقول الفلاسفة الذين يجعلون الصفات كلها بمعنىٰ واحد.

س٢٩-هل من لوازم فاسدة أخرىٰ تلزم من هذا القول؟

الجواب: نعم وجود المخلوق الذي يُعدم بعد وجوده ويُوجد بعد عدمه هو نفس وجود الرب الغني عن كل ما سواه والذي يُنزه عن كل نقص فأين

التنزيه الذي يدعيه المعطلة والمحرفة للصفات.

س٣٠- هل من الممكن أن يوجد عاقل متناقض بعد علمه بتناقضه؟

الجواب: لا وإن وجُد فليس بعاقل عند كل العقلاء.

س٣١- وضح ذلك بمثال؟

الجواب: كل من نفىٰ ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ فرارًا من التشبيه أو التمثيل أو التجسيم أو التركيب وغيرها لزمه من ذلك ثبوت ما فر منه فيما نفاه عن الله مما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ .

س٣٢- نريد توضيحًا أكثر؟

نقول: الفلاسفة تقول عن الله تعالىٰ موجود واجب وعقل وعاقل ومعقول وعاشق ومعشوق ولذيذ ومتلذذ ولذة وهذه معانٍ متعددة متغايرة المعنىٰ، وعلىٰ أصول الفلاسفة هذا تركيب يثبتونه ويسمونه توحيدًا وعليه ما أثبته أهل السنة من صفات لله ثابتة بالنقل يسمىٰ توحيدًا فإن كان إثبات الصفات لله تعالىٰ يعد عندكم (الفلاسفة) من التركيب الممتنع لأنها أفادت معان متعددة متغايرة فكذلك ما أطلقتموه علىٰ الله تعالىٰ يعد تركيبًا ممتنعًا إن لم يكن هذا هو التناقض بعينه فليس هناك تناقض علىٰ وجه الأرض.

س٣٣-بيِّن كيف الخروج من هذا التناقض؟

الجواب: لا يخرج من التناقض ممن أوقع نفسه فيه إلا بأن يثبت إلهًا موجودًا واجبًا أوليًّا متصفًا بصفات تميزه عن غيره ولا يكون في هذه الصفات مماثلًا لخلقه [في تمام المعنىٰ وكيفية الوصف].

س٣٤- هل لا بد من قدر مشترك بين ما يثبت لله وما يثبت للمخلوق من الصفات؟

الجواب: نعم ولولا ذلك لما فهم الخطاب الذي أخبرنا به الله عن نفسه.

س٣٥-مثِّل لما سبق؟

نقول: الله تعالىٰ وصف نفسه بأنه سميع بصير عليم حي وغيرها، لو لم يكن لهذه الصفات معنىٰ معلومًا لدينا نعرفه ما فهمنا خطاب الشارع لنا. [والمراد بالقدر المشترك هو أصل المعنىٰ في لغة العرب].

س٣٦- إذن ما الفرق بين ثبوت مثل هذه الصفات للخالق وثبوتها للمخلوق؟

نقول: الفرق أن ثبوت هذه الصفات لله تعالىٰ في أصل معناها مشترك بين الخالق والمخلوق، فالسمع مثلًا إدراك المسموعات فهذا يثبت لله ويثبت للمخلوق، أما كمال الإدراك وكيفية الإدراك فهذا مختص بالله علىٰ وجه لا يخطر بالبال أو يدور في الخيال لأن كنه صفات الله تعالىٰ وحقائقها لا ندركها ولا يمكن أن نحيط بها أو نتخيلها.

وهذا هو الفرق بين أصل المعنىٰ المشترك وبين كمال المعنىٰ الذي لا يثبت إلا لله تعالىٰ. وقد سبق كلام شيخ الإسلام في القدر المشترك والقدر المميز: مَا مِنْ شَيْئَيْنِ إِلَّا بَيْنَهُمَا قَدْرٌ مُشْتَرَكٌ وَقَدْرٌ مُمَيِّزٌ(١):

---

(١) مجموع الفتاوىٰ [٣/ ٦٩].

س٣٧-ماذا قال شيخ الإسلام عن المنطق؟

الجواب: علم لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذَّكِيُّ وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ [(١)]:

قال العلامة العثيمين تعليقًا علىٰ كلام شيخ الإسلام: فالبليد يبقىٰ ساعات ليحل سطرًا مما كتب فيه، والذكي لا يحتاج إليه، وإذا كان الذكي لا يحتاج إليه والبليد لا ينتفع به، إذًا فإن دراسته مضيعة وقت.

وهذا الكلام من شيخ الإسلام يدل علىٰ أن أدنىٰ أحواله الكراهة، والعلماء رحمهم الله اختلفوا فيه؛ فمنهم من حرمه ومنهم من قال: ينبغي أن يُعلم، ومنهم من فصَّل، فقال: الإنسان الذي عنده منعة لا يؤثر علىٰ عقيدته فإنه ينبغي أن يتعلمه ليحاج به قومه، أي قوم المنطق، ومن لم يكن كذلك فلا يتعلمه لأنه ضلال.

والصحيح أنه لا يتعلمه مطلقًا؛ لأنه مضيعة وقت، لكن إذا اضطر إلىٰ شيء منه فليراجع ما اضطر إليه فقط، ليكون تعلمه إياه كأكل الميتة، يحل للضرورة وبقدر الضرورة، فإذا كان هناك اضطرار أخذ من علم المنطق ما يضطر إليه فقط، أما أن يتوسع ويضيع وقته فيه فلا.

وذلك لأنه ما أدخل علم المنطق علىٰ المسلمين إلا البلاء، حتىٰ أوصلهم إلىٰ أن يقولوا علىٰ الله ما لا يعلمون، وينكروا علىٰ الله ما وصف به نفسه، فالمسألة خطيرة، والله ﷻ نزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، لا يحتاج الناس إلىٰ شيء بعد كتاب الله، وأَمَرَ عند التنازع أن يرد إلىٰ الكتاب والسنة،

---

(١) مجموع الفتاوىٰ [٩/ ٨٢].

قال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩](١).

وقال الشَّافِعِيّ: «ما فسد النَّاس إلا لما تركوا لسان العرب، واتبعوا لسان أرسطو».

س٣٨-ما المراد [بِأَيۡيْدٍ] في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧﴾ [الذاريات:٤٧]؟

الجواب: «أيد» في لغة العرب بمعنىٰ القوة و«أيد» هنا مصدر آد يؤود أيدًا مثل باع يبيع بيعًا والأيد في لغة العرب بمعنىٰ القوة، وعليه فليس في تفسير «بأيد» أي بقوة تحريف بل هذا هو معناها اللغوي.

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله: قَوْلَهُ: بِأَيْدٍ لَيْسَ جَمْع يَدٍ: وَإِنَّمَا الْأَيْدُ الْقُوَّةُ، فَوَزْنُ قَوْلِهِ هُنَا بِأَيْدٍ فَعْلٌ، وَوَزْنُ الْأَيْدِي أَفْعُل، فَالْهَمْزَةُ فِي قَوْلِهِ: بِأَيْدٍ فِي مَكَانِ الْفَاءِ، وَالْيَاءُ فِي مَكَانِ الْعَيْنِ، وَالدَّالُ فِي مَكَانِ اللَّامِ، وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: بِأَيْدٍ جَمْعَ يَدٍ لَكَانَ وَزْنُهُ أَفْعُلًا، فَتَكُونُ الْهَمْزَةُ زَائِدَةً وَالْيَاءُ فِي مَكَانِ الْفَاءِ، وَالدَّالُ فِي مَكَانِ الْعَيْنِ، وَالْيَاءُ الْمَحْذُوفَةُ لِكَوْنِهِ مَنْقُوصًا هِيَ اللَّامَ.

وَالْأَيْدُ، وَالْآدُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ بِمَعْنَىٰ الْقُوَّةِ، وَرَجُلٌ أَيْدٌ قَوِيٌّ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ، أَيْ قَوَّيْنَاهُ بِهِ، فَمَنْ ظَنَّ أَنَّهَا جَمْعُ يَدٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَدْ غَلِطَ غَلَطًا فَاحِشًا، وَالْمَعْنَىٰ: وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِقُوَّةٍ(٢).

(١) شرح العقيدة السفارينية (١/ ٧١٦).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٤٤٢).

س٣٩- هل يوصف الله تعالىٰ بالمَكْرِ مطلقًا؟

الجواب: لا يجوز أن يوصف الله تعالىٰ بالمكر المطلق بل يوصف به مقيدًا [فهذا هو الكمال أن يوصف به مقيدًا]، فالله تعالىٰ يمكر بالماكرين ويكيد بالكائدين ويستهزئ بالمستهزئين.

والأدلة علىٰ ذلك:

* قال تعالىٰ: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) ﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦].

* وقال تعالىٰ: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة:١٥].

قال العلامة العثيمين رحمه الله: وهناك من الصفات ما تكون كمالًا في حال ونقصًا في حال، وهذه الصفات لا تكون جائزة في حق الله ولا ممتنعة علىٰ سبيل الإطلاق، فلا تُثبت له سبحانه إثباتًا مطلقًا، ولا تُنفىٰ عنه نفيًا مطلقًا، بل لابد من التفصيل: فتجوز في الحال التي تكون كمالًا، وتمنع في الحال التي تكون نقصًا، وذلك كالمكر، والكيد، والخداع ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالًا إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها، لأنها حينئذٍ تدل علىٰ أن فاعلها قادر علىٰ مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشد، وتكون نقصًا في غير هذه الحال، ولهذا لم يذكرها الله من صفاته علىٰ سبيل الإطلاق، وإنما ذكرها في مقابلة من يعاملونه ورسله بمثلها، كقوله تعالىٰ: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠]، و ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) ﴾ [الطارق:١٥-١٦].

وأما الخيانة فلا يوصف الله بها، لأنها نقص بكل حال، فلا يوصف الله تعالىٰ بالخيانة، ويدل لهذا قول الله تعالىٰ: ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ [البقرة:٩]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ ﴾ [النساء:١٤٢] فأثبت الخداع لأنه يدل علىٰ القوة.

لكن في الخيانة قال الله ﷻ: ﴿ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾ [الأنفال:٧١]، ولم يقل: فقد خانوا الله من قبل فخانهم، لأن الخيانة خِدعة في مقام الأمان، وهي صفة ذمّ مطلقًا، وبذا عرف أن القول «خان اللهُ مَنْ يَخُون» قولٌ منكرٌ فاحشٌ يجب النّهي عنه ووصف ذم لا يوصف الله به(١).

س٤٠- ما الفرق بين المناداة والمناجاة؟

الجواب: المناداة: هي الكلام عن بعد ولهذا تكون بصوت مرتفع.

المناجاة: هي الكلام عن قرب ولهذا تكون بصوت منخفض.

قال تعالىٰ: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾ [النازعات:١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَـٰدَيْنَـٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَـٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ ﴾ [مريم:٥٢].

قال العلامة العثيمين ؒ: والفرق بين المناداة والمناجاة أن المناداة تكون للبعيد، والمناجاة تكون للقريب وكلاهما كلام (٢).

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ١٤٥).
(٢) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٤٢٢).

فصل

الأصل الأول: توحيد الصفات

س٤١- اذكر مجمل أصل الكلام عن الأصل الأول في الرسالة؟

الجواب: أصل الكلام عن التوحيد والصفات: أن يوصف الله تعالىٰ بما وصف به نفسه أو وصفه به رسله نفيًا وإثباتًا.

س٤٢- ما المعتقد الصحيح في الصفات المنفية عن الله تعالىٰ؟

الجواب: ننفي ما نفاه الله تعالىٰ عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ مع اعتقاد كمال الضد.

س٤٣- مثّل لما ذكرت؟

الجواب: قال تعالىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨].

نفىٰ الله تعالىٰ عن نفسه صفة الموت فننفي عن الله تعالىٰ صفة الموت مع اعتقاد كمال حياته سبحانه وتعالىٰ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فَالنَّفْيُ لَا يَكُونُ مَدْحًا إلَّا إذَا تَضَمَّنَ ثُبُوتًا وَإِلَّا فَالنَّفْيُ الْمَحْضُ لَا مَدْحَ فِيهِ وَنَفْيُ السُّوءِ وَالنَّقْصِ عَنْهُ يَسْتَلْزِمُ إثْبَاتَ مَحَاسِنِهِ وَكَمَالِهِ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ. وَهَكَذَا عَامَّةُ مَا يَأْتِي بِهِ الْقُرْآنُ فِي نَفْيِ السُّوءِ وَالنَّقْصِ عَنْهُ يَتَضَمَّنُ إثْبَاتَ مَحَاسِنِهِ وَكَمَالِهِ. كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فَنَفْيُ أَخْذِ السِّنَةِ

وَالنَّوْمِ لَهُ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ حَيَاتِهِ وقيوميته وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق:٣٨] يَتَضَمَّنُ كَمَالَ قُدْرَتِهِ وَنَحْوَ ذَلِكَ.(١)

س٤٤- ما الآيات؟

الجواب: لغة: العلامة ومفردها آية...**وشرعًا**: كل ما يدل علىٰ ذات الله تعالىٰ وصفاته.

س٤٥-ما أنواع الآيات مع التمثيل؟

الجواب: قال العلامة العثيمين رحمه الله: وآيات الله عز وجل تنقسم إلىٰ قسمين: آيات كونية، وآيات شرعية:

فالآيات الكونية: ما يتعلق بالخلق والتكوين، مثال ذلك قوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت:٣٧]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الروم:٢٠]، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الروم:٢٢-٢٣]...الآيات، فهذه الآيات كونية وإن شئت، فقل: كونية قدرية، وكانت آية لله، لأنه لا يستطيع الخلق أن يفعلوها، فمثلًا: لا يستطيع أحد أن يخلق مثل الشمس والقمر، ولا يستطيع أن يأتي بالليل إذا جاء النهار، ولا بالنهار إذا جاء الليل، فهذه الآيات كونية.

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ٢٥٠).

وأما الآيات الشرعية، وهي ما جاءت به الرسل من الوحي، كالقرآن العظيم وهو آية، لقوله تعالىٰ: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٢]، ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥١]، فجعله آيات. (١)

س٤٦- ما الإلحاد؟

الجواب: الإلحاد لغةً: الميل، واصطلاحًا الميل عما يجب اعتقاده أو عمله.

س٤٧- في أي شيء يقع الإلحاد؟

الجواب: يكون في آيات الله تعالىٰ ويكون في أسمائه تعالىٰ وغير ذلك.

قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ ﴾ [فصلت:٤٠].

س٤٨- كيف يكون الإلحاد في أسماء الله تعالىٰ؟

الجواب: يقع الإلحاد علىٰ صور منها:

أحدها: أنْ يشتق من أسمائه أسماء للأصنام؛ كتسميتهم اللات من الإلهية، والعزىٰ من العزيز، وتسميتهم الصنم إلهًا. وهذا إلحاد حقيقة فإنَّهم

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ١٢٤).

عدلوا بأسمائه إلىٰ أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارىٰ له أبًا، وتسمية الفلاسفة له موجبًا بذاته، أو علةً فاعلةً بالطبع، ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه بما يتعالىٰ عنه ويتقدس من النقائص؛ كقول أخبث اليهود: إنَّه فقير، وقولهم: إنَّه استراح بعد أنْ خلق خلقه، وقولهم: يد الله مغلولة، وأمثال ذلك مما هو إلحادٌ في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها؛ كقول من يقول من الجهمية وأتباعهم: إنَّها ألفاظٌ مجردةٌ لا تتضمن صفات ولا معاني، فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلًا وشرعًا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين؛ فإنَّ أولئك أعطوا أسمائه وصفاته لآلتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها فكلاهما ملحدٌ في أسمائه.

ثم الجهمية وفروخُهُم متفاوتون في هذا الإلحاد فمنهم الغالي والمتوسط والمنكوب. وكل من جحد شيئًا مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

وخامسها: تشبيه صفاته بصفات خلقه تعالىٰ الله عما يقول المشبهون علوًّا كبيرًا، فهذا الإلحاد في مقابله إلحاد المعطلة فإنَّ أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم

طرقه. (١)

فحُكي عن داود الجواربي أنه قال: اعفوني عن الفرج واللحية واسألوني عما وراء ذلك، وقال: إن معبوده جسم، ولحم، ودم. وله جوارح وأعضاء من يد، ورجل، ورأس، ولسان، وعينين، وأذنين، ومع ذلك جسم لا كالأجسام، ولحم لا كاللحوم، ودم لا كالدماء. وكذلك سائر الصفات، وهو لا يشبه شيئًا من المخلوقات، ولا يشبهه شيء، وحكي عنه أنه قال: هو أجوف من أعلاه إلىٰ صدره، مصمت ما سوىٰ ذلك، وأن له وفرة سوداء، وله شعر قطط. (٢)

س٤٩- كيف يقع الإلحاد في الآيات؟

الجواب: يقع الإلحاد في الآيات الشرعية علىٰ صور منها:

١-التكذيب كما فعل المشركون مع النبي ﷺ .

٢-تحريف الآية عن معناها .

٣-يخالف ما دلت عليه الآية من أحكام.

قال العلامة العثيمين ﷫: ويكون الإلحاد فيها إما بتكذيبها أو تحريفها أو مخالفتها:

فتكذيبها: أن يقول: ليست من عند الله، فيكذب بها أصلًا، أو يكذب بما

(١) فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنىٰ (ص: ٤٥) لابن القيم.
(٢) الملل والنحل (١/ ١٠٥).

جاء فيها من الخبر مع تصديقه بالأصل، فيقول مثلًا: قصة أصحاب الكهف ليست صحيحة، وقصة أصحاب الفيل ليست صحيحة والله لم يرسل عليهم طيرًا أبابيل.

وأما التحريف، فهو تغيير لفظها، أو صرف معناها عما أراد الله بها ورسوله، مثل أن يقول: استوىٰ علىٰ العرش، أي: استولىٰ، أو: ينزل إلىٰ السماء الدنيا، أي: ينزل أمره.

وأما مخالفتها، فبترك الأوامر أو فعل النواهي. (١)

ويقع الإلحاد في الآيات الكونية علىٰ صور منها:

١-إنكار وجود الله ﷻ.

٢-إضافة الآيات الكونية لغير الله أو لأحد مع الله تعالىٰ.

قال العثيمين ؒ: والإلحاد فيها أن ينسبها إلىٰ غير الله استقلالًا أو مشاركة أو إعانة، فيقول: هذا من الولي الفلاني، أو: من النبي الفلاني، أو: شارك فيه النبي الفلاني أو الولي الفلاني، أو: أعان الله فيه، قال الله تعالىٰ: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ:٢٢]، فنفىٰ كل شيء يتعلق به المشركون بكون معبوداتهم لا تملك شيئًا في السماوات والأرض استقلالًا أو مشاركة ولا معينة لله ﷻ، ثم بالرابع: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ١٢٦).

عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣]، لما كان المشركون قد يقولون: نعم، هذه الأصنام لا تملك ولا تشارك ولم تعاون، لكنها شفعاء، قال: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ:٢٣]، فقطع كل سبب يتعلق به المشركون.(١)

س٥٠-ما حكم الإلحاد بنوعيه؟

الجواب: محرم وقد يكون كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة كإلحاد الجهمية وقد يكون دون الكفر الأكبر

س٥١- تقوم الرسالة علىٰ أصلين اذكرهما وكيف يتحقق هذا الأصلان؟

الجواب: **الأصل الأول**: الإيمان بأسماء الله تعالىٰ وصفاته.

الأصل الثاني: الإيمان بالشرع والقدر.

ويتحقق هذان الأصلان: عن طريق معرفة الحق من الباطل فيهما وإقامة الأدلة علىٰ ذلك ودفع الشبه المعارضة لذلك.

س٥٢- علىٰ أي شيء يدور الكلام الخبري؟ **مثل لذلك؟**

الجواب: يدور الكلام الخبري بين النفي والإثبات فقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء:٥٨] كلام خبري يثبت الله تعالىٰ أن له سمعًا وبصرًا ويسمع ويبصر.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩] كلام خبري ينفي الله تعالىٰ فيه عن نفسه الظلم لأي أحد.

(١) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ١٢٥).

س٥٣- من أي أنواع الكلام؛ الكلام في الشرع والقدر؟

الجواب: من الكلام الإنشائي ويدخل فيه الأمر والنهي والإباحة.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ [الحج:٧٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾ [الإسراء:٣٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [البقرة:٢٧٥].

أما في القدر فهو من الكلام الخبري.

س٥٤-عرف الصفة والموصوف؟

الجواب: الصفة: هي الأمارة أي العلامة القائمة بذات الموصوف.

الموصوف: المعنىٰ القائم بذات الموصوف.

س٥٥-عرف الصفة باعتبار إضافتها لله تعالىٰ؟ مع ذكر أمثلة؟

الجواب: هي نعت كمال ثابت في النقل قائم بذات الله، لا يقوم بنفسه ولا ينفصل عن الموصوف كالعلم والرحمة والعزة ونحوها.

س٥٦- عرف وصف الفعل باعتبار إضافته لله تعالىٰ وذكر أمثلة؟

الجواب: كل نعت كمال ثابت في النقل ويتعلق بمشيئة الله تعالىٰ إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل ولا يرتبط بزمن أو مكان كالإحياء والإماتة والتقدير ونحوها.

س٥٧- عرف الفعل باعتبار إضافته لله تعالىٰ مع ذكر أمثلة؟

الجواب: كل نعت كمال قائم بذات الله ثابت في النقل ويتعلق بالمشيئة ويرتبط بزمان ومكان كالنزول والمجيء والاستواء ونحوها.

فصل

الأصول والأمثلة والقواعد لبيان مذهب السلف ومناقشة مخالفيهم

الأصل الأول

القول في بعض الصفات كالقول في بعض

س٥٨- اذكر الأصل الأول الذي وضعه شيخ الإسلام، ووضح المقصود منه، واذكر بعض الأمثلة، وعلىٰ من يرد شيخ الإسلام بهذا الأصل؟

الجواب: الأصل الأول: القول في بعض الصفات كالقول في بعض.

والمقصود بهذا الأصل أن ما يجب اعتقاده في بعض الصفات يجب اعتقاده في البعض الآخر، فإن تم إثبات بعضها يجب إثبات البعض الآخر ومن نفىٰ البعض يلزمه النفي للآخر وإلا تناقض لما أثبت ولما نفيت! وكذلك من زعم أن في إثبات بعضها تشبيهًا يلزمه أن في إثبات الكل تشبيهًا!

وكذلك من زعم أن في إثبات بعضها تمثيلًا يلزمه أن في إثبات الكل تمثيلًا.

الأمثلة: نعتقد ثبوت صفة العلم والقدرة وكل ما جاء به النص وكذلك نعتقد ثبوت صفة الاستواء – والضحك - والكلام- والعجب فإذا نفينا الاستواء والنزول والضحك يلزم نفي العلم والقدرة إذ لا فرق!

إن قلنا أن إثبات الغضب يلزم منه التشبيه كذلك إثبات الحياة والسمع

يلزم منها التشبيه ولا فرق.

ويرد شيخ الإسلام بهذا الأصل علىٰ كل الفرق المبتدعة الذين أثبتوا بعض الصفات وحرفوا البعض ومنهم الأشاعرة - الماتريدية- المعتزلة- الجهمية والفلاسفة.

س٥٩- عرف الأشاعرة ومذهبهم في الأسماء والصفات وبين الرد عليهم من خلال الأصل الأول، ولماذا سموا مبتدعة، وما غرضهم من تأويل وتحريف بعض الصفات؟

الجواب: الأشاعرة طائفة من أهل الكلام ينتسبون إلىٰ أبي الحسن الأشعري الإمام المتكلم المعروف، وهذا اللقب ينصرف عند الإطلاق إلىٰ أولئك الذين اتبعوه في فترة انتسابه إلىٰ ابن كلاب، ولذا قد نطلق عليهم أحيانًا «الأشعرية الكلابية».

أما قبل ذلك فهو معتزلي بل إمام في الاعتزال نحوًا من أربعين سنة. وبعد توبته من عقيدة الاعتزال وملازمته لابن كلاب فترة من الزمن رجع في آخر أيامه إلىٰ مذهب السلف، فالمنتسبون إلىٰ الأشعرية الآن هم أصحاب الطور الثاني.[١]

مذهبهم في الصفات: باطل حيث يقرون بسبع صفات فقط بحجة أن العقل دل عليها وهي الحياة – القدرة – العلم- الإرادة - الكلام- السمع- البصر ويحرفون غيرها من الصفات كالغضب والضحك فيفسرون الغضب

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص: ١٣٩).

بإرادة العقوبة والمحبة بإرادة الإنعام والثواب.

الرد عليهم: لا فرق بين ما أثبته الأشاعرة وبين ما نفوه إذ الكل ورد به النص فإن قال الأشعري نزول كنزول المخلوق.

قيل له: فكذلك سمعه كسمع المخلوق إذ لا فرق فإن شبهته في النزول بخلقه يلزمك أن تشبهه بخلقه في السمع والبصر الذي أثبته، وإن نفىٰ الأشعري جميع الصفات - ولن يفعل - وقع في التعطيل وعليه لا مفر للأشعري إلا أن يقول أن ما أثبتناه لله من صفات علىٰ ما يليق بالله تعالىٰ فيرد أهل السنة وكذلك ما أثبتناه نحن – أهل السنة - من جميع الصفات علىٰ ما يليق بالله تعالىٰ.

ويقال له: أن السمع دل علىٰ إثبات ما نفيته ولم يعارض هذا الدليل السمعي معارض عقلي ولا سمعي فيجب إثبات ما أثبته الدليل السالم عن المعارض المقاوم فالدلالة ليست منحصرة في العقل فهناك أدلة أخرىٰ فما لم يثبت بالدليل العقلي يمكن إثباته بالدليل السمعي. [(١)]

س٦٠- احتج الأشاعرة علىٰ مذهبهم الباطل بدلالة العقل علىٰ بعض الصفات فما هي؟

الجواب: قالوا الفعل الحادث يدل علىٰ القدرة والإتقان يدل علىٰ العلم والتخصيص يدل علىٰ الإرادة، وهذه لا تكون إلا من حي، والحي لا بد أن يكون سميعًا بصيرًا متكلمًا.

(١) ينظر تقريب التدمرية (ص: ٢٨)، وتوضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم (٢/ ٥٨)، ولوامع الأنوار البهية (١/ ٢٢٣).

وعليه فالذي أثبته الأشاعرة سبع صفات وهي: القدرة – العلم– الإرادة – الحياة – السمع –البصر –الكلام.

إلا أنهم يفسرون الكلام علىٰ غير معناه فيقولون هو المعنىٰ القائم بنفس الله وأن هذه الحروف خلقت خلقًا لتعبر عما في نفس الله.

س٦١ –وضح المراد بالفعل الحادث؟

الجواب: الفعل الحادث مصدر بمعنىٰ المفعول والحادث أي المخلوق وهو ما لم يكن فكان. فهذه المخلوقات دالة علىٰ قدرة الخالق.

مثال ذلك: الإنسان لم يكن قبل أن يكون ثم كان فهو حادث وكذلك السموات والأرض وكل ما في الكون غير الله فهو حادث كان بعد أن لم يكن.

س٦٢ – الرد علىٰ الأشاعرة بدلالة العقل علىٰ ما حرفوه من الصفات بما أثبتوه منها؟

قبل الجواب هناك تعريفات لابد منها.

س٦٣ – ما الدليل؟ مع ذكر مثال؟

الجواب: الدليل هو ما يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، مثال ذلك: المخلوقات، العلم بها وبوجودها يلزم العلم بشيء آخر وهو الخالق.

س٦٤ –ما المدلول؟ مع ذكر مثال؟

الجواب: المدلول هو ما يلزم من العلم بشيء آخر العلم به، والدليل يسبق المدلول في الخلق، مثال ذلك: قولنا العلم بشيء آخر أي الدليل، كالبعرة لما علمنا بها علمنا بالمدلول وهو البعير.

س٦٥-ما الملازمة؟ مع ذكر مثال؟

الجواب: **الملازمة هي** كون الحكم مقتضيًا للآخر والأول هو الملزوم والثاني هو اللازم.

مثال ذلك: الأثر ملزوم والمسير لازم بمعنىٰ وجدنا أثرًا علىٰ الأرض فيلزم منه ولا بد أن هناك مسير لهذا الأثر وإلا فمن أين جاء الأثر.

س٦٦-عرف خارق العادة؟ مع ذكر مثال؟

الجواب: **خارق العادة**: وجود الملزوم دون اللازم.

مثال ذلك: أثر بدون مسير، ولد بدون وصول الماء إلىٰ رحم الأنثىٰ، ناقة بدون أم ولقاح.

تعريف آخر: تخلف الملزوم عن لازمه.

مثال ذلك: لا شمس مع النهار.

س٦٧-ما المراد بدلالة اللزوم؟ مع ذكر مثال؟

الجواب: هي دلالة الشيء علىٰ سببه وهو لازم لوجوده لزومًا عقليًّا يتصوره الذهن عند ذكر لفظه وسمي لازمًا لارتباطه بمدلول اللفظ وامتناعه عقلًا أن ينفك عنه، **مثال ذلك**: السيارة تدل علىٰ المصنع إذ لا يتصور عاقل قط سيارة بدون مصنع وكذلك الفاكهة عند من يبيعها لا يتصور عاقل قط إلا أنها من شجرة وهكذا.

وبعد هذه التعريفات يمكننا الآن الرد علىٰ الأشاعرة:

من باب التنزل مع المخاطَب وعلىٰ الفرض التسليم أن العقل ما دل إلا علىٰ هذه الصفات السبع وما دل علىٰ غيرها، نقول أن انتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول لأنه قد يكون لهذا المدلول دليل آخر يدل عليه غير الدليل المنتفي.

فعدم الدليل العقلي علىٰ ما نفيت من الصفات لا يدل علىٰ نفي تلك الصفات فليس لك أن تنفي ما لم يدل عقلك عليه.

مثال ذلك: أن الطريق المعهود الموصل إلىٰ مكة مغلق الآن فهل معنىٰ ذلك لا يمكن الوصول إلىٰ مكة؟

الجواب: بالطبع لا لأنه يمكن أن يكون لها طريق آخر غير الطريق المغلق.

وعليه إن كان العقل – جدلًا – لم يثبت إلا هذه الصفات السبع فهو لا ينفيها لأنها لا تتصادم معه، ومن نفىٰ عليه الدليل كما أن من أثبت فعليه الدليل، أيضًا فقد دل القرآن والسنة علىٰ ثبوت صفات لله تعالىٰ غير السبعة التي أثبتها الأشاعرة.

وبالتأمل نجد أن العقل الصريح يثبت الصفات التي حرفها الأشاعرة ولم يثبتوها ومن ذلك:

إحسان الله بعباده ونفعه لهم الذي لا ينكره أحد يدل علىٰ الرحمة وكما قلتم أن التخصيص يدل علىٰ الإرادة فبثبوت صفة الإرادة لله تعالىٰ خص بعض خلقه بالإحسان الذي يدل علىٰ الرحمة ولا فرق عند أصحاب العقول

الصريحة في إثبات صفة الرحمة وإثبات صفة الإرادة.

ومن ذلك: ولاية الله للطائعين خصهم الله تعالىٰ بذلك وإكرامهم وكذلك لرسله وأنبيائه تدل علىٰ المحبة.

وخص الله تعالىٰ العصاة بالعقاب في الدنيا والآخرة يدل علىٰ البغض والكره.

روىٰ الذهبي في كتابه العلو عن إِسْحَاق بن راهوية يَقُول: قَالَ لي ابْن طَاهِر: يَا أَبَا يَعْقُوب هَذَا الَّذِي ترويه ينزل رَبُّنَا كل لَيْلَة كَيفَ ينزل قلت أعز الله الْأَمِير لَا يُقَال كَيفَ إِنَّمَا ينزل بِلَا كَيفَ [ومراد إسحاق بلا كيف نعلمه] (١).

وقال الذهبي في العلو: وَقَالَ إِبْرَاهِيم بن أبي طَالب: سَمِعت أَحْمد بن سعيد الرباطي يَقُول: حضرت مجْلِس ابْن طَاهِر وَحضر إِسْحَاق فَسئلَ عَن حَدِيث النُّزُول أصحيح هُوَ؟ قَالَ: نعم، فَقَالَ لَهُ بعض القواد [القادة]: كَيفَ ينزل قَالَ: أثْبته فَوق حَتَّىٰ أصف لَك النُّزُول فَقَالَ الرجل أثْبته فَوق فَقَالَ إِسْحَاق: قَالَ الله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر:٢٢]، فَقَالَ ابْن طَاهِر: هَذَا يَا أَبَا يَعْقُوب يَوْم الْقِيَامَة فَقَالَ: وَمن يَجِيء يَوْم الْقِيَامَة من يمنعهُ الْيَوْم(٢).

والمراد أن العقل الصريح يسلم بمجيء الله تعالىٰ يوم القيامة والملائكة

(١) رواه أبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف رقم ٤١، وذكره الذهبي في العلو - مختصرة- رقم ٢٣٦، ورجاله ثقات.
(٢) العلو للذهبي [١/ ١٧٩].

فما الذي يمنعه من التسليم بالنزول إلىٰ السماء الدنيا؟ الجواب اتباع الهوىٰ.

روىٰ البيهقي عن إِسْحَاقَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيَّ، يَقُولُ: جَمَعَنِي وَهَذَا الْمُبْتَدِعُ - يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَبِي صَالِحٍ - مَجْلِسُ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاهِرٍ فَسَأَلَنِي الْأَمِيرُ عَنْ أَخْبَارِ النُّزُولِ فَسَرَدْتُهَا، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: كَفَرْتُ بِرَبٍّ يَنْزِلُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَىٰ سَمَاءٍ. فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَبٍّ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ(١).

س٦٨- هل يلزم لكل من يتكلم أن يكون له أدوات الكلام من لسان وشفتان وحنجرة وأسنان؟

الجواب: لا يلزم ذلك بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴿٤﴾ ﴾ [الزلزلة:٤].

روىٰ الترمذي وقال حسن صحيح من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا** ﴿٤﴾ ﴾ [الزلزلة:٤]، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟**»، قَالَ: قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، أَنْ تَقُولَ عَمِلَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا**»، قَالَ: «**فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا**» وجه الاستدلال أن الأرض تنطق بغير أدوات الكلام، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ [فصلت:٢١](٢).

(١) الأسماء والصفات للبيهقي [٩٥١].
(٢) أخرجه الترمذي [٢٤٢٩]، وضعفه الألباني في الضعيفة [٤٨٣٤].

قال ابن كثير: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ [فصلت:٢١] أَيْ: لَامُوا أَعْضَاءَهُمْ وَجُلُودَهُمْ حِينَ شَهِدُوا عَلَيْهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَجَابَتْهُمُ الْأَعْضَاءُ: ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [فصلت:٢١] أَيْ: فَهُوَ لَا يُخَالَفُ وَلَا يُمَانَعُ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت:٢١][1].

وقد أخبر النبي ﷺ أنه كان يسمع تسليم الحجر والشجر عليه، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ**» [2] وأسمع أصحابه تسبيح الحصىٰ.

فمن المعلوم عند الناس أن التكلم بالعبارة والحرف والصوت ليس موقوفًا علىٰ الآلات التي يتكلم بها الإنسان، بل قد يتكلم المخلوق بغيرها فكيف الخالق ﷻ؟ فلم يلزم من تَكلُّم الله ﷻ أن يكون له جوف أو غير ذلك مما هو مُنزَّه عنه.

س٦٩- ما التفويض؟

الجواب: هو إجراء النصوص علىٰ ظاهرها من غير فهم لمعناها فليس لها معنىٰ مفهوم عند من يقول بالتفويض، وربما قال بعضهم لها تأويل لا يعلمه إلا الله تعالىٰ

وقيل هو: رد العلم بنصوص الصفات والمعاد إلىٰ الله تعالىٰ: معنىٰ وكيفية أو كيفية فقط.

(١) تفسير ابن كثير [٧/ ١٥٥].
(٢) رواه مسلم (٢٢٧٧).

والتفويض المبتدع: هو تفويض المعاني والكيفيات معًا وهو مذهب أهل التجهيل وحقيقة الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ولا فهم لمراد الله ورسوله منها.

وهو خلاف ما كان عليه السلف وهم طائفتان: الأولىٰ تقول: إن المراد بهذه النصوص خلاف مدلولها الظاهر، ولا يعرف أحد من الأنبياء ولا الملائكة ولا الصحابة ولا أحد من الأمة ما أراد الله بها.

والثانية تقول: بل تجري علىٰ ظاهرها وتحمل عليه، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله تعالىٰ.

س٧٠- ماحكم القول بالتفويض؟

الجواب: قول محدث مبتدع قال شيخ الإسلام أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد. (١)

وقال أيضًا: ولهذا كان ابن النفيس المتطبب الفاضل يقول: ليس إلا مذهبان: مذهب أهل الحديث، أو مذهب الفلاسفة، فأما هؤلاء المتكلمون فقولهم ظاهر التناقض والاختلاف، يعني أن أهل الحديث أثبتوا كل ما جاء به الرسل، وأولئك -الفلاسفة- جعلوا الجميع تخيلًا وتوهيمًا.

ومعلوم بالأدلة الكثيرة السمعية والعقلية فساد مذهب هؤلاء الملاحدة،

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).

فتعين أن يكون الحق مذهب السلف أهل الحديث والسنة والجماعة. (١)

فالقول بالتفويض شَرٌّ من التأْويل، ومن نَسب التفويض إِلىٰ أَنه قول السلف، وفي مقدمتهم الصحابة رضي الله عنهم فقد جَهِلَ مذهبهم، وَجَهَّلَهم، وكذب عليهم.

والقول بالتفويض يقتضي أن الله سبحانه خاطب عباده بما لا يفهمه أحد وهذا خلاف ما وصف الله به كتابه من البيان والهدىٰ والشفاء.

س٧١- ما غرضهم من القول بالتفويض؟

الجواب: تنزيه الله تعالىٰ - كذا زعموا - قال قائلهم:

وكل نص أوهم التشبيه ... أوله أو فوض ورم تنزيها

س٧٢- اذكر القدر المشترك بين المفوضة وبين المؤولة؟

الجواب: أهل التأويل يشتركون مع أهل التفويض في نفي الصفة وتعطيل النص عن معناه الحقيقي الدال علىٰ وصف الله تعالىٰ بما يليق به سبحانه ولكنهم يختلفون في المراد من النص فقال أهل التفويض: ليس له معنىٰ مفهوم، وأهل التأويل قالوا: له معنىٰ مفهوم غير الظاهر الذي دل عليه ثم يفسرونه بالإرادة أو ببعض المفعولات.

س٧٣- مثِّل لما سبق؟

الجواب: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، قال أهل

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٣).

التفويض استوىٰ لفظ ليس له معنىٰ مفهوم عندنا فنفوض معناه إلىٰ الله تعالىٰ، أما أهل التأويل قالوا ليس علىٰ ظاهره بل المراد منه الاستيلاء، وكذلك المحبة والغضب والنزول أما أهل السنة أثبتوا الاستواء بمعناه المعلوم في لغة العرب وهو العلو والارتفاع والاستقرار وفوضوا العلم بالكيفية لله تعالىٰ.

س٧٤- ما الرد علىٰ أهل التفويض الضلال؟

الجواب: أولًا: مذهب أهل السنة ليس في كلام الله ولا كلام رسوله ﷺ ما لا يعلم معناه، بل لا بد أن يكون معلومًا للأمة، الدليل: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

ويقال:

١- لو كان ما أخبر الله به من صفات لا يعلم لها معنىٰ لكان بعض الشريعة مجهولًا للأمة.

٢- لو كانت نصوص الصفات غير معلومة المعنىٰ لناقض وصف الله لكتابه بالبيان ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥].

٣- أيضًا لو كان هناك نصوص معناها مجهول لأدىٰ ذلك إلىٰ القدح في كمال الدين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣].

٤-الله تعالىٰ أمرنا أن نتدبر القرآن مطلقًا ولم يستثن منه شيئًا قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩] فلو كان فيه ألفاظ مجهولة المعنىٰ فكيف يأمرنا بتدبره.

قال شيخ الإسلام: أما التفويض: فإن من المعلوم أن الله تعالىٰ أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضنا علىٰ عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟؟.. فعلىٰ قول هؤلاء: يكون الأنبياء والمرسلون لا يعلمون معاني ما أنزل الله عليهم من هذه النصوص، ولا الملائكة، ولا السابقون الأولون. وحينئذ فيكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلامًا لا يعقلون معناه. وكذلك نصوص المثبتين للقدر عند طائفة، والنصوص المثبتة للأمر والنهي والوعد والوعيد عند طائفة، والنصوص المثبتة للمعاد عند طائفة. ومعلومٌ أن هذا قدحٌ في القرآن والأنبياء؛ إذ كان الله أنزل القرآن وأخبر أنه جعله هدىٰ وبيانًا للناس، وأمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، وأن يبين للناس ما نزّل إليهم، وأمر بتدبر القرآن وعقله. ومع هذا فأشرف ما فيه؛ وهو ما أخبر به الربّ عن صفاته، أو عن كونه خالقًا لكل شيء، وهو بكل شيء عليم، أو عن كونه أمرًا ونهيًا، ووعدًا وتوعدًا، أو عما أخبر به عن اليوم الآخر، لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين. وعلىٰ هذا التقدير: فيقول كل ملحد ومبتدع: الحق في نفس الأمر ما علمته برأيي وعقلي، وليس في النصوص ما يُناقض ذلك؛ لأن تلك النصوص مشكلة متشابهة، لا يعلم أحد معناها، وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يُستدلّ به. فيبقىٰ هذا الكلام سدًّا لباب الهدىٰ والبيان من جهة الأنبياء، وفتحًا لباب من يعارضهم ويقول: إن الهدىٰ والبيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء؛ لأنا نحن نعلم ما نقول ونبينه بالأدلة العقلية، والأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلًا عن أن يُبينوا مرادهم. فتبين أن قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من

شر أقوال أهل البدع والإلحاد»[١].

س ٧٥- بين تناقض أهل التأويل فيما ذهبوا إليه؟

الجواب: قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران:٣١].

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَـٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ [النساء:٩٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ [البينة:٨].

وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ [محمد:٢٨] ونحو ذلك من الآيات أوَّل الأشاعرة محبة الله ورضاه بإرادته للثواب، فيلزمهم من إثبات الإرادة للثواب نفس المحذور من إثبات المحبة والرضىٰ، فالمعنىٰ المصروف عنه هو المحبة والغضب والسخط، والمعنىٰ المصروف إليه- هو الإرادة- فاتضح أن من تأول النصوص علىٰ معنىٰ من المعاني التي يثبتها لزمه من المحذور في المعنىٰ المصروف إليه ما كان يلزمه في المعنىٰ المصروف عنه.

س٧٦- اذكر مزيدًا من التناقض لأهل التأويل؟

الجواب: ذهب أهل التأويل إلىٰ تأويل المحبة والرضىٰ والغضب والسخط بما يخلقه الله تعالىٰ من الثواب والعقاب أي بمفعولات الله تعالىٰ،

(١) درء تعارض العقل والنقل [١/ ٢٠١].

ففسروا المحبة والرضىٰ بالجنة المخلوقة، والغضب والسخط بالنار المخلوقة، فيلزمه من ذلك نظير ما فر منه، وبيان ذلك أن الفعل لابد أن يقوم أولًا بالفاعل، فالكلام لابد أن يقوم بمتكلم والقدرة لابد أن تقوم بقادر وهكذا فهذه المخلوقات المفعولات التي فسروا بها الصفات لابد أن تكون موجودة بفعل قام بالفاعل فعلىٰ قولهم هذا يلزم التشبيه الذي فروا منه وكذلك الثواب والعقاب الذي أثبتوه إنما يكون ممن يحب ويرضىٰ ويغضب ويسخط وأيضًا يقال لهم إن فعل الرب الذي حصلت به تلك المفعولات المخلوقات من الثواب والعقاب إما أن يجعلوه مثل فعل العبد فهذا هو المحذور الذي فروا منه وإما أن يجعلوه علىٰ وجه يليق بالله تعالىٰ وهو الحق ويرجعوا إلىٰ قول أهل السنة والجماعة.

س٧٧- عرف العلة الغائية والعلة الفاعلة؟

الجواب: **العلة الغائية**: هي المقصد أو الغاية من وجود الشيء فلولا هذا المقصد ما وجد الشيء وهذه العلة هي الباعث علىٰ وجود الشيء قبل وجوده والهدف منه بعد وجوده.

مثال ذلك: العلة الغائية من خلق الخلق إفراد الله تعالىٰ بكل أنواع العبادات قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، قال ابن عباس إلا ليوحدون والعلة الغائية من العبادة تحقيق تقوىٰ الله ولابد أن تتحقق العلتان وأحدهما مبنية علىٰ الأخرىٰ الدليل علىٰ ذلك قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١].

العلة الفاعلة: هي سبب وجود الشيء فيقال العلة الفاعلة من وجود الخلق قدرة الله التي باشرت الفعل وكذلك الإرادة جزء من العلة الفاعلة ومع اجتماع الإرادة الجازمة والقدرة التامة يحصل المراد، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨٢].

س٧٨- ما الأصل في إثبات صفات الله تعالىٰ؟

الجواب: الأصل في ذلك الكتاب والسنة.

فصفات الله تعالىٰ توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالىٰ من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة علىٰ ثبوته فأهل السنة ينزهون الله عن كل نقص ولا يعطلون النصوص الواردة في إثبات الصفات.

قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ رحمه الله تَعَالَىٰ: لَا يُوْصَفُ اللهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُوْلُهُ، لَا يُتَجَاوَزُ القُرْآنُ وَالحَدِيْثُ»[١].

س٧٩- مجيء الصفات في القرآن أو السنة من باب الإخبار أم من باب الإنشاء؟

الجواب: هو من الإخبار بإجماع العلماء.

س٨٠- ما هي مقومات قبول الخبر ممن أخبر به؟

الجواب: هي كمال العلم وكمال الصدق وكمال البيان وكمال القصد والإرادة وقد اجتمعت كلها في الرسول ﷺ.[٢]

---

(١) ذَكَرَهُ أَبُو عُثْمَان الصَّابُوْنِيُّ رحمه الله (ت ٤٤٩هـ) فِي كِتَابِهِ (عَقِيْدَةُ السَّلَفِ وَأَصْحَابِ الحَدِيْثِ) (ص٦٣).

(٢) تقريب التدمرية (ص: ٥١).

س٨١- تنقسم صفات الله تعالىٰ إلىٰ أقسام باعتبارات معينة اذكرها؟

وصفات الله ﷻ تنقسم عند أهل السنة والجماعة إلىٰ قسمين باعتبار ورودها في النصوص:

✍ **أولاً: صفات ثبوتية:**

وهي ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجهٍ من الوجوه كالحياة والعلم والقدرة والاستواء علىٰ العرش والنزول كل ليلة إلىٰ السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل والوجه واليدين ونحو ذلك.

والصفات الثبوتية تنقسم إلىٰ ثلاثة أقسام باعتبار تعلقها بالله:

أ ـ صفات ذاتية.

ب ـ صفات فعلية.

ج: صفات ذاتية فعلية.

۞ **أ ـ الصفات الذاتية:**

■ **ضابطها:** هي نعت كمال ثابت في النفل قائمًا بذات الله لا يقوم بنفسه ولا ينفصل عن الموصوف كالحياة والعلم واليدين والوجه والساق والقدرة.. الخ.

■ **وهي تنقسم إلىٰ قسمين:**

١ـ صفات ذاتية خبرية: وهي التي تثبت عن طريق الخبر، ولو لم يرد النص بها لم يستطع العقل وحده معرفتها لكنه مع ذلك لا ينفيها.

ضابطها: أنها التي مسماها لنا أبعاض وأجزاء ويجب الحذر من القول أنها أبعاض لله أو أجزاء له كاليدين والوجه والساق والقدم والأصابع والعينيين.

٢ـ صفات ذاتية معنوية: وهي ما كان دالًّا علىٰ معنىٰ أو التي ليست مسماها لنا أبعاض وأجزاء وتسمىٰ بالصفات العقلية لأن العقل دل عليها فلو لم يأت النص لاهتدىٰ العقل إليها.

وقيل: إن العقل لا يستقل بذلك بل يدل عليه بخلاف الأول فإنها خبرية محضة ولا مجال للعقل فيها [١].

۞ ب ـ الصفات الفعلية (وصف الفعل):

■ **ضابطها**: هي نعت كمال ثابت في النفل قائم بذات الله ويتعلق بمشيئة الله وقدرته ولا يتعلق بزمن.

■ **وتنقسم إلىٰ قسمين**:

١ـ صفات فعل خبرية: وهي الصفات التي ثبتت بالدليل النقلي المحض (الكتاب والسنة) والتي لا يمكن الاهتداء إليها ومعرفتها بالعقل لولا ورود النص بها، ولو لم يرد بها النص لما استطاع العقل أن يعرف عنها شيئًا لكنه مع ذلك لا ينفيها كالاستواء والنزول والمجيء والعجب والفرح.

٢ـ صفات فعل عقلية: وهي الصفات التي يمكن للعقل إدراكها وورد النص بها ولو لم يأت النص بها لأدركها العقل كالخلق والإحياء والإماتة

---

(١) انظر معالم التوحيد، والصفات الإلهية للشيخ محمد آمان الجامي رحمه الله صـ٢٥٤.

والرزق.

ومن ناحية أخرىٰ فإن أفعال الله تعالىٰ تنقسم إلىٰ قسمين من جهة تعلقها بمتعلقها:

١ـ ما كان منها متعلقًا بالذات الإلهية فهو أفعال لازمة وهي ما تعدت بمفعولها بحرف الجر، كالتكلم والنزول إلىٰ السماء والاستواء علىٰ العرش ومجيء الله تعالىٰ يوم القيامة والاتيان.

٢ـ ما كان منها متعديًا إلىٰ غيره بلا حرف جر كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والاهتداء والإرشاد والإضلال وأنواع التدبير الأخرىٰ.

قال ابن القيم: وأفعاله سبحانه نَوْعَانِ: لَازِمَةٌ وَمُتَعَدِّيَةٌ، كَمَا دَلَّتِ النُّصُوصُ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ عَلَىٰ النَّوْعَيْنِ كَالْمَجِيءِ وَالْإِتْيَانِ وَالذَّهَابِ وَالْهُبُوطِ، هَذِهِ أَنْوَاعُ الْفِعْلِ اللَّازِمِ الْقَائِمِ بِهِ، كَمَا أَنَّ الْخَلْقَ وَالرِّزْقَ وَالْإِمَاتَةَ وَالْإِحْيَاءَ وَالْقَبْضَ وَالْبَسْطَ أَنْوَاعٌ لِلْفِعْلِ الْمُتَعَدِّي، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مَوْصُوفٌ بِالنَّوْعَيْنِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا كَقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤](١).

۞ ج ـ الصفات الذاتية الفعلية:

ضابطها: وهي التي إذا نظرت إلىٰ نوعها وجدت أن الله تعالىٰ لم يزل ولا يزال متصفًا بها، فهي لازمة لذاته.

---

(١) مختصر الصواعق [١/ ٤٧٠].

وإذا نظرت إلىٰ آحادها وجدت أنها تتعلق بمشيئتهِ وليست لازمة لذاتهِ.

كصفة الكلام فإنها باعتبار نوعه من الصفات الذاتية؛ لأن الله لم يزل ولا يزال متكلمًا فكلامه من كماله الواجب له سبحانه.

وباعتبار آحاد الكلام - أعني باعتبار الكلام المعين الذي يتكلم به سبحانه متىٰ شاء - من الصفات الفعلية، لأنه كان بمشيئته سبحانه كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس:٨٢].

وكذلك صفة الخالقية فإنها باعتبار أصل الخلق صفة ذاتية لأن الله لم يزل ولا يزال خالقًا، فالخالقية من كماله الواجب له سبحانه.

وباعتبار آحاد الخالقية صفة فعلية فإن الله تعالىٰ يخلق ما شاء متىٰ شاء علىٰ أي هيئة شاء. (١)

✍ ثانيًا: سلبية منفية:

وهي ما نفاه الله تعالىٰ عن نفسه في كتابه أو علىٰ لسان رسوله ﷺ وكلها صفات نقص في حقه كالموت والنوم والجهل والنسيان الذي هو ضد الذكر والعجز والتعب.

فيجب نفيها عن الله تعالىٰ مع إثبات ضدها علىٰ الوجه الأكمل فنقول:

الموت: ضده كمال الحياة .

الجهل: ضده كمال العلم.

---

(١) ينظر مجموع رسائل وفتاوىٰ العثيمين (١/ ١٢٥) وكتاب شرح القواعد المثلىٰ صـ ١٣٨.

النوم: ضده كمال القيومية.

النسيان: ضده كمال الذكر.

العجز: ضده كمال العلم والقدرة.

التعب: ضده كمال القوة والقدرة.

وذلك لأن ما نفاه الله تعالىٰ عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده لا لمجرد نفيه، لأن النفي ليس لكمال أي النفي المحض إلا أن يتضمن ما يدل علىٰ الكمال وذلك لأن النفي عدم والعدم ليس بشيء فضلًا عن أن يكون كمالًا، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له فلا يكون كمالًا كما لو قلت: الجدار لا يظلم وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصًا كما في قول الشاعر:

قبيلة لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

فهؤلاء يمتنعون عن الغدر وعن الظلم لأنهم ضعفاء. (١)

فأثبت أهل السنة والجماعة جميع الصفات الذاتية منها والفعلية وأثبتوا أن الله تعالىٰ متصف بذلك أزلًا وأن الصفات الناشئة عن الأفعال موصوفٌ الله بها في القدم والأزل وإن كانت المفعولات محدثة.

س٨٢- متىٰ تذكر الصفات السلبية؟

الجواب: تذكر الصفات السلبية في الحالات الآتية:

(١) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ (ص: ٢٣).

١ـ نفي ما ادعاه الكاذبون في حقه كما في قوله تعالىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ [المؤمنون:٩١]، وقال تعالىٰ: ﴿ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ ﴾ [مريم:٩١٩٢]، وقوله: ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام:١٠١] فهنا نفي خاص للولد والمصاحبة والنفي الخاص ليس مدحًا ولكن الله نفىٰ ما ادَّعىٰ الكاذبون في حقهِ.

٢ـ دفع توهم نقص في كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين كما في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الدخان:٣٨]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق:٣٨] أي إعياء وتعب؛ لأنه بعد خلقها قد يتوهم التعب فدفع ذلك التوهم كما توهم ذلك اليهود.

٣ـ بيان عموم كماله (نفي المماثلة العامة) كما في قوله تعالىٰ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١]، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤].

٤ـ كون الصفة كمالًا عند المخلوق فيتوهم كمالها في حقه تعالىٰ فينفيها كقوله تعالىٰ: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ ﴾ [الإخلاص:٣][1].

---

(١) يراجع القواعد المثلىٰ للعثيمين، وكتاب التوضيحات الأثرية علىٰ متن التدمرية صـ٥٣.

✍ **فَائِدَة:**

الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّةُ عِنْدَ الأشاعرة هِيَ الَّتِيْ تَسْلِبُ عَنِ اللهِ تَعَالَىٰ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَهِيَ خَمْسُ صِفَاتٍ عَلَىٰ اصْطِلَاحِهِم وَهِيَ (البَقَاءُ، القِدَمُ، مُخَالَفَتُهُ لِلحَوَادِثِ، قِيَامُهُ بِنَفْسِهِ، الوَحْدَانِيَّةُ). (١)

والصفات السلبية (السلوب) هي الصفة التي تدل علىٰ النفي المحض دون الدلالة علىٰ معنىٰ قائم به، كقولهم: موجودًا أي مسلوب عنه العدم(٢).

س٨٣–ما هي كيفية ورود الصفات في الكتاب والسنة؟

ترد الصفات في الكتاب والسنة علىٰ ثلاثة أوجه:

الأول: التصريح بالصفة قال تعالىٰ: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء:١٦٦].

الثاني: تضمن الاسم الثابت لله تعالىٰ الصفة فاسم الخالق يتضمن صفة الخالقية، والعليم يتضمن صفة العلم وهكذا كل أسمائه.

الثالث: التصريح بفعل دل علىٰ الوصف قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:١٦٤].

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد (ص: ٣٤٧).
(٢) شرح الرسالة التدمرية (ص: ١٠١).

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر:٢٢].

س٨٤- اذكر الأدلة علىٰ ما أثبته من صفات وكذلك ما نفيته؟

الجواب: العلم قال تعالىٰ: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ [النساء:١٦٦].

الحي قال تعالىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨].

القدرة: قال تعالىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [آل عمران:١٨٩].

روىٰ ابن حبان عن سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ **وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ** ﴾ [إبراهيم:٤٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾ [يونس:٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق:٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقال تعالىٰ: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة:٦٤].

روىٰ الشيخان من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لاتَزَالُ جَهَنَّمُ**

---

(١) أخرجه ابن حبان [٨٧٦]، وأبو داود [١٤٨٨]، وصححه الألباني في « الترغيب » [١٦٣٥].

تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ﴾ [الرعد:٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يونس:٥٦].

روىٰ الشيخان عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»(٢).

س٨٥-عرِّف المعتزلة وبيِّن مذهبهم في الصفات والرد عليهم وما حجتهم في إثبات الأسماء دون الصفات وما الرد عليهم؟

الجواب: المعتزلة فرقة من الفرق المنحرفة عن الحق هم أتباع واصل ابن عطاء الغزال تلميذ الحسن البصري، وكان زمنه بين أيام عبد الملك بن مروان وأولاده الثلاثة وعمر بن عبد العزيز، وكان اعتزل الحسن البصري بسبب قوله في مرتكب الكبيرة، وذلك أنه جاء رجل إلىٰ حلقة الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر وجماعة يرجئونهم فلا تضر مع الإيمان عندهم كبيرة، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادًا؟ فتفكر الحسن في ذلك وقبل

(١) أخرجه البخاري [٦٦٦١]، ومسلم [٢٨٤٨].
(٢) أخرجه البخاري [١١٤٥]، ومسلم [٧٥٨].

أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم قام واعتزل إلىٰ اسطوانة المسجد يقرر ما أجاب عن هذه المسألة.

فقال الحسن البصري: «اعتزل عنا واصل، فسمي هو وأصحابه معتزلة، وسلكت المعتزلة منهجًا عقليًّا في العقيدة، وهم فرق كثير لكل فرقة آراء تميزت بها، لكن اتفقوا علىٰ أصول خمسة هي: التوحيد، والعدل والوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهم تفسيراتهم المنحرفة لهذه الأصول. (١)

ومذهبهم في الصفات: لا يثبتون إلا صفة الوجود أو الحياة والعلم والقدرة فقط وكذلك يثبتون الأسماء بلا معنىٰ فالأسماء عندهم أعلام محضة فالعليم عندهم بلا علم والقدير بلا قدرة.

حجتهم في إثبات الأسماء دون الصفات: قال المعتزلي: إذا أثبتنا لله صفات يقتضي التشبيه والتجسيم لأننا لا نجد في الشاهد متصفًا بالصفات إلا ما هو جسم.

الرد عليهم فيما قالوه: إن ادعيت أن إثبات الصفات يلزم التمثيل فكذلك إثبات الأسماء يقتضي التمثيل لأننا لا نجد في الشاهد ما له اسم إلا وله جسم فيلزم المعتزلي من ذلك إما أن ينفي الأسماء كما ينفي الصفات وإما أن

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٥)، والفرق بين الفرق (٢٠)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٥٠)، والتنبيه والرد للملطي (٣٥ - ٤١)، والبرهان في عقائد أهل الأديان (٢٦، ٢٧)، والانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية الأشرار (١/ ٦٨).

يكون متناقضًا.

س٨٦- المعطلة مثَّلوا الله بالممتنعات والمعدومات والجمادات وضِّح ذلك وما الذي حملهم علىٰ ذلك؟

الجواب: قالوا: لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر ولا يجيء لفصل القضاء فهذا تشبيه بالجمادات، وقالوا: أنه لا داخل العلم ولا خارجه ولا فوق ولا تحت فهذا تشبيه بالمعدومات، وقالوا: ليس بحي ولا ميت ولا موجود ولا معدوم فهذا تشبيه بالممتنعات.

والذي حملهم علىٰ ذلك: قالوا - وكذبوا -: لأننا إذا وصفنا الله بالإثبات شبهناه بالموجودات وإن وصفناه بالنفي شبهناه بالمعدومات. ففروا من هذا فوقعوا فيما هو شر منه وشبهوه بالممتنعات تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

س٨٧- ما مدىٰ قابلية الأشياء للوجود والعدم والعلم والجهل؟

الجواب: كل شيء لا بد أن يكون قابلًا للوجود أو للعدم فإن كان موجودًا فهو قابل للوجود وإن كان معدومًا فيكون قابلًا للعدم.

أما العلم والجهل فليس كل شيء يكون قابلًا للعلم أو قابلًا للجهل **مثال ذلك**: الجدار لا يقبل العلم ولا الجهل ولو شاء الله تعالىٰ لجعل الجدار قابلًا للعلم وقابلًا للجهل.

س٨٨- عرف الجهمية وشبهتهم في نفي الصفات والرد عليهم؟

الجواب: الْجَهْمِية أتباع جهم بن صَفْوَان الذي قَالَ بالإجبار والاضطرار إلىٰ الأعمال وأنكر الاستطاعات كلهَا وَزعم أن الْجنَّة وَالنَّار تبيدان وتفنيان

وَزعم أَيْضا أن الإيمان هُوَ الْمعرفَة بِاللهِ تَعَالَىٰ فَقَط وأن الْكفْر هُوَ الْجَهْل بِهِ فَقَط، وَقَالَ لا فعل وَلَا عمل لأحَدٍ غير الله تَعَالَىٰ وإنما تنْسب الأعمال إلىٰ المخلوقين علىٰ الْمجَاز كَمَا يُقَال زَالَت الشَّمْس ودارت الرَّحَىٰ من غير أَن يَكُونَا فاعلين أو مستطيعين لما وصفتا بِهِ، وَزعم أيضًا أَن علم الله تَعَالَىٰ حَادث وَامْتنع من وصف الله تَعَالَىٰ بأنه شيء أو حي أَوْ عَالم أَو مُرِيد وَقَالَ لَا أصفه بوصف يجوز إطلاقه علىٰ غَيره كشيء مَوْجُود وحي وعالم ومريد وَنَحْو ذَلِك وَوَصفه بأنه قَادر وموجود وفاعل وخالق ومحيي ومميت لِأَن هَذِه الأوصاف مُخْتَصَّة بِهِ وَحده، وَقَالَ بحدوث كَلَام الله تَعَالَىٰ كَمَا قالته الْقَدَرِيَّة وَلم يسم الله تَعَالَىٰ متكلمًا بِهِ وأكفره أَصْحَابنَا فِي جَمِيع ضلالاته وأكفرته الْقَدَرِيَّة فِي قَوْله بِأَن الله تَعَالَىٰ خَالق أعمال الْعباد فاتفق أَصْنَاف الأمة علىٰ تكفيره وَكَانَ جهم مَعَ ضلالاته الَّتِي ذَكرنَاهَا يحمل السِّلَاح وَيُقَاتل السُّلْطَان وَخرج مَعَ شُرَيْح بن الْحَرْث علىٰ نصر بن يسَار وَقتله سلم بن أَحْوَزَ المازني فِي آخر زمَان بني مَرْوَان وأتباعه بنهاوند خرج إليهم إسماعيل بن إبراهيم بن كبوس الشيرازي الديلي فَدَعَاهُمْ إلىٰ مَذْهَب أبي الْحسن الأشعري فأجابه قوم مِنْهُم وصاروا مَعَ أهل السّنة يدًا وَاحِدَة.(١)

وقد أخذ الجهم مذهبه هذا عن الجعد بن درهم عن أبان بن سمعان عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم عن لبيد بن الأعصم الساحر اليهودي الذي سحر النبي ﷺ ويطلق هذا اللقب – أي الجهمية – علىٰ كل من عطل

(١) الفرق بين الفرق (عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفىٰ: ٤٢٩هـ) (ص: ١٩٩).

الصفات.

شبهتهم في نفي الصفات: هي نفس شبهة غيرهم من أهل البدع ممن نفوا الصفات أن إثبات الصفات يلزم منه التشبيه بالموجودات المحسوسة، وأيضًا الجهمية لما نفوا الصفات قالوا عن الله -تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا- «ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا سميع ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارجه إلىٰ غير ذلك» فلذلك شبهوه - تعالىٰ الله عن ذلك - بالمعدومات وهم بذلك جمعوا بين النقيضين.

الجواب عن شبهة الجهمية: علىٰ فرض التسليم والتنزل مع المخاطَب بأن إثبات الصفات يلزم منه التشبيه بالموجودات فكذلك تشبيه الجهمية الله بالمعدومات لما قالوا «ليس بموجود ولا حي ولا عليم ولا سميع ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارجه إلىٰ غير ذلك» أقبح بكثير من التشبيه بالموجودات فإن زعموا أن نفي الصفات تنزيه فلما شبهوه بالمعدومات أين التنزيه الذي زعموه!

إثبات الأسماء لله تعالىٰ وكذلك الصفات غاية ما يلزم منه هو إثبات قدر مشترك كلي عند الإطلاق في الأذهان فقط بين الخالق والمخلوق وهذا القدر المشترك الذهني لا يلزم منه تشبيه ولا تمثيل لأنه لا وجود له في الخارج إلا مضافًا إلىٰ شيء وهذا الشيء إما أن يكون خالقًا أو مخلوقًا.

فالوجود المطلق بشرط الإطلاق لا وجود له في الخارج المحسوس وإنما هو أمر يفرضه الذهن ولا وجود له في الحقيقة وتكون حقيقة القول به نفي وجود الله تعالىٰ إلا في الذهن وهذا غاية التعطيل والكفر.

مثال ذلك: العلم-الحياة-السمع-القدرة هذه وغيرها يتخيلها الذهن فقط، أما عند وجودها في الواقع وفي الوجود فلا بد أن تكون مضافة إلىٰ شيء فنقول:

علم الله	علم سعيد
حياة الله	حياة الحيوان
سمع الله	سمع النحلة أو الفيل
قدرة الله	قدرة الأسد وقدرة البعوضة

فعند الإضافة يكون لكل مضاف من القدر المشترك ما يناسبه فعلم الله أزلي أبدي.

وعلم سعيد مسبوق بجهل وملحوق بعدم ونسيان، وحياة الله أولية أبدية، وحياة الحيوان مسبوقة بعدم وملحوقة بفناء وهكذا...

س٨٩- عرف العقل لغة واصطلاحًا وكيف يستدل علىٰ وجود العقل وأين يوجد العقل؟

أولًا: تعريف العقل في اللغة: يطلق علىٰ المنع والحبس، يقال: اعتُقل الرجل إذا حُبس.

ووجه تسمية العقل بهذا الاسم كونه يمنع صاحبه من التورط في المهالك ويحبسه عن ذميم القول والفعل.

العقل في الاصطلاح: غريزة وضعها الله تعالىٰ في قلوب المُمتحَنين من

عباده أقام به علىٰ البالغين الحجة، وأنه خاطبهم من جهة عقولهم، ووعد، وتوعد، وأمر، ونهىٰ، وحض، وندب.

تعريف آخر: العقل هو نور إلهي يقذفه الله في القلب ليتمكن به من المعرفة والإدراك.

يستدل علىٰ وجود العقل: بمعرفة آثاره علىٰ البدن فمن خلال حركات الآدمي وأفعاله وأقواله يعرف العقلاء أعنده عقل أم هو فاقد له.

مَكَانُ الْعَقْلِ: فِي الْقَلْبِ مَوْطِنُهُ؛ قَالَ تعالىٰ: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ** ﴾ [الحج:٤٦].

وجه الاستدلال قَالَ الشَّوْكَانِيُّ: «وَأَسْنَدَ التَّعَقُّلَ إِلَىٰ الْقُلُوبِ؛ لِأَنَّهَا مَحَلُّ الْعَقْلِ، كَمَا أَنَّ الْآذَانَ مَحَلُّ السَّمْعِ» (١).

فالفقه هو الفهم والعلم والمعرفة وآلة إدراك هذه الأشياء هي العقل.

س٩٠-ما أنواع العقل مع ذكر الأدلة علىٰ ذلك؟

دلت النصوص الشرعية علىٰ أن العقل نوعان:

الأول: العقل الذي هو مناط التكليف: الذي يتمكن به المكلف من فهم المعنىٰ وبوجوده يصح التكليف وهذا النوع من العقل أثبته الله تعالىٰ للكفار والدليل قال تعالىٰ: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ

---

(١) فَتْحَ الْقَدِيرِ، لِلشَّوْكَانِيِّ (٣/ ٥٤٤).

﴿كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [البقرة:٧٥].

النوع الثاني: العقل المستلزم لقبول الحجة والاستجابة لها: فهذا النوع نفاه الله ﷻ عن الكفار قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠].

س٩١- هل من قاعدة تضبط ما سبق؟ وهل العقل يتفاوت في مداركه أم أنه ثابت؟

الجواب: كل علم أو معرفة أو يقين وصف الله به جنسًا من الكفار فيراد به علم الإدراك وكل علم ذُكر في القرآن والسنة مضافًا إلىٰ المؤمنين فهو علم القبول.

والعقل يتفاوت من شخص إلىٰ آخر، دليل ذلك ما رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري، وفيه قال النبي ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»(١).

الشاهد: دل الحديث علىٰ نقصان عقل النساء عن الرجال علىٰ وجه الإجمال والعموم لا علىٰ وجه الإفراد والتعيين فلو كان العقل شيئًا واحدًا لا يتفاوت لما استقام ذلك فدل علىٰ أن العقل يتفاوت وكذلك العقل منحة إلهية وفضل من رب البرية يتفاوت تبعًا لحكمته سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) أخرجه البخاري [٣٠٤]، ومسلم [٨٠].

س٩٢- إذا كان العقل في القلب فكيف يتعرف علىٰ ما في الخارج منه؟

الجواب: يتعرف العقل علىٰ ما في الخارج عن طريق رسله الخارجية وهي الحواس الخمس وهي: السمع والبصر والشم والتذوق والحس [اللمس].

س٩٣-هل هذه الحواس مطلقة المدارك أم أنها مقيدة؟ وعرف العتبة المطلقة؟ واذكر أمثلة للعتبة المطلقة؟

هذه الحواس مقيدة المدارك لا تدرك كل شيء بل يخفىٰ عليها الكثير.

العتبة المطلقة: هي أقل كمية من المؤثر يمكن أن يتولد منها إدراك أو إحساس.

أمثلة للعتبة المطلقة:

١. **السمع** يسمع السامع دَقَّةَ الساعة في هدوء تام علىٰ بعد ثلاثين قدم، أما أكثر من ذلك فلا يدرك مع أن الساعة تدق.

٢. **البصر** يدرك المبصر شمعة مضيئة في ليلة مظلمة في جو صحو صاف علىٰ بعد ثلاثة أميال.

٣. **التذوق** يدرك طعم السُّكَّر في جالونين من الماء فيهما ملعقة صغيرة من السكر وإذا زاد الماء عن ذلك لا يدرك طعم السكر مع أنه موجود.

٤. **الشم**: يدرك رائحة العطر المتولد من قطرة صغيرة في غرفة مغلقة مساحتها ثلاثة أمتار في ثلاثة أمتار.

٥. **الإحساس**: يدرك الجلد جناح بعوضة إذا اقترب من صدغه بمسافة واحد سم.

س٩٤-هل العقل يدرك كل شيء؟ وما هي وظيفة العقل إذًا؟

الجواب: لا يمكن أبدًا لأي عقل أن يدرك كل شيء في الكون لأن رسله التي تمده بالمعلومات مداركها محدودة كما سبق.

وظيفة العقل هي: الْعَقْلُ مُوَظَّفٌ لِلْعَمَلِ بِالنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمُسْتَثْمَرٌ فِي فَهْمِ مَقَاصِدِهَا وَمَعْرِفَةِ دَلَالَتِهَا، وَهُوَ تَابِعٌ لِلنَّقْلِ لَا يُعَارِضُهُ فِي حُكْمٍ، وَلَا يَسْتَقِلُّ عَنْهُ بِتَصَوُّرٍ، بَلْ يَسْتَنِيرُ بِنُورِهِ وَيَهْتَدِي بِهُدَاهُ.

س٩٥- للعقل مع الشرع حالتان لا ثالث لهما اذكرهما؟

الجواب:

الأولىٰ: أن يدل علىٰ ما دل عليه الشرع فيكون شاهدًا أو مؤيدًا ومصدقًا، فيحتجون حينئذٍ بدلالة العقل علىٰ من خالف الشرع، وفي القرآن من هذا النوع شيء كثير كأدلة التوحيد والنبوة والمعاد، فتلك الأدلة هي عقلية شرعية.

الثانية: أن لا يدل علىٰ ما دل عليه الشرع لا نفيًا ولا إثباتًا، فحكم العقل إذًا جواز ما جاء به الشرع. أما أن يدل العقل علىٰ خلاف ما جاء به الشرع فيكون معارضًا له، فهذا ما لا يكون مع صحة النقل، ولهذا قال أهل السنة: إن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح، وقالوا إن الرسل جاؤوا بمحارات العقول لا بمحالات العقول.

أي إن الرسل لا يخبرون بما يحيله العقل، ولكن يخبرون بما يجيزه

العقل ويحار فيه وهذا تحديد موقف أهل السنة من العقل مع الشرع [(١)].

س٩٦- ما المراد بالنقل أو المنقول وبالسمع والمسموع؟

الجواب: المراد من ذلك النصوص الشرعية من كتاب الله تعالىٰ أو سنة رسوله ﷺ وسميت بذلك لأنها نقلت إلينا بالسند الصحيح عن طريق السماع.

س٩٧- هل يمكن أن يقع تعارض بين النصوص والعقل؟ وما سبب هذا التعارض إن وقع؟

الجواب: يستحيل أَنْ يَتَعَارَضَ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ مَعَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَإِنْ حَدَثَ فَهُوَ فِي الظَّاهِرِ وَمَرَدُّهُ إِلَىٰ احْتِمَالَيْنِ:

١-مَا ظَنُّهُ مَعْقُولًا لَيْسَ بِمَعْقُولٍ بَلْ هُوَ شُبُهَاتٌ.

٢-مَا ظَنَّهُ نَقْلًا لَيْسَ بِصَحِيحٍ لِسَبَبَيْنِ اثْنَيْنِ:

أ-عَدَمُ صِحَّةِ النَّقْلِ إِلَىٰ قَائِلِهِ.

ب-عَدَمُ فَهْمِ الْمُرَادِ مِنْهُ عَلَىٰ الْوَجْهِ الصَّحِيحِ.

س٩٨- هل في الشريعة شيء تحيله العقول؟ وما هي العلاقة بين العقل والنقل؟

الجواب: لا يوجد في الشريعة شيء تحيله العقول فَإِنَّ الشريعة تأتي بِمَا تَحَارُ فِيهِ الْعُقُولُ، وَلَا تأت بِمَا تُحِيلُهُ الْعُقُولُ، وإذا أحال العقل شيئًا جاءت به

(١) شرح الرسالة التدمرية (ص: ٣٤٩).

الشريعة فهذا العقل منكوس غير صريح.

فالْعَقْلُ الصَّرِيحُ لَا يُعَارِضُ النَّقْلَ الصَّحِيحَ، بَلْ يَشْهَدُ لَهُ وَيُؤَيِّدُهُ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ وَاحِدٌ، فَالَّذِي خَلَقَ الْعَقْلَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّقْلَ، فَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يُرْسِلَ إِلَيْهِ مَا يُفْسِدُهُ ويضله

والعلاقة بين العقل والنقل كالعلاقة بين العين وضوء الشمس فكما أن العين لا ترىٰ إلا بنور الشمس فكذلك العقل لا يهتدي إلا بنور الوحي.

س٩٩- عرف ما يلي: التكييف-التمثيل-التشبيه-التعطيل-التحريف-الإلحاد؟ ومَنْ سلك مسلك التحريف؟

التكييف: اعتقاد المُثبت أن كيفية صفات الله تعالىٰ كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل وهذا اعتقاد باطل ووجه البطلان أن الشيء الموصوف لا تعرف صفاته إلا بعد العلم بأحد ثلاثة أشياء: رؤية الشيء-رؤية نظير له حتىٰ يقاس عليه – أن يخبرهم هو عن كيفية صفاته والثلاثة منتفية في حق الله تعالىٰ.

ويقال أيضًا: إن التكييف هو وصف الصفة وصفًا تفصيليًا كما توصف المخلوقات المعاينة والمشاهدة.

التمثيل: هو اعتقاد المُثبت أن ما أثبته من صفات لله تعالىٰ مماثل لصفات المخلوقين في كل شيء وهو اعتقاد باطل ودليل بطلانه قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى:١١] فكلمة «شيء» نكرة في سياق النفي تعم كل شيء والمعنىٰ ليس هناك شيء أبدًا مماثلًا لله تعالىٰ.

ويقال: ذكر كيفية الصفة لكن مقيدة بمماثل مثل أن تقول كيفية الله مثل يد كذا أو كذا.

التشبيه: هو كالتمثيل وهو الاعتقاد أن الصفات الثابتة لله تعالىٰ في الكتاب والسنة تشبه صفات المخلوقين ولكن ليست في كل شيء.

التعطيل: هو جحد ما وصف الله به نفسه وانكار قيامها بذاته وتجريده من صفات الكمال فلا يوصف مثلًا بالاستواء ولا بالنزول ولا بالرحمة وما أشبه ذلك

فالتعطيل لغة التخلية وشرعًا تخلية الله تعالىٰ من أسمائه وصفاته وأهل السنة والجماعة اعتقادهم منزه عن التعطيل

التحريف: التغيير والإمالة لكلام الله تعالىٰ ولكلام رسوله ﷺ لفظًا ومعنًا.

والذين سلكوا التحريف هم اليهود قال تعالىٰ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦].

الإلحاد: مصدر الفعل ألحد ولحد أي مال ومنه اللحد لحد القبر لأنه مائل عن وسطه فالإلحاد معناه الميل والإلحاد في الأسماء هو الميل عما يجب، والإلحاد في آيات الله يكون بالتكذيب مثلما فعل المشركون أو بالتحريف يؤمن بها لكن يحرفها لأن التحريف ميل وهو إلحاد كما فعل قوم موسىٰ وكما فعل المبتدعة من هذه الأمة من الجهمية وغيرهم أو الإلحاد بالمخالفة والعصيان، والإلحاد في الآيات الكونية بإنكار أن الله هو الخالق أو إضافة المخلوقات إلىٰ غير الله أو اعتقاد أن لله تعالىٰ فيها شريكا أو معينًا.

س١٠٠- ما الفرق بين التشبيه والتمثيل؟

التمثيل: التسوية في كل الصفات.

التشبيه التسوية في أكثر الصفات.

والتعبير بنفي المثلية أكمل وأسد وكذلك نفي التشبيه علىٰ سبيل الإطلاق غير سديد ووجه ذلك: ما من شيئين موجودين إلا وبينهما تشابه من حيث الجملة.

مثال ذلك: الخالق اشترك مع المخلوق في صفة الوجود والاشتراك وقع بين المخلوق والخالق في أصل الوجود فقط ولكن اختلفا في الحقيقة فوجود الخالق واجب لازم أزلي ووجود المخلوق جائز ممكن قابل للعدم.

س١٠١- ما هي أنواع التحريف؟

١-**تحريف اللفظ**: بزيادة أو نقصان أو تغيير التشكيل لتغير المعنىٰ.

مثال: روىٰ الشيخان عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ**: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة:٥٨]. **فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا، وَقَالُوا: حِطَّةٌ، حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ**»[1].

يقول ابن القيم في نونيته:

أُمِرَ اليهود بأن يقولوا حطة ... فأبوا وقالوا حنطة لهوان

وكذلك الجهمي قيل له استوىٰ ... فأبىٰ وزاد الحرف للنقصان

(١) أخرجه البخاري [٤٤٧٩]، ومسلم [٣٠١٥].

نون اليهود ولام الجهمي هما ... في وحي رب العرش زائدتان
قال استوىٰ استولىٰ وذا من جهله ... لغة وعقلًا ما هما سيان[(١)]

مثال: نصب لفظ «الله» في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤] حتىٰ يكون موسىٰ هو الذي كلم الله ولم يتكلم الله وينفون عنه صفة الكلام.

وَلَقَدْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِأَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ - أَحَدِ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ - أُرِيدُ أَنْ تَقْرَأَ: «وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَىٰ»، بِنَصْبِ اسْمِ اللهِ، لِيَكُونَ مُوسَىٰ هُوَ الْمُتَكَلِّمَ لَا اللهُ! فَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: هَبْ أَنِّي قَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ كَذَا، فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]؟! فَبُهِتَ المعتزلي[(٢)].

ووجه ذلك أن الهاء في كلمة «وكلَّمه» من ضمائر النصب ولا تأتي إلا مفعولًا به وهي تعود إلىٰ موسىٰ ﷺ، وكذلك في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء:١٦٤] جيء بالمصدر ﴿تَكۡلِيمٗا﴾ ليدل علىٰ أن الكلام وقع علىٰ الحقيقة.

✍ **فائدة مهمة:**

جاء رجل إلىٰ أبي الهذيل العلاف وسأله: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق، قال: هو مخلوق؟ قال: نعم، قال: إذًا: يموت أم يخلد؟ قال أبو

(١) نونية ابن القيم [١/ ١٢١].
(٢) شرح العقيدة الطحاوية [١/ ١٧٧].

الهذيل: يموت، قال: وكيف موته؟ قال أبو الهذيل: يموت بموت من يتلوه، يعني: الذي يتلوه إذا مات مات القرآن، قال: نعم، أرأيت كل الدنيا قد زالت ومات كل من يتلو هذا القرآن ولم يبق إلا الواحد القهار فقال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾؟ فبهت المعتزلي، وما استطاع أن يتكلم، إذا قلتم: أنه سيموت بموت تاليه، فكل الذين يتلون القرآن ماتوا، فمن يردد: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر:١٦]؟

فلو كان الكلام مخلوقًا، وكل المخلوقات قد ماتت وانتهت، فالقائل: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ حيٌّ لا يموت فلا يكون الكلام إلا صفة من صفات الله جل وعلا[١]

٢-تحريف المعنىٰ مع بقاء اللفظ كما هو:

وهو صرف اللفظ عن معناه الظاهر الذي دلت عليه لغة العرب ولا دليل علىٰ هذا الصارف.

قال ابن القيم: فَأَصْلُ خَرَابِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا إنَّمَا هُوَ مِنْ التَّأْوِيلِ الَّذِي لَمْ يُرِدْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ بِكَلَامِهِ[٢]

مثال ذلك: تأويل الاستواء بالاستيلاء وتأويل البقرة بعائشة وتأويل ﴿بِيَدَيَّ﴾: بقدرتي.

---

(١) شرح أصول الاعتقاد [١٢/ ١٠].

(٢) اعلام الموقعين [٤/ ١٩٢].

٣-تحريف الأدلة عن مواضعها:

وهذا النوع من الأنواع الخفية جدًّا وقد يقع فيه كثير ممن يريد الخير وهو قليل البضاعة في العلم والفهم.

أمثلة: فساد المضاربة إذا تم تحديد الربح مقدمًا.

وخروج النساء من حديث خَمْسٌ من الفطرة وعدم فرضية الختان عليهن(١).

وإسبال الثوب بحجة عدم الخيلاء.

الصلاة في المساجد المقبورة بحجة أن القبر ليس في القبلة.

س١٠٢-مسلك المؤولة للصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة فتح الباب أمام الملاحدة، فأوَّلوا نصوص المعاد وحشر الأجساد وكذلك فتح الباب أمام الباطنية فأولوا الأمر والنهي وضح ذلك؟

الجواب: قال ابن القيم: قَالُ الْمَلَاحِدَةُ لِلْجَهْمِيَّةِ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ حَاكِمُ الْعَقْلِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ، بَلِ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ مَمْلُوءَةٌ بِذِكْرِ الْفَوْقِيَّةِ وَعُلُوِّ اللهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ، وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ وَيَتَكَلَّمُ وَأَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِالصِّفَاتِ وَأَنَّ لَهُ أَفْعَالًا تَقُومُ بِهِ وَهُوَ بِهَا فَاعِلٌ وَأَنَّهُ يُرَىٰ بِالْأَبْصَارِ، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ نُصُوصِ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَخْبَارِهَا الَّتِي إِذَا قِيسَ إِلَيْهَا نُصُوصُ حَشْرِ هَذِهِ الْأَجْسَادِ وَخَرَابِ هَذَا الْعَالَمِ

---

(١) روىٰ البخاري [٥٨٨٩]، ومسلم [٢٥٧] عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رِوَايَةً: «**الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالِاسْتِحْدَادُ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ**».

وَإِعْدَامِهِ لِإِنْشَاءِ عَالَمٍ آخَرَ، وُجِدَتْ نُصُوصُ الصِّفَاتِ أَضْعَافَ أَضْعَافِهَا، حَتَّىٰ قِيلَ: إِنَّ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارَ الدَّالَّةَ عَلَىٰ عُلُوِّ الرَّبِّ عَلَىٰ خَلْقِهِ وَاسْتِوَائِهِ عَلَىٰ عَرْشِهِ تُقَارِبُ الْأُلُوفَ، وَقَدْ أَجْمَعَتْ عَلَيْهَا الرُّسُلُ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَىٰ آخِرِهِمْ، فَمَا الَّذِي سَوَّغَ لَكُمْ تَأْوِيلَهَا وَحَرَّمَ عَلَيْنَا تَأْوِيلَ نُصُوصِ حَشْرِ الْأَجْسَادِ وَخَرَابِ الْعَالَمِ؟

فَإِنْ قُلْتُمْ: (أي المعطلة) الرُّسُلُ أَجْمَعُوا عَلَىٰ الْمَجِيءِ بِهِ، فَلَا يُمْكِنُ تَأْوِيلُهُ، قِيلَ: وَقَدْ أَجْمَعُوا أَنَّهُ اسْتَوَىٰ فَوْقَ عَرْشِهِ وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ وَمُتَكَلِّمٌ وَأَنَّهُ فَاعِلٌ حَقِيقَةً مَوْصُوفٌ بِالصِّفَاتِ، فَإِنْ مُنِعَ إِجْمَاعُهُمْ هُنَاكَ مِنَ التَّأْوِيلِ وَجَبَ أَنْ يُمْنَعَ هُنَا.

فَإِنْ قُلْتُمْ: العقل أَوْجَبَ تَأْوِيلَ نُصُوصِ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَلَمْ يُوجِبْ تَأْوِيلَ نُصُوصِ الْمَعَادِ، قُلْنَا: هَاتُوا أَدِلَّةَ الْعُقُولِ الَّتِي تأولتم بِهَا الصِّفَاتُ، وَنُحْضِرُ أَدِلَّةَ الْعُقُولِ الَّتِي تأولنا بِهَا الْمَعَادُ وَحَشْرُ الْأَجْسَادِ، وَنُوَازِنُ بَيْنَهَا لِيَتَبَيَّنَ أَيُّهَا أَقْوَىٰ.

فَإِنْ قُلْتُمْ: إِنْكَارُ الْمَعَادِ تَكْذِيبٌ لِمَا عُلِمَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالضَّرُورَةِ، قُلْنَا: أَيْضًا إِنْكَارُ صِفَاتِ الرَّبِّ وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ، وَأَنَّهُ فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ، وَأَنَّ الْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ تَكْذِيبٌ لِمَا عُلِمَ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِهِ ضَرُورَةً.

فَإِنْ قُلْتُمْ (أي المعطلة): تَأْوِيلُنَا لِلنُّصُوصِ الَّتِي جَاءُوا بِهَا لَا يَسْتَلْزِمُ تَكْذِيبَهُمْ، قُلْنَا: فَمِنْ أَيْنَ صَارَ تَأْوِيلُنَا لِلنُّصُوصِ الَّتِي جَاءُوا بِهَا فِي الْمِيعَادِ يَسْتَلْزِمُ تَكْذِيبَهُمْ دُونَ تَأْوِيلِكُمْ: أَلِمُجَرَّدِ التَّشَهِّي؟

فَصَاحَتِ الْقَرَامِطَةُ وَالْمَلَاحِدَةُ وَالْبَاطِنِيَّةُ وَقَالُوا: مَا الَّذِي سَوَّغَ لَكُمْ تَأْوِيلَ الْأَخْبَارِ وَحَرَّمَ عَلَيْنَا تَأْوِيلَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالتَّحْرِيمِ وَالْإِيجَابِ، وَمَوْرِدُ الْجَمِيعِ عَنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالُوا: وَأَيْنَ تَقَعُ نُصُوصُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مِنْ نُصُوصِ الْخَبَرِ؟ قَالُوا: وَكَثِيرٌ مِنْكُمْ قَدْ فَتَحُوا لَنَا بَابَ التَّأْوِيلِ فِي الْأَمْرِ، فَأَوَّلُوا أَوَامِرَ وَنَوَاهِيَ كَثِيرَةً صَرِيحَةَ الدِّلَالَةِ أَوْ ظَاهِرَةَ الدِّلَالَةِ فِي مَعْنَاهَا بِمَا يُخْرِجُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا، فَهَلُمَّ نَضَعُهَا فِي كِفَّةٍ وَنَضَعُ تَأْوِيلَاتِنَا فِي كِفَّةٍ وَنُوَازِنُ بَيْنَهَا، وَنَحْنُ لَا نُنْكِرُ أَنَّا أَكْثَرُ تَأْوِيلًا مِنْهُمْ، وَلَكِنَّا وَجَدْنَا بَابًا مَفْتُوحًا فَدَخَلْنَاهُ.

فَهَذِهِ مِنْ شُؤْمِ جِنَايَةِ التَّأْوِيلِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ(١) .

س١٠٣- ماذا يقصد شيخ الإسلام من قوله قديم أزلي؟

الجواب: هذه صفة موضِّحة، ووجه ذلك لو لم يكن قديمًا لم يكن واجبًا فالقِدَم من لوازم كونه واجب الوجود.

س١٠٤- هل القديم من أسماء الله الحسنىٰ وما هي أنواع القِدَم مع التمثيل؟ وما المراد بالأزلي والأبدي؟ وما الفرق بين القديم والأزلي؟

الجواب: القديم ليس من أسماء الله الحسنىٰ لأن الأسماء توقيفية علىٰ ورود النص بها بصيغة الاسمية ولكن يجوز الإخبار عن الله بهذا الاسم.

القِدَم نوعان:

١-**قِدَم نسبي**: أي منسوبًا إلىٰ غيره.

(١) الصواعق المرسلة [١/ ٣٦٧].

مثاله: تقدم الأب علىٰ ابنه والجد علىٰ حفيده.

٢-قِدَم مطلق: وهو التقدم علىٰ كل شيء فليس قبله شيء وهذا النوع خاص بالله تعالىٰ قال رسول الله ﷺ «**اللهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ**»(١).

والمراد بالأزلي: ما لا بداية له.

والمراد بالأبدي: ما لا نهاية له.

الفرق بين القديم والأزلي أن **القديم** ما لا بداية له.

والأزلي ما لا بداية له مطلقًا وجوديًّا أو عدميًّا وعليه فالأزلي أعم من القديم.

س١٠٥- ما هي الصفة الإضافية واذكر أمثلة لذلك؟

الجواب: هي المعنىٰ الذي لا يعقل إلا بوجود مقابل له، فالصفة الإضافية ليست صفة ذاتية للشيء بل صفة مكتسبة بالنسبة للغير.

أمثلة علىٰ ذلك:

صفة القبلية-البعدية-الأبوة-البنوة-الفوقية-التحتية.

وصف القبلية ليست صفة ذاتية للشيء بل هي صفة باعتبار ما قبله، وصفة الفوقية باعتبار ما تحته، وصفة التحتية باعتبار ما فوقه وصفة الأبوة باعتبار ابنه، وصفة البنوة باعتبار أبيه وهكذا.

(١) أخرجه مسلم [٢٧١٣] من حديث أبي هريرة.

س١٠٦-هل يجوز أن يُطلق علىٰ الله العلة الأولىٰ؟

الجواب: لا يجوز فكون الشيء علة يقتضي معلولًا، فالعلة صفة إضافية باعتبار وجود معلول فهي صفة إضافية نسبية لا وجود لها في الحقيقة ويلزم من إطلاق العلة الأولىٰ علىٰ الله تعالىٰ أن وجود الله يلزم منه ويستلزم وجود مخلوقات، وهذا باطل لأن وجود الله لا يلزم منه وجود مخلوقاته.

س١٠٧-ما اعتراض الباطنية علىٰ إثبات الصفات لله تعالىٰ؟

شأنها شأن شبهة الجهمية والمعتزلة أن إثبات الصفات تشبيه بالموجودات والنفي لها تشبيه بالمعدومات.

﴿◊﴾

فصل
تعريفات لا بد منها

✍ **الوجود ينقسم إلى قسمين:**

١-**الوجود الواجب**: هو ما لم يُسبق بعدم ولا يلحقه فناء ولا يفتقر إلىٰ غيره في الإيجاد وهو الله تعالىٰ.

٢-**الوجود الممكن**: هو ما سبق بعدم أي لم يكن وجائز عليه العدم ويفتقر إلىٰ غيره في الإيجاد وهو كل موجود غير الله تعالىٰ.

۞ **العدم: وهو ينقسم إلى قسمين:**

١-**عدم ممكن**: وهو المعدوم الذي وجوده ممكن.

مثال: كل المخلوقات قبل وجودها فهي معدومة قبل أن تُوجد ثم وجدت فكانت معدومة ثم وجدت فهي عدم ممكن.

٢-**عدم ممتنع**: وهو المعدوم الذي يستحيل وجوده.

مثال ذلك: اجتماع الضدين وارتفاع النقيضين.

س١٠٨- ما هو تباين المخالفة؟

تباين المخالفة (التخالف): هو أن تكون حقيقة كل منها في حد ذاتها تباين حقيقة الآخر ولكن يمكن اجتماعهما عقلًا في ذات واحدة ويمكن أن يرتفعان

مثال ذلك: البياض والبرودة يجتمعان في الثلج ويرتفعان في التمر.

السواد والحلاوة يجتمعان في التمر ويرتفعان في الثلج.

الكلام والقعود يجتمعان في الشخص ويرتفعان في الجماد.

س١٠٩- ما الفرق بين المشترك الكلي، والمشترك اللفظي؟

الجواب: هناك فرق بين المشترك اللفظي والمشترك الكلي:

فالمشترك اللفظي: هو اتحاد اللفظ وتعدد المعنىٰ كلفظ (العين) يدل علىٰ الجارية (البئر أو عين الماء) والباصرة والذهب، ولفظ (القرء) يدل علىٰ الحيض والطهر.

والمشترك الكلي: هو الذي يشترك فيه أفراد كثيرون كجميع الألفاظ العامة في الذهن.

س١١٠- وضح العلاقة بين المعدوم الممكن والمعدوم الممتنع؟

الجواب: كل ممتنع معدوم وليس كل معدوم ممتنع، سلب النقيضين وجمع النقيضين كلاهما ممتنع.

والمعدوم الممتنع أربع:

١. اجتماع الضدين.

٢. اجتماع النقيضين.

٣. ارتفاع النقيضين.

٤. عدم قبول النقيضين.

التقابل نوعان:

١. سلب وإيجاب.

٢. عدم وملكة.

السلب والإيجاب إذا ارتفع أحدهما لا بد من وجود الآخر.

س١١١- تباين المقابلة (التقابل) أربعة أنواع اذكرها؟

الجواب: **الأول تقابل النقيضين**: والنقيضان هما أمران أحدهما وجودي والآخر عدمي وعليه يستحيل اجتماعهما ويستحيل ارتفاعهما فأحدهما لا بد أن يكون موجودًا متحققًا.

تعريف آخر: **النقيضان**: هما المتقابلان اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان معًا كالوجود والعدم والحركة والسكون في الشيء الواحد والوقت الواحد.

مثال ذلك: الوجود والعدم فزيد بن عمرو يستحيل أن يجتمع فيه الوجود والعدم ويستحيل أن يرتفع عنه الوجود والعدم بل لا بد أن يكون موجودًا أو معدومًا إذا ثبت أحدهما انتفىٰ الآخر.

الثاني تقابل الضدين: والضدان هما أمران وجوديان لا يمكن اجتماعهما معًا ولكن يمكن ارتفاعهما معًا.

تعريف آخر: **الضدان**: هما الأمران الوجوديان اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان كالسواد والبياض فإنه يمتنع أن تكون نقطة سوداء وبيضاء في وقت واحد ولكن يمكن أن تكون حمراء.

مثال ذلك: السواد والبياض لا يمكن أن يجتمع السواد والبياض في ورقة

واحدة في وقت واحد ولكن يمكن أن يرتفعا معًا في الورقة الحمراء.

الثالث: تقابل المتضايفين: والمتضايفان لا وجود لأحدهما إلا مع وجود الآخر.

مثال ذلك: الأبوة والبنوة فلا يمكن أن يكون سعيد أبا لأحمد إلا إذا كان أحمد ابنًا لسعيد وكذلك الفوقية والتحتية واليمين والشمال وهكذا وكذلك القبلية والبعدية.

الرابع: تقابل الملكة والعدم: هو التقابل بين وصفين أحدهما وجودي والآخر عدمي فلا يجتمعان ولا يرتفعان في المحل الذي من شأنه أن يتصف به

مثال ذلك: الأعمىٰ والبصير فإن الإنسان لديه ملكة الإبصار ولا يمكن للإنسان إلا أن يكون أعمىٰ أو بصيرًا، أما أعمىٰ وبصير أو لا أعمىٰ ولا بصير فهذا مستحيل.

بينما لا يوصف فاقد الملكة بأحدهما كالحجر فلا يقال أن الحجر أعمىٰ أو بصير لأنه فاقد الملكة.

اعتراض الباطنية: كما سبق إثبات الصفات عندهم تشبيه بالموجودات ونفي الصفات تشبيه بالمعدومات.

وهذا الاعتراض من الباطنية مبني علىٰ ثلاث مقدمات ونتيجة:

١-ارتفاع النقيضين لا يمكن أن يكون لما يكون قابلًا أن يتصف بالنقيضين.

٢-التقابل بين الوجود والعدم أو الحياة والموت أو العلم والجهل هو من تقابل الملكة والعدم فيمكن أن يرتفعا عن المحل الغير قابل لهما.

٣-أن الله تعالىٰ ليس بقابل لهذه المتقابلات في الأصل.

النتيجة: أن الله لا يمتنع في حقه ارتفاع النقيضين لأنه ليس بقابل لهما أصلًا.

الجواب: الوجود والعدم التقابل بينهما ليس من قبيل تقابل الملكة والعدم بل هما من قبيل السلب والإيجاب فيستحيل أن يكون الشيء موصوفًا بالوجود والعدم معًا وكذلك يستحيل أن يكون لا موجود ولا معدوم وكذلك الحياة والموت والعلم والجهل هو من هذا القبيل

وكذلك الله تعالىٰ سمىٰ الجمادات بالأموات وكذلك العرب قال تعالىٰ: ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل:٢١].

الجواب الثاني عن شبهة الباطنية: علىٰ فرض التنزل مع المخاطب والتسليم بأن هذه الأشياء من تقابل الملكة والعدم وأن الله تعالىٰ ليس محلًّا قابلًا للملكة والعدم فيصح رفع هذه المتقابلات كما يصح نفي العمىٰ والبصر والعلم والجهل عن الحجر مثلًا.

يلزم من هذا التسليم لوازم فاسدة وبطلان اللازم يدل علىٰ بطلان الملزوم.

بيان ذلك: ملكة الإبصار.

الموجودات باعتبارها قسمان:

١. قسم لديه الملكة.

٢. قسم ليس لديه الملكة.

الأول لديه ملكة نوعان: مبصر وأعمىٰ.

والمبصر أكمل من الأعمىٰ ولا شك أن الموجود الذي لديه ملكة الإبصار وإن كان فاقدًا لها (أعمىٰ) أكمل من فاقد هذه الملكة في الأصل.

فالموجودات باعتبار ملكة الإبصار ثلاثة:

١) أعلاها القابل للملكة الموجودة فيها.

٢) أوسطها القابل للملكة الفاقد لها .

٣) أدناها الغير قابل للملكة الفاقد لها .

فجعلوا الله في أدنىٰ المراتب.

فلو قالوا إن الله يقبل الاتصاف بالحياة والموت لكان أهون من قولهم إنه لا يقبل الاتصاف بهما.

س١١٢- كيف الرد علىٰ شبهة أن إثبات الصفات يلزم منه التركيب ويلزم منه الافتقار؟

الجواب:

أولًا: علىٰ فرض التسليم بأن إثبات الصفات تركيب فالفلاسفة يقولون في الله هو موجود وعقل وعاقل وعاشق ومعشوق ولذيذ ومتلذذ ولذة وهذه

معانٍ متعددة متغايرة المعنىٰ وهم يثبتونها فهو تركيب علىٰ مذهبكم وهم يسمونه توحيدًا فكذلك ما أثبته أهل السنة من صفات الله ثابتة بالنقل هو توحيد وإن سماه الفلاسفة تركيبًا ولا فرق.

فالله تعالىٰ واجب الوجود فلا بد أن يكون متصفًا بصفات تميزه عن غيره والشيء المجرد عن جميع الصفات ممتنع الوجود.

❁

فصل

الأصل الثاني: القول في الصفات كالقول في الذات

س١١٣- اذكر الأصل الثاني في الرسالة؟

الجواب: هو أن القول في الصفات كالقول في الذات.

س ١١٤- وضح الجواب أكثر من ذلك؟

الجواب: معنىٰ هذا الأصل أن الاعتقاد الذي يجب أن يعتقد في الذات هو الاعتقاد الذي يجب أن يعتقد في جميع الصفات فالاعتقاد في الذات أننا نثبت لله ذاتًا لائقة به تعالىٰ فكذلك نثبت لله صفات لائقة به تعالىٰ ولا فرق.

س ١١٥- علىٰ من يرد شيخ الإسلام بهذا الأصل؟

الجواب: يرد شيخ الإسلام بهذا الأصل علىٰ جميع الطوائف المبتدعة في الصفات الذين خالفوا منهج السلف.

ووجه ذلك: أن الجميع من المسلمين أي أمة الإجابة يثبتون لله ذاتًا وهذا لازم لا بد منه.

فإن قيل لمن يثبتون لله ذاتًا كيف ذاته؟

قالوا جميعهم: لا نعلم لذاته كيفية قيل لهم كذلك لا نعلم لصفاته كيفية لأن العلم بكيفية الصفة يتوقف علىٰ العلم بكيفية الذات ولا فرق.

وجميع الطوائف يقرون أن لله ذاتًا وحقيقة ثابتة في نفس الأمر ولا تشبه

سائر الذوات فيقال لهم كذلك هذه الذات موصوفة بصفات لا تشبه صفات المخلوقين فالله تعالىٰ ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

الذات في اللغة: ذات مؤنث بمعنىٰ صاحب وصاحبة والمراد منها حقيقة الشيء وعينه وتأتي دائمًا مضافة قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤].

وروىٰ الشيخان من حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عليه السلام، قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ، ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ، قَوْلُهُ: إِنِّي سَقِيمٌ، وَقَوْلُهُ: بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ، فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ، إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ، أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إِلَىٰ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَىٰ، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ، فَفَعَلَتْ، وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قَالَ: فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَمْ؟ قَالَتْ: خَيْرًا، كَفَّ اللهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا**»

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ(١).

ومنها ما صح عن ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: تَفَكَّرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا تُفَكِّرُوا فِي ذَاتِ اللهِ؛ فَإِنَّ بَيْنَ كُرْسِيِّهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ سَبْعَةَ آلَافِ نُورٍ وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ»(٢).

س١١٦- ما الرد علىٰ من سأل عن كيفية الصفات؟

الجواب الشافي الكافي الأثري ما قاله السلف: الاستواء معلوم (أي المعنىٰ)، والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه (أي عن الكيفية) بدعة.

س١١٧-كيف جاء لفظ الاستواء في لغة العرب؟

يقول ابن القيم: لَفْظُ الِاسْتِوَاءِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِي خَاطَبَنَا اللهُ تَعَالَىٰ بِلُغَتِهِمْ وَأَنْزَلَ بِهَا كَلَامَهُ نَوْعَانِ: مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ.

فَالْمُطْلَقُ مَا لَمْ يُوصَلْ مَعْنَاهُ بِحَرْفٍ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ [القصص:١٤] وَهَذَا مَعْنَاهُ كَمُلَ وَتَمَّ، يُقَالُ: اسْتَوَىٰ النَّبَاتُ وَاسْتَوَىٰ الطَّعَامُ.

وَأَمَّا الْمُقَيَّدُ فَثَلَاثَةُ أَضْرَابٍ: أَحَدُهَا: مُقَيَّدٌ بِـ (إِلَىٰ) كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة:٢٩] وَاسْتَوَىٰ فُلَانٌ إِلَىٰ السَّطْحِ وَإِلَىٰ الْغُرْفَةِ، وَقَدْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ هَذَا الْمُعَدَّىٰ بِـ (إِلَىٰ) فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ: فِي الْبَقَرَةِ فِي قَوْلِهِ

(١) أخرجه البخاري [٣٣٥٧]، ومسلم [٢٣٧١].

(٢) أخرجه ابن بطه في الإبانة [١٠٨]، والبيهقي في الأسماء والصفات [٦١٨].

تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [البقرة:٢٩]، وَالثَّانِي فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت:١١] وَهَذَا بِمَعْنَىٰ الْعُلُوِّ وَالِارْتِفَاعِ بِإِجْمَاعِ السَّلَفِ.

الثَّانِي: مُقَيَّدٌ بِعَلَىٰ كَقَوْلِهِ: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾ [هود:٤٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [الفتح:٢٩]، وَهَذَا أَيْضًا مَعْنَاهُ الْعُلُوُّ وَالِارْتِفَاعُ وَالِاعْتِدَالُ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ اللُّغَةِ.

الثَّالِثُ: الْمُقرُّونَ بِوَاوِ (مَعَ) الَّتِي تُعَدِّي الْفِعْلَ إِلَىٰ الْمَفْعُولِ مَعَهُ، نَحْوَ: اسْتَوَىٰ الْمَاءُ وَالْخَشَبَةَ بِمَعْنَىٰ سَاوَاهَا.

وَهَذِهِ مَعَانِي الِاسْتِوَاءِ الْمَعْقُولَةِ فِي كَلَامِهِمْ، لَيْسَ فِيهَا مَعْنَىٰ اسْتَوْلَىٰ الْبَتَّةَ، وَلَا نَقَلَهُ أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ الَّذِينَ يُعْتَمَدُ قَوْلُهُمْ(١).

قال ابن القيم: قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ وَقَدْ سُئِلَ: هَلْ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ اسْتَوَىٰ بِمَعْنَىٰ اسْتَوْلَىٰ؟ فَقَالَ: لَا تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ مَنْ أَكَابِرِ أَئِمَّةِ اللُّغَةِ(٢).

الجواب العقلي: على من سأل عن كيفية الصفات: يقال للسائل عن كيفية الصفات كيف ذات الله؟ طالما أنك تقر أن له ذاتًا حقيقية فإن قال ولا بد أن يقول لا أعلم كيفية ذاته قيل له ونحن لا نعلم كيفية صفاته لأن

(١) مختصر الصواعق [١/ ٣٧٢].
(٢) مختصر الصواعق [١/ ٣٧٢].

العلم بكيفية الصفة يتوقف علىٰ العلم بكيفية ذات الموصوف فكيف تسأل عن كيفية صفاته ونحن لا نعلم كيفية ذاته.

س١١٨- الصفات المشتركة في أصل المعنىٰ بين الخالق والمخلوق والمضافة إلىٰ الله تعالىٰ هل من أحد نفىٰ هذه الإضافة؟

الجواب: الصفات المشتركة (أي في أصل المعنىٰ بين الخالق والمخلوق كالعلم مثلًا) المضافة إلىٰ الله تعالىٰ أهل التأويل والبدعة لا ينفون حقيقة الإضافة بل ينفون حقيقة الصفة المضافة إلىٰ الله تعالىٰ.

س١١٩- اذكر مثالًا لما سبق؟

الجواب: مثال ذلك: «رحمة الله» يقول الرحمة مضافة إلىٰ الله تعالىٰ لا شك ولكن ما هي الرحمة التي أضيفت إلىٰ الله؟ قالوا: إرادة الثواب والإعطاء والإحسان.

أما أهل السنة: فوضوا الكيف للصفة الناشئة عن الإضافة وسلموا في حقيقة الصفة المضافة.

قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي: الاشتراك إنما هو في المفهوم الكلي فلا يلزم المحال، وبالجملة هذا مبني علىٰ توهم أن المشاركة بين الخالق والمخلوق في المفهوم الكلي تستلزم المشاركة في الخارج والمشابهة التي نزَّه الله نفسه عنها بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وليس كذلك؛ إذ الكلي لا وجود له إلا في الذهن[١].

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد علىٰ المخالفين [١٠٨/١].

س١٢٠- بين تناقض الأشاعرة وغيرهم في تحريفهم للصفات؟

مسالك الأشاعرة في التعطيل التأويل (التحريف) والتفويض:

الفعل الذي يقع علىٰ المفعول لا بد أن يقوم أولًا بالفاعل لأنه عنه يصدر فلا بد أن يقوم به أولًا قبل أن يصدر منه.

الثواب فعل الله فلا بد من إثبات الفعل، والعبد يوصف بالفعل ويوصف أيضًا بالإثابة والمعاقبة، وعليه فإن أثبت الأشاعرة الإثابة والمعاقبة لله علىٰ الوجه الذي يتصف به المخلوق وقعوا في التشبيه.

وإن أثبتوها كما يليق بالله سلموا من البدعة ورجعوا إلىٰ المذهب الحق وهذا يجب في جميع الصفات.

س ١٢١-نريد مزيدًا من الإيضاح في تناقض المبتدعة؟

الجواب: لا خلاف بين العقلاء قط أن الثواب والعقاب الذي وقع علىٰ المحبوب والمبغوض إنما يكون علىٰ ما يحبه المُثيبُ ويرضاه وعلىٰ ما يسخطه المعاقِبُ ويبغضه، وعليه لزم لزومًا لا انفكاك منه إثبات المحبة والرضا والغضب والسخط لمن أثبت الثواب والعقاب.

س ١٢٢- أسماء الله تعالىٰ وصفاته دلت علىٰ الكمال المطلق لله تعالىٰ فما هو منتهىٰ الكمال؟

الجواب: منتهىٰ الكمال يرجع إلىٰ ثلاثة أمور: الأول: كمال العلم، فالله ﷻ بكل شيء عليم، وقد ورد من أسمائه وصفاته الدالة علىٰ كمال العلم ما لا يمكن أن يأتي البشر بأفضل منه.

الثاني: كمال القدرة، فالله ﷻ علىٰ كل شيء قدير، وكل ما يمكن أن يرد في أذهان الناس من وصف كمال القدرة فقد تضمنته أسماء الله وصفاته في الكتاب والسنة.

الثالث: كمال الغنىٰ، فالله ﷻ هو الغني، وكل العباد مفتقرون إليه، ولا يمكن للبشر أن يأتوا بوصف يدل علىٰ كمال الغنىٰ أفضل مما ورد في الكتاب والسنة، وعلىٰ هذا فإن ألفاظ الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته كافية لتتضمن كل كمال ممكن أن يرد علىٰ أذهان البشر وفي لغاتهم، ومن هنا لا يحتج محتج أو يدعي مدع أنه بحاجة إلىٰ أن يقرر لله من الأسماء والصفات ما لم يرد في الكتاب والسنة.

س١٢٣- سلم الفلاسفة ومن سلك مسلكهم في أمر ما هو؟

الجواب: قالوا لا بد من موجود قديم غني فهذه الأمور يعترفون بها عقلًا، فيثبتوها لمن يسمونه بواجب الوجود، الذي وجوده يخالف وجود المحدثات أي: أنه لابد من موجود، هذا **أولًا**، **وثانيًا**: أنه قديم، **ثالثًا**: أنه غني، وهذه بدهيات عند كل عاقل.

فلا يقول عاقل إذا قيل أن العرش شيء موجود وإن البعوض شيء موجود إن هذا مثل هذا لاتفاقهما في مسمىٰ الشيء.

س١٢٤- كيف رد شيخ الإسلام علىٰ المبتدعة من خلال ما اعترفوا به؟

الجواب: **قال شيخ الإسلام** وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وما هو محدث ممكن يقبل الوجود

والعدم، فمعلوم أن هذا موجود، وهذا موجود، ولا يلزم من اتفاقهما في مسمىٰ الوجود أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصه، ووجود هذا يخصه، واتفاقهما في اسم عام لا يقتضي تماثلهما في مسمىٰ ذلك الاسم عند الإضافة والتخصيص والتقييد(١).

س ١٢٥- نريد مزيدًا من التوضيح لكلام شيخ الإسلام؟

الجواب: شبهة المبتدعة في إنكار الأسماء أو الصفات أو بعضها: أن إثبات هذه الأسماء أو الصفات لله ﷻ يقتضي التشبيه، فالجهمية يقولون: إذا سمينا الله ﷻ بالعليم أو الحكيم فقد شبهناه بالمخلوق؛ لأن المخلوق قد يكون عليمًا وقد يكون حكيمًا، وكذلك الذين ينفون الصفة يقولون: الحكمة من صفات المخلوقين، فإذا وصفنا بها الخالق فقد شبهناه بالمخلوق، وبالتالي نفوا عنه الحكمة، وكذلك بقية الصفات، فكان الاشتباه عندهم هو في التشابه اللفظي، وشيخ الإسلام قد بدأهم من حيث الأساس الذي ينطلقون منه جميعًا، فكلهم يثبتون الوجود لله، سواء الجهمية والمعتزلة ومتكلمة الأشاعرة والمؤولة لبعض الصفات أو لكثير منها، وكلهم يجتمعون علىٰ وصف الله باعتبار أنه موجود.

فيقول لهم: أنتم إذا عبرتم عن الله بأنه موجود، أليست كلمة (موجود) اسمًا وصفة؟ سيقولون: بلىٰ.

فيقال لهم: إذا كان من أجل التشابه اللفظي تنكرون الأسماء والصفات،

---

(١) التدمرية [١/ ٢٠].

فكذلك كلمة: (وجود) فيها اشتباه لفظي؛ لأننا كما نصف الله بأنه موجود، والمخلوق موجود، نستطيع أن **نقول**: المخلوق إذًا غير موجود، لكن ما دام أنه موجود فإذًا هو حي ويرزق، وعليه فكما نفيتم يلزمكم أن تنفوا حتىٰ الوجود، وأما إذا أثبتم الوجود -مع وجود الاشتباه اللفظي- فيلزمكم أن تثبتوا بقية الصفات لله ﷻ علىٰ ما يليق بجلاله، وإن قلتم: نحن نثبت وجودًا يليق بجلال الله، فنحن نقول أيضًا: ونحن نثبت لله بقية الأسماء والصفات علىٰ ما يليق بجلاله، فما الفرق؟!

قال شيخ الإسلام: فلا يقول عاقل إذا قيل إن العرش شيء موجود، وإن البعوض شيء موجود، إن هذا مثل هذا، لاتفاقهما في مسمىٰ الشيء والوجود؛ لأنه ليس في الخارج شيء موجود غيرهما يشتركان فيه، بل الذهن يأخذ معنىٰ مشتركًا كليًّا هو مسمىٰ الاسم المطلق، وإذا قيل هذا موجود، وهذا موجود، فوجود كل منهما يخصه لا يشركه فيه غيره، مع أن الاسم حقيقة في كل منهما. (١)

س ١٢٦- ما طرق الوحي في إثبات الصفات لله تعالىٰ وكذلك الأسماء؟

الطريقة الأولىٰ: إثبات تفاصيل أسماء الله وصفاته وأفعاله ومفرداته، مثل: العلم، والحكمة، والإرادة ونحو ذلك.

الطريقة الثانية: إثبات قواعد أو أصول الكمال لله ﷻ التي تتضمن الأسماء والصفات والأفعال.

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٠)

فصل

المثلان المضروبان

[المثل الأول: الجنة]

س١٢٧- ما المراد بالجنة كمثل؟

ج- المراد ذكر ما فيها من أصناف المطاعم والملابس والمناكح والمساكن وغيرها.

س١٢٨- ما الغرض من ضرب هذا المثل؟ وضح ذلك؟

الجواب: هو أن اتفاق الأشياء في الأسماء لا يلزم منه الاتفاق في الحقائق والكيفيات.

توضيح ذلك: ذكر الله تعالىٰ أن الجنة فيها ذهب والدنيا فيها ذهب وكذلك الجنة فيها لبن وعسل ونخل ورمان والدنيا فيها لبن وعسل ونخل ورمان فهذه الأشياء قد اتفقت في أصل المعنىٰ ومع ذلك لا تتماثل في الحقيقة وعليه فالأسماء واحدة والحقائق غير الحقائق فإذا جاز أن تتوافق المخلوقات في الأسماء مع الاختلاف في الحقائق فكذلك فيما بين الخالق والمخلوق أبين وأظهر.

س ١٢٩- اذكر الأدلة علىٰ ما سبق؟

الجواب: قال تعالىٰ عن بعض نعيم الجنة ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ [الواقعة: ٢٠-٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢﴾ [الواقعة: ٢٩-٣٢]، وقال

تعالىٰ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصۡفُوفَةٍۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور:٢٠].

وكل هذا النعيم ألفاظه ومعانيها معلومة عندنا في الدنيا ولكن الحقائق والكيفيات فلا علم لنا بها قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧ ﴾ [السجدة:١٧] وعليه فمن خلال هذا المثل إن كان وقع هذا التباين بين المخلوقات فمن باب أولىٰ أن يقع بين الخالق والمخلوق.

س ١٣٠- علىٰ من يرد شيخ الإسلام بهذا المثال؟

ج- يرد بهذا المثل علىٰ من زعم أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه بناء علىٰ الاتفاق في الاسم، فإن جميع ما في الجنة يتفق مع ما في الدنيا ومع ذلك لم يستلزم التشبيه فكيف بالخالق جل وعلا، فالمباينة بين الخالق والمخلوق أعظم من مباينة المخلوق للمخلوق، وأعظم من مباينة موجود الآخر لموجود الدنيا.

س ١٣١- مثِّل لما سبق عن بعض ما في الجنة من نعيم؟

الجواب: روىٰ الشيخان من حديث ابن عباس، قَالَ: خَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَصَلَّىٰ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ، ثُمَّ رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ [(١)]، قَالَ: «**إِنِّي أُرِيتُ الجَنَّةَ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا**

---

(١) (تكعكعت) أي توقفت وأحجمت قال الهروي وغيره يقال تكعكع الرجل وتكاعىٰ وكع كعوعًا إذا أحجم وجبن.

عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا» (١).

قال ابن رجب: قوله: «**فتناولت مِنْهُ عنقودًا**». يعني: أَنَّهُ مد يده يريد تناول العنقود، ولكنه لَمْ يتناوله، ولهذا قَالَ: «**لَوْ أخذته لأكلتم مِنْهُ**».

وقوله: «**لأكلتم مِنْهُ مَا بقيت الدنيا**» إشارة إلىٰ أن مَا فِي الجنة لا ينفد؛ فإنه كُلَّمَا أكل مِنْهُ استخلف فِي الحال مثله.

وفي رِوَايَة أخرىٰ: «**لأكل مِنْهُ من بَيْن السماء والأرض، لا ينقصونه شيئًا**».

ولهذا يروىٰ أن الطير يمر بأهل الجنة، فيشتهونه، فيخر بَيْن أيديهم، فيأكلون مِنْهُ مَا يشاءون ثُمَّ يطير، والكأس يشربون مَا فِيهِ ثُمَّ يعود ممتلئًا فِي الحال، لا حرمنا الله خير مَا عنده بشر مَا عندنا بمنه ورحمته(٢).

س ١٣٢- علىٰ من يرد شيخ الإسلام من خلال هذا المثل؟

الجواب: من خلال هذا المثل نرد علىٰ من ادَّعىٰ أن إثبات الصفات لله تعالىٰ يستلزم التشبيه بناء علىٰ الاتفاق في الاسم فإن بعض ما في الجنة يتفق مع ما في الدنيا في الاسم ومع ذلك لا يستلزم التشبيه.

وعليه إن كان هذا بين مخلوقين فمن باب أولىٰ أن يكون بين الخالق والمخلوق.

❀❀❀

(١) أخرجه البخاري [٧٤٨]، ومسلم [٩٠٧].

(٢) فتح الباري لابن رجب [٦/ ٤٤٠].

فصل

المعتقد الصحيح في الغيبيات

س١٣٣– عرف الغيب؟

الجواب: الغيب ما لا علم لنا به إلا إذا عُلمنا به ويدخل في الغيبيات كيفية صفات الله تعالىٰ التي أخبرنا بها وكذلك ما يقع في اليوم الآخر.

وقيل الغيب: هو العلم الذي يختص الله تعالىٰ به دون سائر خلقه ومن ادَّعىٰ معرفته فقد كفر بالله العظيم وهو الذي يطلق عليه [الغيب المطلق].

✍ **فالغيب إذن على قسمين باعتبار الإطلاق والتقييد:**

١–**الغيب المطلق**: **ضابطه**: هو الذي لم يُطلع اللهُ عليه أحدًا من خلقه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل. ومن ادَّعاه كفر بالله تعالىٰ.

ومن الأدلة علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل:٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ

﴿٥٠﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وروىٰ مسلم عن عائشة قالت: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَىٰ اللهِ الْفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُولُ: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥][(١)].

٢-الغيب النسبي [المقيد]: هو الذي يَعلمهُ اللهُ ويُطلع عليه بعضَ خلقه.

قال تعالىٰ: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٨].

ويدخل في الغيب النسبي أيضًا ما يسمىٰ بالمغيبات.

قال العلامة العثيمين (رحمه الله):

قوله ﷺ في الحديث: «**فيسمع الكلمة، فيلقيها إلىٰ من تحته**»: أي: يسمع أعلىٰ المسترقين الكلمة، فيلقيها إلىٰ من تحته؛ أي: يخبره بها، و «من»: اسم موصول، وقوله: «تحته» شبه جملة صلة الموصول لأنه ظرف.

قوله: «**ثم يلقيها الآخر إلىٰ من تحته حتىٰ يلقيها**»: أي: يلقي الكلمة آخرهم الذي في الأرض علىٰ لسان الساحر أو الكاهن. والسحر عزائم ورقىٰ وتعوذات تؤثر في بدن المسحور وقلبه وعقله وتفكيره. والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. وقد التبس علىٰ بعض طلبة العلم؛ فظنوا أنه

---

(١) رواه مسلم (١٧٧).

كل من يخبر عن الغيب ولو فيما مضىٰ؛ فهو كاهن، لكن ما مضىٰ مما يقع في الأرض ليس غيبًا مطلقًا، بل هو غيب نسبي، مثل ما يقع في المسجد يعد غيبا بالنسبة لمن في الشارع، وليس غيبا بالنسبة لمن في المسجد. (١)

س١٣٤- اذكر أقسام الناس في هذا؟

١- أهل السنة آمنوا بجميع ما ورد في الكتاب والسنة مع اعتقادهم بالمباينة العظيمة بين ما في الآخرة وما في الدنيا وأن مباينة الله لخلقه أعظم من مباينة المخلوقات فيما بينها.

٢- أهل البدعة أثبتوا ما أخبر الله به عن اليوم الآخر ونفوا الكثير مما أخبر الله به عن نفسه وهذا تناقض واضح إذ الباب في الأمرين واحد وهو ورود النص من الكتاب أو السنة.

٣- أهل البدعة أسوأ مما سبقهم وهم نفوا جميع الغيبيات وهم الباطنية وزعموا أن هذه الأخبار عن اليوم الآخر خيالات جاءت بها الرسل وهم مصلحون لإصلاح الخلق أو ما يسمىٰ بمصلحة الجمهور.

س١٣٥- ما المراد بالشرائع؟

الجواب: المراد بها الأوامر والنواهي أي افعل كذا ولا تفعل كذا.

س١٣٦- ما هو مذهب الباطنية في الأحكام مع ذكر أمثلة؟

مذهب الباطنية في الأحكام: جعلوا الشرائع مثلها مثل الغيبيات أي لها ظاهر وباطن فلهم في كل أمر ونهي تأويل اذكر أمثلة علىٰ ذلك؟

---

(١) القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد (١/ ٣١٣).

الجواب: أمثلة:

صيام رمضان	كتمان أسرارهم
حج البيت	السفر إلىٰ شيوخهم
تبت يد أبي لهب وتب	أبو بكر وعمر
النبأ العظيم، والإمام المبين	علي بن أبي طالب
اللؤلؤ والمرجان	الحسن والحسين
علمت نفس ما قدمت وأخرت	النفس جبريل قدَّم محمد وأَخَّر علي
لئن أشركت ليحبطن عملك	أشركت أبا بكر مع علي بن أبي طالب في الولاية
الربا	الرغبة في الإكثار
الْجَنَابَة	مبادرة المستجيب بإفشاء سر أُفشي إِلَيْهِ قبل أَن ينَال رُتْبَة اسْتِحْقَاقه
الزنا	هُوَ إلقاء نُطْفَة الْعلم الْبَاطِن فِي نفس من لم يسْبق مَعَه عقد الْعَهْد
الِاحْتِلَام	هُوَ أن يسْبق لِسَانه إلىٰ إفشاء السِّرّ فِي غير مَحَله فَعَلَيهِ الْغسْل أي تَجْدِيد المعاهدة
الطّهُور	هُوَ التبري والتنظف من اعْتِقَاد كل مَذْهَب سوىٰ مبايعة الإمام

الصلوات الْخمس	أَدِلَّة علىٰ الأصول الأربعة وعَلىٰ الإمام فالفجر دَلِيل السَّابِق، وَالظّهْر دَلِيل التَّالِي، وَالْعصر دَلِيل للأساس، وَالْمغْرب دَلِيل النَّاطِق، وَالْعشَاء دَلِيل الإِمَام
الْغسْل من الجنابة	تَجْدِيد الْعَهْد علىٰ فعل ذَلِك

فريق آخر من الباطنية قالوا: إن هذه الشرائع المحرفة يقصدون شعائر الإسلام الظاهرة تلزم العامة دون الخاصة فإذا صار الرجل من عارفيهم رفعوا عنه الواجبات وأباحوا له المحرمات.

س ١٣٧- اذكر أنواع الأقيسة؟

١-**القياس الأصولي** وهو ما يُسمىٰ بقياس التمثيل أو قياس العلة: وهو إلحاق فرع بأصل في حكم لعلة بينهما توجد في الفرع كما توجد في الأصل وهذا النوع لا يجوز في حق الله تعالىٰ لأنه يلزم منه التسوية بين الله وبين خلقه.

٢-**قياس الشمول:** وهذا أيضًا لا يستخدم في حق الله تعالىٰ وهو قياس الجزئيات علىٰ الكليات مثال: كل متكلم لا بد له من لسان وأسنان وحنجرة وشفتان فالإنسان يتكلم يلزم كونه متكلم وجود هذه الأشياء وكذلك الله تعالىٰ -تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا - يتكلم يلزم من كونه يتكلم هذه الأشياء فهذا باطل لأن هذا النوع لا يجوز استخدامه في حق الله تعالىٰ.

قال ابن عبد البر: لَا خِلَافَ بَيْنَ فُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ وَسَائِرِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَهُمْ

أَهْلُ الْفِقْهِ وَالْحَدِيثِ فِي نَفْيِ الْقِيَاسِ فِي التَّوْحِيدِ وَإِثْبَاتِهِ فِي الْأَحْكَامِ(١).

٣-**قياس الأولىٰ**: كل كمال اتصف به المخلوق وثبت به النص لله تعالىٰ فالله أولىٰ بهذا الكمال وكل نقص تنزه عنه المخلوق وثبت به النص تنزيهًا لله تعالىٰ فالخالق أولىٰ بهذا التنزيه.

أدلة ذلك: قال تعالىٰ: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل:٦٠]، قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم:٢٧] أي: الوصف الأعلىٰ.

وهذه القاعدة لا تثبت بها صفات لله تعالىٰ وإنما هي تابعة ومؤيدة لما ثبت من صفات الله تعالىٰ من النصوص.

س١٣٨- اذكر أنواع الكمال؟ مثِّل لما تقول؟

الجواب: الكمال ثلاثة أنواع: مطلق- مقيد -نسبي.

الكمال المطلق: إذا ثبت للمخلوق وثبت بأصل معناه لله تعالىٰ فالله تعالىٰ أولىٰ بهذا الكمال من المخلوق مثال ذلك العلم ثبت للمخلوق وثبت لله تعالىٰ فالله تعالىٰ أولىٰ بالكمال وهو لا نقص فيه بوجه من الوجوه.

الكمال المقيد: الكمال في حال دون حال كالمكر بمن يمكر بأولياء الله قال تعالىٰ: ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ﴾ [الأنفال:٣٠].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله [٢/ ٨٨٧].

أما الكمال النسبي: فهذا إذا اتصف به مخلوق لا يلزم أن يتصف به الخالق مثال ذلك الإنسان عندما يأكل ويشرب وينام نومًا عاديًّا فهذا كمال نسبي وأكمل من الذي لا ينام ولا يأكل ولا يشرب.

❧◈☙

فصل

[المثل الثاني: الروح]

س١٣٩- اذكر المثل الثاني الذي ضربه شيخ الإسلام؟

الجواب: الروح: قال تعالىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيـلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

روىٰ الشيخان من حديث ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي حَرْثٍ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ يَتَوَكَّأُ عَلَىٰ عَسِيبٍ، فَمَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ؟ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا تَسْأَلُوهُ، لا يُسْمِعُكُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقَامُوا إِلَيْهِ فَقَالُوا: يَا أَبَا القَاسِمِ حَدِّثْنَا عَنِ الرُّوحِ، فَقَامَ سَاعَةً يَنْظُرُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، فَتَأَخَّرْتُ عَنْهُ حَتَّىٰ صَعِدَ الوَحْيُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْـرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء:٨٥](١).

س ١٤٠- اذكر مذاهب الناس في الروح؟

الجواب: أهل السنة والجماعة: اعتقدوا أنها حقيقية موجودة لها صفات ثبوتية وصفات سلبية ووُصفت في النصوص ببعض الصفات.

س ١٤١- مثِّل لما ذكرت؟

الجواب: **العروج**: قال تعالىٰ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾

---

(١) أخرجه البخاري [٧٢٩٧]، ومسلم [٢٧٩٤].

[المعارج:٤].

القيام: على قول من الأقوال: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ [النبأ:٣٨].

القبض: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ»(١).

الخروج: قال تعالىٰ: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الأنعام:٩٣].

ممسوكة: قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الزمر:٤٢].

مخلوقة: قال تعالىٰ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ [الزمر:٦٢] وهي من جملة الأشياء المخلوقة.

س١٤٢- ما المقصود من ضرب المثل بالروح؟

الجواب: هو: الرد علىٰ من زعم أن إثبات الصفات التي ورد بها النص لله تعالىٰ يقتضي التشبيه والتمثيل والتجسيم

ووجه ذلك من خلال ضرب المثل بالروح أن هذه الروح دلت النصوص علىٰ أنها موصوفة بصفات ثبوتية كالحياة والخروج ونحوها مع

(١) أخرجه مسلم [٩٢٠] عن أم سلمة.

كونها حية مخلوقة ونشعر بآثارها عجزت العقول عن تكييفها وتحديدها فإذا كانت متصفة بهذه الصفات ومع ذلك لا تماثل صفات المخلوقين مع أنها مخلوقة فالخالق سبحانه وتعالىٰ أولىٰ بالمباينة من المخلوقين بعضهم لبعض.

وكذلك اتفق العقلاء أن من نفىٰ صفات الروح كان جاحدًا معطلًا ومن شك بما يشاهده كان جاهلًا ممثلًا لها فكذلك في حق الله تعالىٰ من باب أولىٰ فمن نفىٰ صفات الله تعالىٰ كان جاحدًا معطلًا ومن قاسه بخلقه كان جاهلًا ممثلًا.

وفي هذا المثل يبين أنه قد تعلم معاني الأشياء وتجهل كيفياتها.

س ١٤٣-كيف تدرك حقائق الأشياء في الدنيا؟

الجواب: من خلال طريقين:

الأول: الإدراك المباشر كالمعاينة والمشاهدة.

الثاني: مشاهدة نظير ذلك الشيء.

ويضاف إلىٰ ما سبق أن يأتي الخبر الصادق عن هذا الشيء.

س١٤٤-ما أسباب الاضطراب الذي وقع فيه المتكلمون والفلاسفة في الروح؟

الجواب: سبب ذلك أن الروح مخلوقة نشعر بآثارها ومع ذلك تخالف المحسوسات فلما أرادوا أن يشبهوها بالمحسوسات انحرفوا عن الحق وكذلك الله تعالىٰ أخفىٰ كيفيتها عنا فالدخول فيها قفو بما ليس لنا به علم.

فالروح ليست من جنس البدن ولا من جنس العناصر يعني الأصول التي تتكون منها الأشياء ولا من جنس المولدات الناشئة عن العناصر بل هي جنس آخر مخالف لهذه الأجناس ولذلك اضطرب فيها المنحرفون عن منهج الرسل فمنهم من لا يعرِّفها إلا بالسلوب وهم الفلاسفة ومنهم من يجعلها من جنس الأجسام المشاهدة كما هو مذهب طوائف أهل الكلام وكلا القولين خطأ.

س١٤٥-ما مذاهب الناس في الروح؟

الجواب: أولًا: مذهب أهل الحق أهل الحديث أهل السنة والجماعة: أنها مخلوقة ولها صفات ثبوتية وسلبية ورد بها النص لا يتجاوزون النصوص الواردة بشأن الروح سواء كان النص يدل علىٰ إثبات صفة أو نفي صفة.

ثانيًا: مذهب المتكلمين علىٰ قولين:

الأول: أنها من جنس الأجسام المشاهدة ومنهم من يقول أنها اليدين أو أنها جزء من اليدين أو أنها النفس أو الريح المتردد في البدن.

الثاني: أنها صفة من صفات البدن ومنهم من يقول أنها الحياة أو المزاج.

ثالثًا: مذهب الفلاسفة: الروح عندهم لا توصف إلا بالصفات السلبية لا في داخل العالم ولا خارجه ولا متحركة ولا ساكنة ولا جسم ولا عرض.

س ١٤٦- عرف النفس الناطقة؟

الجواب: هي الروح عند الفلاسفة.

قال الجرجاني: عن النفس الناطقة بأنها العاقلة المفكرة المدبرة التي

تدرك الأمور الكلية والجزئية[١].

س ١٤٧-عرف الجسم؟

ج -الجسم في اصطلاح أهل الكلام له عدة معان **منها**: أن الجسم هو القائم بنفسه بمعنىٰ أن وجوده لا يتوقف علىٰ وجود غيره ويصدق هذا علىٰ الروح بعد انفصالها عن الجسد.

ومنها: أن الجسم هو الموجود وبهذا الإطلاق يصح تسمية الروح جسمًا.

ومنها: أن الجسم ما يقبل الإشارة إليه.

ومنها: أن الجسم المركب من الجواهر المنفردة.

س ١٤٨- عرف الجواهر المنفردة؟

الجواب: هي الأجزاء الصغيرة أو هو الجزء الذي لا يتجزأ فلا تقبل انقسامًا ما في الخارج ولا بالفرض العقلي، وفي الواقع هذا ليس له وجود، فما من شيء إلا وهو يقبل التجزئة حتىٰ ينتهي أو يتحول إلىٰ شيء آخر.

س ١٤٩- ما مدىٰ صحة هذا القول علىٰ الجسم؟

الجواب: هو قول باطل لا يصح فإن الجسم إذا قسمته أقسامًا فإنه لا

---

(١) التعريفات (ص: ٢٤٤) قال الجرجاني: النفس الناطقة: هي الجوهر المجرد عن المادة في ذواتها مقارنة لها في أفعالها، وكذا النفوس الفلكية، فإذا سكنت النفس تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت مطمئنة، وإذا لم يتم سكونها ولكنها صارت موافقة للنفس الشهوانية ومعترضة لها، سميت: لوامة؛ لأنها تلوم صاحبها عن تقصيرها في عبادة مولاها، وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضىٰ الشهوات ودواعي الشيطان، سميت: أمارة.

يزال ينقسم حتىٰ يستحيل إلىٰ شيء آخر فلا يبقىٰ شيء مما يسمونه بالجوهر الفرد.

س ١٥٠– عرف المادة؟

الجواب: هي أصل الشيء.

س ١٥١– عرف العَرَض؟

الجواب: ما لا يقوم بذاته بل لا يقوم إلا بغيره (وهي الصفات).

س ١٥٢– عرف الجوهر؟

الجواب: ما يقبل التحيز ويقبل القسمة.

س ١٥٣- عرف الصورة؟

الجواب: هي وضع الشيء وشكله بعد تركيبه.

س ١٥٤– من هم أهل التخييل؟

الجواب: هم من زعموا أن أخبار اليوم الآخر خيالات جاءت بها الرسل لإصلاح الخلق أو ما يسمونه بمصلحة الجمهور.

✿✿✿

فصل
الخاتمة الجامعة وما فيها من قواعد نافعة

س ١٥٥- ختم شيخ الإسلام الجزء الأول من الرسالة بخاتمة اشتملت علىٰ عدة قواعد اذكرها؟

الجواب: الأولىٰ: أن الله تعالىٰ موصوف بالإثبات والنفي فيجب إثبات ما أثبت، ونفي ما نفاه مع اعتقاد كمال الضد.

الثانية: في وجوب الإيمان بما أخبر الله به ورسوله سواء عُرف معناه أم لم يُعرَف.

الثالثة: يجب إجراء النصوص علىٰ ظاهرها.

الرابعة: توهم بعض الناس في نصوص الصفات والمحاذير المترتبة علىٰ ذلك.

الخامسة: ما أخبرنا الله به عن نفسه فهو معلوم لنا من جهة، ومجهول من جهة. معلوم لنا من جهة المعنىٰ، ومجهول لنا من جهة الكيفية.

السادسة: ضابط ما يجوز لله ويمتنع عنه نفيًا وإثباتًا.

السابعة: أن ما جاء به الشرع يدل عليه العقل إما دلالة مفصلة وإما دلالة مجملة.

❁

فصل

[القاعدة الأولى : صفات الله سبحانه إثبات ونفي]

س١٥٦ – بيِّن المراد بقول شيخ الإسلام أن الله تعالىٰ موصوف بالإثبات والنفي؟

الجواب: المراد إثبات صفات الكمال المطلق لله تعالىٰ، ونفي النقائص والعيوب عنه مع إثبات كمال الضد لهذه الصفات المنفية.

س١٥٧ – علىٰ ما تدور القاعدة الأولىٰ؟

الجواب: علىٰ مسألتين:

الأولىٰ: تقرير مذهب السلف في الصفات.

الثانية: الرد علىٰ المخالفين في هذا الباب.

س ١٥٨ – علىٰ من يَردُّ شيخُ الإسلام بالقاعدة الأولىٰ؟

الجواب: يردُّ شيخ الإسلام بالقاعدة الأولىٰ علىٰ طائفتين:

الأولىٰ المعطلة: الذين يقتصرون علىٰ صفات النفي دون الإثبات فلا يصفونه إلا بالنفي والسلوب فيقولون ليس بجسم ولا صورة ولا شخص ولا جوهر ولا يتحرك وهم الغلاة في التنزيه بدون إثبات ما أثبته الله من الصفات.

ويقولون أيضًا: إن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه ولا فوق العالم ولا تحته ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه، كما أنهم يقولون: إن الله ليس بحي ولا بصير ولا متكلم.

فلزمهم أن يكون ميتًا أصمًّا أعمًىٰ وأبكمًا، وهم بهذا لا يثبتون إلهًا

موجودًا بل إلهًا معدومًا.

وأول من أدخل النفي في التنزيه هم الجهمية حيث جعلوه مِعولًا لهدم صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة.

الثانية المشبهة: الغالين في إثبات الصفات ولكنهم لا ينزّهون الله عن النقائص الذين يقولون: له وجه كوجهي ويد كيدي.... وغيرها.

س ١٥٩– ما معنىٰ يصفون الله بالسلوب؟

الجواب: السلوب جمع سلب والسلب هو النفي، والمراد أن هؤلاء المعطلة الغلاة لا يصفون الله تعالىٰ بصفات ثبوتية كالسمع والبصر والعلو ونحوها من الصفات الكمالية الدالة علىٰ مطالب عظيمة ومعارف دالة علىٰ عظمة الله سبحانه وتعالىٰ، بل هؤلاء المعطلة الغلاة يصفون الله تعالىٰ بأمور عدمية فيقولون: الله لا معدوم ولا موجود، ولا يتكلم ولا يرىٰ ولا يسمع، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا داخل ولا خارج، ولا متصل ولا منفصل، فهذه الصفات في الحقيقة ليست بصفات كمالية بل هي صفات للمعدوم المحض، بل للممتنع البحت وليست هذه الصفات للموجود أصلًا، فضلًا عن أن تكون لواجب الوجود؟!

س ١٦٠– أورد أهل السنة إشكالًا علىٰ الجهمية لما وصفوا الله تعالىٰ بالسلوب فقط اذكره؟

الجواب: قال أهل السنة إنكم أيها الجهمية قد وصفتم الله تعالىٰ بأنه لا حي ولا ميت فنفيتم عن الله تعالىٰ الحياة وضدها الممات. وهذا النفي لا يمكن عقلًا، لأنه إذا لم يكن حيًّا لابد أن يكون ميتًا وإذا لم يكن ميتًا لابد أن

يكون حيًّا، وإلا يلزم رفع النقيضين، ورفع النقيضين باطل باتفاق العقلاء.

س ١٦١- ما جواب الجهمية علىٰ الإشكال السابق الذي أورده عليهم أهل السنة؟

الجواب: قالت الجهمية لا يلزم من قولنا: (لاحي ولا ميت) رفع النقيضين: لأن الحياة والممات ليسا نقيضين عند من لا يقبلهما كما يقال الجدار ليس بعالم، لا يلزم أن يكون الجدار جاهلًا لأن الجدار لا يقبل العلم ولا يقبل الجهل فيصح لك أن تقول: هذا ليس بعالم ولا جاهل ولا حي ولا ميت، فهكذا يجوز لك أن تقول: الله ليس بحي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل.

س١٦٢- ما جواب أهل السنة علىٰ الجهمية فيما ادعوه؟

الجواب: هذا الذي ذكره الجهمية (أن رفع النقيضين يمكن علىٰ من لا يقبلهما) اصطلاح اصطلحوا عليه وهو في الحقيقة ليس بشيء.

س ١٦٣- وضح ذلك؟

الجواب: من المعلوم: في بداهة العقول أن ما يوصف بعدم الحياة والسمع والبصر والكلام يمكن وصفه بالموت والعمىٰ والخرس والعجمة.

فكل موجود يقبل الاتصاف بهذه الأوصاف ونقائضها؛ يجوز لك أن تصفه بها أو بأضدادها كقولك: زيد بصير وعمرو أعمىٰ، ولكن لا يجوز لك أن تقول: زيد لا بصير ولا أعمىٰ.

فقول القائل أن الجدار لا يقبل الاتصاف بالحياة والسمع والبصر فكلمة

لا يقبل تعني المستحيل أي الممتنع لذاته والله ﷻ علىٰ كل شيء قدير وقدرة الرب نافذة وشاملة فقد جعل عصا نبيه موسىٰ ﵇ حية تبتلع الحبال والعصي فصارت ثعبانًا بمجرد إلقائها قال تعالىٰ: ﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الشعراء:٤٥]، وكذلك الطين - وهو من الجماد - نفخ فيه نبيه عيسىٰ ﵇ فصار طيرًا حيًّا بإذن الله ﷻ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ [المائدة:١١٠].

س ١٦٤- هل من مزيد لبيان قبح ما ذهب إليه الجهمية؟

الجواب: نعم معلوم في بداهة العقول أن ما لا يقبل الاتصاف بالكمال في أصله أعظم نقصًا ممن يتصف بها وبضدها ففي قول الجهمية أن الله تعالىٰ لا يقبل الاتصاف بصفات الكمال تشبيه لله تعالىٰ بالجمادات علىٰ زعمهم بأن الجماد لا يقبل الاتصاف بمثل الكلام، والسمع، والبصر.... فكيف ينكر من قال هذا علىٰ غيره - ممن يثبت لله تعالىٰ صفات الكمال - زاعمًا أنها تشبيه بالحي؟ فمن باب التنزل مع المخاطب فالتشبيه بالأحياء - ولو فرض - خير من التشبيه بالجمادات ومعنىٰ ذلك أن الذي يشبه الله تعالىٰ بالجماد أعظم تنقصًا لله ممن يزعم أنه شبهه بالأحياء.

س ١٦٥- قول الجهمية (العمىٰ عدم البصر عما من شأنه أن يقبل البصر وما لا يقبل البصر كالحائط لا يقال له أعمىٰ ولا بصير) يلزم منه إلزامًا لا مفر منه ما هو؟

الجواب: يلزم من ذلك لا مفر أن الله تعالىٰ لا يقبل الاتصاف بصفات

الكمال وفي هذا من القبح ما لا يعلمه إلا الله ﷻ.

س ١٦٦- تضمنت القاعدة الأولىٰ أمرين يتعلقان بصفات الله تعالىٰ اذكرهما؟

الجواب: الأمر الأول: أن الله تعالىٰ أثبت لنفسه صفات وكذلك النبي ﷺ أثبت لله تعالىٰ صفات، وأن كل ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه وأثبته له رسوله فهو صفة كمال.

الأمر الثاني: أن الله تعالىٰ نفىٰ عن نفسه صفات وكذلك النبي ﷺ نفىٰ عن الله تعالىٰ صفات.

س ١٦٧- مثِّل لما ذكرت؟

الجواب: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾﴾ [البقرة:١٨١].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البقرة:٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾ [الحج:٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق:٣٨].

وروىٰ مسلم من حديث أنس بن مالك، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ، حَتَّىٰ يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - قَدَمَهُ**

فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، وَعِزَّتِكَ وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ»(١).

وفي رواية عند البخاري قال ﷺ: «**فَأَمَّا النَّارُ: فَلا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، وَلا يَظْلِمُ اللهُ ﷻ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا**»(٢).

بوب ابن خزيمة فقال: بَابُ ذِكْرِ إِثْبَاتِ الرِّجْلِ للهِ ﷻ وَإِنْ رَغمَتْ أُنُوفُ الْمُعَطِّلَةِ الْجَهْمِيَّةِ، الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِصِفَاتِ خَالِقِنَا ﷻ الَّتِي أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ فِي مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ، وَعَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ ثم روىٰ الأخبار الواردة في ذلك(٣).

وروىٰ مسلم من حديث ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا وَإِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَىٰ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنبَةٌ طَافِئَةٌ**» (٤).

س ١٦٨- كل صفة نفاها الله عن نفسه أو نفاها عنه رسوله ﷺ فإنها متضمنة لشيئين اذكرهما؟

الجواب: أحدهما: انتفاء تلك الصفة.

الثاني: ثبوت كمال ضدها.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٨٤٨].

(٢) أخرجه البخاري [٤٨٥٠].

(٣) التوحيد لابن خزيمة [١/ ٢٠٢].

(٤) أخرجه مسلم [٤/ ٢٢٤٧].

س١٦٩ – مثِّل لما تقول؟

الجواب: قال تعالىٰ عن نفسه سبحانه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [يونس:٤٤] فنفىٰ عن نفسه تعالىٰ مطلق الظلم مع إثبات كمال العدل.

س ١٧٠– هل النفي المحض فيه كمال؟

الجواب: لا ليس فيه كمال وذلك من ثلاثة وجوه:

١- لأن النفي المحض غير المتضمن للإثبات عدمٌ محض، والعدم المحض ليس بشيء لأنه عدم، وما دام عدمًا وليس بشيء فلا يكون كمالًا.

٢- ولأن النفي المحض يوُصف به المعدوم، فيقال ليس بموجود ولا حي وغير ذلك، بل يوصف به الممتنع فيقال: ليس بممكن ولا موجود.

٣- ولأن النفي المحض فيه إساءة أدب، قال ابن أبي العز: «وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لستَ بزبّال ولا كسَّاح ولا حجّام ولا حائك لأدّبك»(١).

س ١٧١– من أول من أدخل النفي فقط في تنزيه الله تعالىٰ؟

الجواب: هم الجهمية فقد قال عنهم الإمام أحمد: أن توحيدهم غالبه سلوب بدون إثبات، وتابعهم بعد ذلك المعتزلة.

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٧٠).

س ١٧٢- هل هذه الطريقة صحيحة؟

الجواب: هي طريقة بدعية مخالفة لصحيح المنقول ولصريح المعقول ولما كان عليه السلف الصالح.

قال ابن أبي العز في بيان فساد هذه الطريقة: وَالْمُعَطِّلَةُ يُعْرِضُونَ عَمَّا قَالَهُ الشَّارِعُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ مَعَانِيَهَا، وَيَجْعَلُونَ مَا ابْتَدَعُوهُ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ هُوَ الْمُحْكَمَ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَاعْتِمَادُهُ. وَأَمَّا أَهْلُ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ فَيَجْعَلُونَ مَا قَالَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ هُوَ الْحَقَّ الَّذِي يَجِبُ اعْتِقَادُهُ وَاعْتِمَادُهُ. وَالَّذِي قَالَهُ هَؤُلَاءِ إِمَّا أَنْ يُعْرِضُوا عَنْهُ إِعْرَاضًا جَمِيلًا، أَوْ يُبَيِّنُوا حَالَهُ تَفْصِيلًا، وَيُحْكَمَ عَلَيْهِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا يُحْكَمُ بِهِ عَلَىٰ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ (١).

س ١٧٣- متىٰ يكون النفي كمالًا؟

الجواب: لا يكون النفي كمالًا إلا إذا تضمن إثبات كمال الضد.

س ١٧٤- مثِّل لما تقول؟

الجواب: قال تعالىٰ عن نفسه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة:٢٥٥] لكمال حياته وكمال قيوميته لأن الحياة الكاملة لا تحتاج إلىٰ نوم والحياة الناقصة هي التي تحتاج إلىٰ نوم لأن النوم ينقض ما سبق من تعب ومعنىٰ ذلك أن الجسم أرهق فاحتاج إلىٰ راحة فدل النوم علىٰ نقص في الموصوف به.

(١) شرح الطحاوية [١/ ٧٠].

س ١٧٥– لماذا كل ما نفاه الله تعالىٰ عن نفسه أو نفاه عنه رسوله يلزم ثبوت كمال الضد؟

الجواب: لأن النفي الذي لا يلزم منه ثبوت كمال الضد لا يقع إلا علىٰ الشيء الممتنع أو المعدوم وعليه لا يمكن أن يكون ما نفىٰ الله تعالىٰ عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ مجرد نفي فقط بل لابد من إثبات كمال الضد.

قال شيخ الإسلام: وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّفْيَ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ وَلَا كَمَالٌ إلَّا إذَا تَضَمَّنَ إثْبَاتًا وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ النَّفْيِ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ وَلَا كَمَالٌ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ عَدَمٌ مَحْضٌ؛ وَالْعَدَمُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِشَيْءِ وَمَا لَيْسَ بِشَيْءِ فَهُوَ كَمَا قِيلَ: لَيْسَ بِشَيْءِ؛ فَضْلًا عَنْ أَنْ يَكُونَ مَدْحًا أَوْ كَمَالًا وَلِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ يُوصَفُ بِهِ الْمَعْدُومُ وَالْمُمْتَنِعُ وَالْمَعْدُومُ وَالْمُمْتَنِعُ لَا يُوصَفُ بِمَدْحِ وَلَا كَمَالٍ. فَلِهَذَا كَانَ عَامَّةُ مَا وَصَفَ اللهُ بِهِ نَفْسَهُ مِنْ النَّفْيِ مُتَضَمِّنًا لِإِثْبَاتِ مَدْحٍ كَقَوْلِهِ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، إلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ [البقرة:٢٥٥]، فَنَفْيُ السِّنَةِ وَالنَّوْمِ: يَتَضَمَّنُ كَمَالَ الْحَيَاةِ وَالْقِيَامِ؛ فَهُوَ مُبَيِّنٌ لِكَمَالِ أَنَّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ أَيْ لَا يُكْرِثُهُ وَلَا يُثْقِلُهُ وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ وَتَمَامِهَا(١).

(١) مجموع الفتاوىٰ [٣/ ٣٥].

س ١٧٦– ما المعتقد الصحيح في الصفات المنفية عن الله تعالىٰ؟

الجواب: هو أن ننفي عن الله تعالىٰ ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ مع اعتقاد كمال الضد.

س ١٧٧– مثِّل لما تقول؟

الجواب: قوله تعالىٰ: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] دل هذا اللفظ بالمطابقة علىٰ عدم النوم والسنة ودل بالالتزام علىٰ كمال الحياة وكمال القيومية وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف:٤٩] فنفىٰ الظلم عن نفسه لكمال عدله ﷻ وذلك لأن نفي الظلم مطلقًا دون ثبوت كمال العدل يحتمل الذم.

كما قال الشاعر يذم قبيلته[1] وينفي عنهم الظلم لعجزهم وعدم قدرتهم لا لعدلهم.

س ١٧٨– هل من مثال آخر؟

الجواب: قال تعالىٰ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣].

فالله تعالىٰ نفىٰ عن نفسه الإدراك الذي هو الإحاطة بالشيء المرئي والمعنىٰ لا يحيط أحد بالله تعالىٰ وإن رآه فهو ﷻ أعظم من أن يحاط به فالله تعالىٰ نفىٰ الإدراك الذي هو الإحاطة ولم ينف الرؤية وكما هو معلوم أن نفي

---

(١) قبيلة (بالتصغير) لا يغدرون بذمة ... ولا يظلمون الناس حبة خردل

الأخص لا يقتضي نفي الأعم ففي الآية نفي الإحاطة وهي أخص لا يقتضي نفي الأعم وهي الرؤية.

س ١٧٩– في الآية السابقة دليل علىٰ أن الله تعالىٰ يُرىٰ وضح ذلك؟

الجواب: نفىٰ الله تعالىٰ في الآية عن نفسه أن يحاط به فنفىٰ الإحاطة التي هي الإدراك دليل علىٰ وجود أصل الرؤية ولو كان أصل الرؤية مفقودًا لقال لا تراه الأبصار.

س ١٨٠– متىٰ تتحقق هذه الرؤية؟

الجواب: في الآخرة في الجنة للمؤمنين إن شاء الله تعالىٰ.

س ١٨١– ما الدليل علىٰ وقوع هذه الرؤية للمؤمنين؟

الجواب: قال تعالىٰ: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

روىٰ الشيخان من حديث جرير بن عبد الله قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(١)

(لا تضامون) يجوز ضم التاء وفتحها وهو بتشديد الميم من الضم أي لا ينضم بعضكم إلىٰ بعض ولا يقول أرنيه بل كل ينفرد برؤيته وروي بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم يعني لا ينالكم ظلم بأن يرىٰ بعضكم دون بعض

(١) أخرجه البخاري [٧٤٣٦].

بل تستوون كلكم في رؤيته تعالىٰ[(١)].

س ١٨٢– نفي الإدراك في الآية السابقة دل علىٰ أمرين اذكرهما؟

الأول: كمال العظمة لله تعالىٰ فهو سبحانه وتعالىٰ لعظمته لا يُدرَك ولا يُحاط به.

الثاني: نفي الإدراك دليل علىٰ إثبات الرؤية مع عدم الإحاطة فالإدراك أخص والرؤية أعم وكما هو معلوم أن نفي الأخص لا يلزم منه نفي الأعم.

س ١٨٣– المعدوم لا يرىٰ والمحجوب لا يرىٰ ما الفرق؟

الجواب: المعدوم لا يرىٰ علىٰ الإطلاق لأنه ليس بشيء، أما المحجوب فإنه في الأصل يرىٰ ولكن حُجب فامتنعت رؤيته، فإذا زال الحجاب وقعت رؤيته.

س ١٨٤– الذين وصفوا الله تعالىٰ فقالوا – وبئس ما قالوا – إن الله – تعالىٰ الله عن قولهم – لا بداخل العالم ولا خارجه ولا مباينًا للعالم ولا محايدًا ولا متصلًا ولا منفصلًا هذا الوصف ينطبق علىٰ ماذا؟

الجواب: ينطبق هذا الوصف علىٰ المعدوم لا غير.

قال شيخ الإسلام: «قَالَ مَحْمُودُ بْنُ سبكتكين» لِمَنْ ادَّعَىٰ ذَلِكَ فِي الْخَالِقِ: مَيِّزْ لَنَا بَيْنَ هَذَا الرَّبِّ الَّذِي تُثْبِتُهُ وَبَيْنَ الْمَعْدُوم. وَكَذَلِكَ كَوْنُهُ لَا يَتَكَلَّمُ أَوْ لَا يَنْزِلُ لَيْسَ فِي ذَلِكَ صِفَةُ مَدْحٍ وَلَا كَمَالٍ؛ بَلْ هَذِهِ الصِّفَاتُ فِيهَا

(١) صحيح مسلم [١/ ٤٣٩] شرح محمد فؤاد عبد الباقي.

تَشْبِيهٌ لَهُ بِالْمَنْقُوصَاتِ أَوْ الْمَعْدُومَاتِ فَهَذِهِ الصِّفَاتُ: مِنْهَا مَا لَا يَتَّصِفُ بِهِ إلَّا الْمَعْدُومُ وَمِنْهَا مَا لَا يَتَّصِفُ بِهِ إلَّا الْجَمَادَاتُ وَالنَّاقِصُ فَمَنْ قَالَ: لَا هُوَ مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ وَلَا مُدَاخِلٌ لِلْعَالَمِ فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ قَالَ: لَا هُوَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَلَا بِغَيْرِهِ وَلَا قَدِيمٌ وَلَا مُحْدَثٌ وَلَا مُتَقَدِّمٌ عَلَىٰ الْعَالَمِ وَلَا مُقَارِنٌ لَهُ(١).

س ١٨٥– علىٰ أي شيء تقع الصفات السلبية التي لا يلزم منها كمال الضد؟

الجواب: لا تقع إلا علىٰ الجماد والناقص ومنها ما يقع علىٰ المعدوم.

س ١٨٦– مثِّل لما سبق؟

الجواب: فمن قال: أن الله – تعالىٰ الله عن قولهم – ليس بداخل العالم ولا خارجه فهذا هو المعدوم.

ومن قال: أن الله – تعالىٰ الله عن قولهم – لا سميع ولا بصير فهذا هو الناقص.

ومن قال: أن الله – تعالىٰ الله عن قولهم – ليس بحي فهذا هو الجماد.

س ١٨٧– ما المراد بالمتحيز؟

الجواب: المتحيز له معنيان:

الأول: أن يكون الشيء تحيط به الأحياز فهذا الشيء لاشك أنه في داخل العالم وليس بخارج العالم البتة ومتصل بالعالم وليس منفصلًا عنه؛ لأنه

(١) مجموع الفتاوىٰ [٣/ ٣٧].

جزء من العالم.

والمعنىٰ الثاني: هو كون الشيء بحيث يكون منحازًا عن العالم أي مباينًا عنه.

فالمتحيز بهذا المعنىٰ لا شك أنه خارج عن هذا العالم وليس بداخل في العالم.

فالله تعالىٰ في الحقيقة متحيز بالمعنىٰ الثاني لا بالمعنىٰ الأول.

قال شيخ الإسلام: فَلَا رَيْبَ أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَالَمِ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ وَكَذَلِكَ يُقَالُ لِمَنْ قَالَ اللهُ فِي جِهَةٍ: أَتُرِيدُ بِذَلِكَ أَنَّ اللهَ فَوْقَ الْعَالَمِ؟ أَوْ تُرِيدُ بِهِ أَنَّ اللهَ دَاخِلٌ فِي شَيْءٍ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ؟ فَإِنْ أَرَدْت الْأَوَّلَ فَهُوَ حَقٌّ وَإِنْ أَرَدْت الثَّانِيَ فَهُوَ بَاطِلٌ وَكَذَلِكَ لَفْظُ التَّحَيُّزِ: إنْ أَرَادَ بِهِ أَنَّ اللهَ تَحُوزُهُ الْمَخْلُوقَاتُ فَاللهُ أَعْظَمُ وَأَكْبَرُ؛ بَلْ قَدْ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧][(١)].

س ١٨٨– ما وجه الخطأ في قول الجهمية وغيرهم أن الله – تعالىٰ عن قولهم – ليس بمتحيز؟

الجواب: إطلاق هذا اللفظ علىٰ الله تعالىٰ يعني أن الله تعالىٰ ليس بداخل العالم ولا خارجه وهذا هو المعدوم.

(١) مجموع الفتاوىٰ [٣/ ٤٢].

س ١٨٩– ما الفرق بين مذهب من ينفي النقيضين عن الله تعالىٰ ومن يصف الله بالنفي فقط؟

أولًا: من ينفون عن الله تعالىٰ النقيضين: وهم الجهمية المحضة الغالية كالقرامطة الباطنية فيقولون: ليس بموجود ولا معدوم وهكذا.

ثانيًا: من يصفونه بالنفي فقط وهم الجهمية والمعتزلة، فيقولون: ليس بحي ولا سميع ولا بصير.

وجه المقارنة بينهما:

١ ـ **أن الطائفة الأولىٰ**: أكفر من جهة أنهم شبهوه بالممتنعات، وهو أقبح من مجرد العدم.

٢ ـ **والطائفة الثانية**: أكفر من جهة أنهم لم يصرحوا بنفي النقائض عنه بل قالوا: ليس بحي، ولم يقولوا ليس بميت، فتنزيههم أقل من الطائفة الأولىٰ التي صرحت بنفي النقائض عنه، فكل من الطائفتين أكفر من الأخرىٰ من جهة.

❊

فصل

[القاعدة الثانية]

س ١٩٠- اذكر نص القاعدة الثانية؟

الجواب: أن ما أخبر به الرسول ﷺ عن ربه ﷻ فإنه يجب الإيمان به، سواء عرفنا معناه أو لم نعرف، لأنه الصادق المصدوق، فما جاء في الكتاب والسنة وجب على كل مؤمن الإيمان به وإن لم يفهم معناه.

وكذلك ما ثبت باتفاق سلف الأمة وأئمتها. مع أن هذا الباب يوجد عامته منصوصًا في الكتاب والسنة، متفقًا عليه بين سلف الأمة.

١٩١ - ما المراد بقول شيخ الإسلام في القاعدة الثانية (سواء عرفنا معناه أو لم نعرف)؟

الجواب: ليس المقصود أن شيئًا مما ورد في الكتاب والسنة من صفات الله تعالى لا يفهم معناه ولكن المراد أن الناس يتفاوتون في أفهامهم فبعض الناس قد لا يفهم معنى بعض الصفات فيجب عليه أن يؤمن بما أخبر الله تعالى به في كتابه وبما أخبر به الرسول ﷺ في سنته وإن لم يفهم معناه.

س ١٩٢- ما وجه وجوب الإيمان بما أخبر به الرسول ﷺ؟

الجواب: لأنه الصادق المصدوق والمراد بالصادق من أخبر بالصدق والمراد بالمصدوق الذي أُخْبر بالصدق فالرسول ﷺ صدقنا ونحن مصدقون بما أخبرنا به. الصَّادِقُ فِي قَوْلِه، الْمَصْدُوقُ فِيمَا يَأْتِيهِ مِنْ الْوَحْي

الْكَرِيم.

س ١٩٣- مثِّل لما سبق؟

الجواب: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، وجب علىٰ كل مسلم سمعها أن يؤمن بأن الله علىٰ العرش استوىٰ وإن لم يفهم معناه ثم بعد الإيمان يأتي السؤال عن معنىٰ الاستواء.

س ١٩٤- ما أخبر الله تعالىٰ عن نفسه وأخبر عنه الرسول ﷺ للعلم به وجهتان بَيِّنْهُمَا؟

الوجهة الأولىٰ: الكيفية وهذه الوجهة لا سبيل لنا للعلم بها.

الوجهة الثانية: المعنىٰ الذي دلت عليه الصفة وهذه تعلم عن طريق لغة العرب وما يؤثر علىٰ المعنىٰ من سياق وإفراد واقتران وتقديم وتأخير ونحوه. والمراد بالمعنىٰ هنا هو أصل المعنىٰ الذي دلت عليه لغة العرب بأصل الوضع.

س ١٩٥- لماذا لا سبيل للعلم بكيفية صفات الله تعالىٰ؟

الجواب: لأن العلم بكيفية الصفة يتوقف علىٰ ثلاثة أمور:

الأول: مشاهدة الموصوف.

الثاني: مشاهدة نظيره.

الثالث: الخبر الصادق عن كيفية الصفة والثلاثة منتفية في حق الله ﷻ.

س ١٩٦ - هل من لم يعرف المعنىٰ يجب عليه الإيمان فقط؟

الجواب: لا بل يجب عليه بعد الإيمان السؤال عن معنىٰ الصفة ولن

يعدم من يسأل.

س ١٩٧– الألفاظ التي وردت في صفات الله تعالىٰ نوعان باعتبار ورود الدليل الشرعي عليه اذكرهما؟

الجواب: ١- لفظ ورد به دليل شرعي.

٢- لفظ لم يرد به دليل شرعي.

س ١٩٨– ما الواجب تجاه نوعي الألفاظ؟

الجواب: النوع الأول يجب الإيمان به عرفنا معناه أو لم نعرفه أما النوع الثاني فلا يجب علينا بل لا يجوز لنا أن نؤمن به إلا بعد أن نستفصل عن مراد من ذكره.

س ١٩٩– مثِّل لما سبق من نوعي الألفاظ؟

الجواب: النوع الأول: اليد - الغضب - الرحمة – المحبة ونحوها مما ورد عليه الدليل من الكتاب أو صحيح السنة.

النوع الثاني: الجهة - التحيز – الجسم - البعضية.

س ٢٠٠– الصفات التي لم يرد عليها دليل لماذا لا يجوز أن نؤمن بها إلا بعد الاستفصال عن مراد من أطلقها علىٰ الله تعالىٰ؟

الجواب: لأن هذه الألفاظ قد تشتمل علىٰ حق وباطل، فلا تقبل مطلقًا ولا ترد مطلقًا بل يستفصل عن مراد قائلها فإن أراد بها حقًّا قُبل وإن أراد بها باطلًا رُدَّ عليه ويقال بعد ذلك لمن أراد بهذه الألفاظ معنىٰ صحيحًا ما أردته

حق ولكن التعبير عنه بهذه الألفاظ خطأ لأنها لم ترد في الكتاب ولا في السنة.

س ٢٠١- مثِّل لما ذكرت؟

الجواب: لفظ الجهة هذا لفظ مجمل محدث يشتمل على حق وباطل.

س ٢٠٢- ما الإجمال في لفظ الجهة وكذلك ما الحق والباطل فيه؟

الجواب: يطلق لفظ الجهة ويراد به شيء موجود غير الله تعالىٰ فيكون مخلوقًا وهي بهذا المعنىٰ لا يجوز إثباتها لله تعالىٰ. ويطلق لفظ الجهة أيضًا ويراد به ما فوق العالم فإذا أريد بالجهة ما فوق العالم فهي بهذا المعنىٰ يصح إثباتها لله تعالىٰ.

وكذلك من قال أن الله تعالىٰ في جهة يستفصل ماذا أردت في جهة إن أراد أن الجهة تحيط بالله تعالىٰ وتحوزه فهذا المعنىٰ باطل ولاشك ولا يحل أن نثبته لله تعالىٰ وإن أراد في جهة العلو ولا يحيط به شيء من مخلوقاته فهذا المعنىٰ حق ولكننا مع ذلك لا نقول أن الله في جهة لأن هذا اللفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة.

س ٢٠٣- هل من بديل لهذه الألفاظ المحدثة ولها نفس المعنىٰ الحق الذي يجب إثباته لله تعالىٰ؟

الجواب: نعم مثل الاستواء والفوقية والعلو والعروج ونحو ذلك.

قال العلامة العثيمين: ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ: (الجهة)، فلو سأل سائل: هل نثبت لله تعالىٰ جهة؟، قلنا له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتًا ولا نفيًا، ويُغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالىٰ في السماء. وأما معناه

فإما أن يراد به جهة سفل أو جهة علو تحيط بالله، أو جهة علو لا تحيط به. فالأول باطل، لمنافاته لعلو الله تعالىٰ الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

والثاني باطل أيضًا، لأن الله تعالىٰ أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث حق، لأن الله تعالىٰ العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته (١).

س ٢٠٤- هل من مثال آخر لهذه الألفاظ المحدثة؟

الجواب: نعم لفظ التحيز وقد سبق بيانه.

س ٢٠٥- اذكر خلاصة القول في الألفاظ التي لم ترد في الكتاب ولا في السنة ووصف بها الله تعالىٰ؟

الجواب: لا نثبت هذه الألفاظ ولا ننفيها إلا بعد الاستفصال عن المعنىٰ المراد من إطلاقها فإن كان حقًّا يليق بالله تعالىٰ قبل المعنىٰ فقط دون اللفظ وإن كان باطلًا رد المعنىٰ واللفظ.

س ٢٠٦- هل هناك صفات وأسماء لله ﷻ غير مذكورة في الكتاب والسنة؟

الجواب: نعم هناك صفات وأسماء لله سبحانه وتعالىٰ استأثر بها في علم

---

(١) القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ [١/ ٣١].

الغيب عنده.

س ٢٠٧- ما الدليل علىٰ ذلك؟

الجواب: روىٰ الإمام أحمد وابن حبان بسند صحيح عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ، إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ أَوْ حُزْنٌ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ بَصَرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟، قَالَ: «**أَجَلْ، يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ**»(١) .

وجه الدلالة من الحديث قول الرسول ﷺ: «**استأثرت به في علم الغيب عندك**» فهذا نص في أن لله تعالىٰ أسماء اختص بعلمها وطوىٰ علمها عن العباد أي لم يطلع عليه أحدًا.

س ٢٠٨- ما علاقة أسماء الله تعالىٰ بصفاته؟

الجواب: كل اسم من أسماء الله تعالىٰ دل علىٰ صفة مشتقة منه بدلالة التضمن وقد يدل علىٰ غير هذه الصفة المشتقة منه بدلالة اللزوم.

---

(١) أخرجه أحمد [٤٣١٨]، وابن حبان [٩٧٢]، وصححه الألباني في «الصحيحة» [١٩٩].

س٢٠٩- اذكر أمثلة لما تقول؟

الجواب: اسم الله السميع يدل بدلالة التضمن علىٰ صفة السمع وحدها وعلىٰ ذات الله وحدها بدلالة التضمن وعليهما معًا أي صفة السمع والذات بدلالة المطابقة ويدل بدلالة اللزوم علىٰ صفة الحياة.

س٢١٠ – هل أسماء الله تعالىٰ مترادفة أو متباينة؟

الجواب: التفصيل فنقول أنها مترادفة في دلالتها علىٰ الذات ومتباينة في دلالتها علىٰ الصفات.

س ٢١١- مثِّل لما ذكرت؟

الجواب: نقول إن السميع هو البصير هو الكبير هو الرب هو الرحيم فهذه الأسماء وغيرها تدل علىٰ مسمىٰ واحد وهو الله ﷻ ولكن صفة السمع غير صفة البصر غير صفة الرحمة ونحو ذلك وعليه فأسماء الله تعالىٰ أعلام وأوصاف فهي أعلام باعتبار دلالتها علىٰ الذات وأوصاف باعتبار دلالتها علىٰ الصفات [1].

س ٢١٢- هل من أسماء أخرىٰ أعلام وأوصاف؟

الجواب: نعم أسماء القرآن وكذلك أسماء الرسول ﷺ [2].

---

(١) يراجع القواعد المثلىٰ في صفات الله وأسمائه الحسنىٰ [ص٨].

(٢) **قال ابن القيم** في زاد المعاد (١/ ٨٦) عن أسماء النبي ﷺ أنها كلها نعوت ليست أعلامًا محضة لمجرد التعريف بل أسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال ا. هـ.

=⇦

س ٢١٣- وضح ما سبق؟

الجواب: قد سمَّىٰ الله تعالىٰ القرآن بأسماء منها القرآن قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧﴾ [الواقعة:٧٧]، فهو (القرآن) من القَرْءِ بمعنىٰ الجمع لأنه مجموع ومؤلف من حروف وآيات وسور.

وسمَّاه الفرقان قال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [الفرقان:١]، وهو (الفرقان) لأنه فارق بين الحق والباطل وبين أولياء الله وأعداء الله وبين النافع والضار وبين الغث والسمين.

وسمَّاه الكتاب قال تعالىٰ: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣﴾ [آل عمران:٣]، وهو (الكتاب) لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ وفي الصحف التي بأيدي الملائكة ومكتوب في الصحف التي بأيدي المؤمنين.

= **وقال الزرقاني في شرح المواهب** (٣/ ١١٣) عن أسماء النبي ﷺ أن كلها تدل علىٰ معان شريفة ولذا قال ابن القيم أن محمدًا علم وصفة في حقه ﷺ وإن كان علمًا محضًا في حق غيره وهذا شأن أسمائه كأسماء الله أعلام دالة علىٰ معان هي أوصاف مدح فلا تضاد فيها العلمية الوصفية ولما كانت الأسماء قوالب المعاني ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب وأن لا تكون معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها فإن حكمة الحكيم تأبىٰ ذلك والواقع يشهد بخلافه بل للأسماء تأثير في المسميات وللمسميات تأثير في أسمائها في الحسن والقبح والثقل واللطافة والكثافة كما قيل:

وقل إن أبصرت عيناك ذا لقب ... إلا ومعناه ان فكرت في لقبه

وسمَّاه النور قال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة:١٥]، وهو (النور) يضيء لمن عمل بما فيه طريقه.

وسمَّاه هدىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن:١٣]، وهو (الهدىٰ) أي يدل علىٰ الصراط المستقيم وهو هدىٰ لجميع الناس ولكن لا ينتفع به إلا المؤمنون.

وسمَّاه شفاء قال تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢].

وهو (الشفاء) لكل أمراض الدنيا حسية أو معنوية وغير ذلك من الأسماء وكلها لها معان.

وروىٰ الشيخان عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِي أَسْمَاءً، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدَمَيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ**»، وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ رَؤُوفًا رَحِيمًا» (١).

قال الحافظ: قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ: قَوْلُهُ: وَقَدْ سَمَّاهُ اللهُ إِلَخْ مُدْرَجٌ مِنْ قَوْلِ الزُّهْرِيِّ، قُلْتُ: وَهُوَ كَذَلِكَ وَكَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَىٰ مَا فِي آخِرِ سُورَةِ بَرَاءَةٌ(٢).

قال النووي قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ يُقَالُ رَجُلٌ مُحَمَّدٌ وَمَحْمُودٌ إِذَا كَثُرَتْ خِصَالُهُ

(١) أخرجه مسلم [٢٣٥٤]، والبخاري [٣٥٣٢].
(٢) فتح الباري [٦/ ٥٥٧].

الْمَحْمُودَةُ وقال ابن فَارِسٍ وَغَيْرُهُ وَبِهِ سُمِّيَ نَبِيُّنَا ﷺ مُحَمَّدًا وَأَحْمَدَ أَيْ أَلْهَمَ اللهُ تَعَالَىٰ أَهْلَهُ أَنْ سَمَّوْهُ بِهِ لِمَا عُلِمَ مِنْ جَمِيلِ صِفَاتِهِ .

قَوْلُهُ ﷺ: «**وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُمْحَىٰ بِي الْكُفْرُ**» قَالَ الْعُلَمَاءُ الْمُرَادُ مَحْوُ الْكُفْرِ مِنْ مَكَّةَ والمدينة وسائر بلاد العرب وما زوىٰ لَهُ ﷺ مِنَ الْأَرْضِ وَوُعِدَ أَنْ يَبْلُغَهُ مُلْكُ أُمَّتِهِ قَالُوا وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ الْمَحْوُ الْعَامُّ بِمَعْنَىٰ الظُّهُورِ بِالْحُجَّةِ وَالْغَلَبَةِ كَمَا قَالَ تعالىٰ ليظهره علىٰ الدين كله وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ آخَرَ تَفْسِيرُ الْمَاحِي بِأَنَّهُ الَّذِي مُحِيَتْ بِهِ سَيِّئَاتُ مَنِ اتَّبَعَهُ فَقَدْ يَكُونُ الْمُرَادُ بِمَحْوِ الْكُفْرِ هَذَا وَيَكُونُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾ [الأنفال:٣٨]، وَالْحَدِيثِ الصَّحِيحِ الْإِسْلَامُ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ عَقِبِي**» وفي رواية عَلَىٰ قَدَمِي، قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُمَا يُحْشَرُونَ عَلَىٰ أَثَرِي وَزَمَانِ نُبُوَّتِي وَرِسَالَتِي وَلَيْسَ بَعْدِي نبي.

أَمَّا الْعَاقِبُ فَفَسَّرَهُ فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ لَيْسَ بعده نبي.

وَأَمَّا نَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ الْمَرْحَمَةِ فَمَعْنَاهَا مُتَقَارِبٌ وَمَقْصُودُهَا أَنَّهُ ﷺ جَاءَ بِالتَّوْبَةِ وَبِالتَّرَاحُمِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ نَبِيُّ الْمَلَاحِمِ لِأَنَّهُ ﷺ بُعِثَ بِالْقِتَالِ قَالَ الْعُلَمَاءُ وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ مع أن لَهُ ﷺ أَسْمَاءُ غَيْرُهَا كَمَا سَبَقَ لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ وموجودة للأمم السالفة(١).

❀◈❀

(١) شرح النووي علىٰ مسلم [١٥/ ١٠٤].

فصل

[القاعدة الثالثة: القول بأن ظاهر نصوص الصفات مراد أو ليس بمراد يحتاج إلى تفصيل]

س ٢١٤- اذكر نص القاعدة الثالثة؟

الجواب: قال شيخ الإسلام إذا قال القائل: ظاهر النصوص مراد، أو ظاهرها ليس بمراد.

فإنه يقال: لفظ «الظاهر» فيه إجمال واشتراك، فإن كان القائل يعتقد أن ظاهرها التمثيل(١) بصفات المخلوقين، أو ما هو من خصائصهم، فلا ريب أن هذا غير مراد.

ولكن السلف والأئمة لم يكونوا يسمّون هذا ظاهرًا، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفرًا وباطلًا، والله -سبحانه وتعالىٰ- أعلم وأحكم من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ما هو كفر وضلال.

س ٢١٥- ما مراد شيخ الإسلام بقوله: «القائل» من هو القائل؟

الجواب: القائل هو المعطل أشعريًّا كان أو معتزليًّا أو جهميًّا.

(١) وهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالىٰ مماثل لصفات المخلوقين.

س ٢١٦- ما المراد بالنصوص؟

الجواب: المراد ما ورد في الكتاب أو السنة من صفات الله ﷻ .

س ٢١٧- ما المراد بظاهر النصوص؟

الجواب: هو المعنىٰ الذي يتبادر إلىٰ الذهن ويسبق إلىٰ الأفهام أو هو المعنىٰ الراجح من الكلام، ويراعىٰ في معرفة الظاهر أمور منها:

١) دلالة اللفظ.

٢) دلالة السياق.

٣) حال المتكلم.

٤) سائر القرائن المحتفة.

س ٢١٨ -علىٰ من يرد شيخ الإسلام بالقاعدة الثالثة؟

الجواب: يرد شيخ الإسلام بالقاعدة الثالثة علىٰ عامة المتكلمين في دعواهم أن ظاهر نصوص الصفات هو التمثيل بصفات المخلوقين، فظاهرها الكفر عندهم.

س ٢١٩- اذكر كلامًا لبعضهم أن ظاهر نصوص الصفات كفر؟

الجواب: قال الصاوي [(١)] في حاشيته علىٰ تفسير الجلالين:

---

(١) الصاوي إمام من أئمة علماء الأزهر، وصوفي من كبار الصوفية، وشيخه في الطريق هو الإمام الدردير الملقب بأبي البركات، شيخ الدردير هو الإمام الأكبر الشيخ الحفني الملقب بأبي الأنوار.
والشيخ الصاوي مالكي المذهب، خلوتي الطريقة، من إقليم الغربية، بلدة «صان الحجر» بمصر، ولد سنة ١١٧٥ هـ ١٧٦١ ميلادية.

=⇦

ولا يجوز تقليد ماعدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية، فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل، وربما أداه ذلك للكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر.

س ٢٢٠- ما حكم من قال بهذا الكلام؟

الجواب: قال الشنقيطي: مَا أَشْنَعَ هَذَا الْكَلَامَ وَمَا أَبْطَلَهُ، وَمَا أَجْرَأَ قَائِلَهُ عَلَىٰ اللهِ وَكِتَابِهِ، وَعَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

أَمَّا قَوْلُهُ: بِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَنِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ، وَلَوْ كَانَتْ أَقْوَالُهُمْ مُخَالِفَةً لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ، فَهُوَ قَوْلٌ بَاطِلٌ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَإِجْمَاعِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ الْأَخْذَ بِظَوَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أُصُولِ الْكُفْرِ، فَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَشْنَعِ الْبَاطِلِ وَأَعْظَمِهِ، وَقَائِلُهُ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ انْتِهَاكًا لِحُرْمَةِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

وَالتَّحْقِيقُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ، وَهُوَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَامَّةُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْ ظَاهِرِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ، حَتَّىٰ يَقُومَ دَلِيلٌ صَحِيحٌ شَرْعِيٌّ صَارِفٌ عَنِ الظَّاهِرِ إِلَىٰ الْمُحْتَمَلِ الْمَرْجُوحِ.

= وكانت وفاته سنة ١٢٤١ هـ ١٨٢٥ ميلادية.

وله كتب، وله حواش علىٰ بعض كتب شيخه الشيخ أحمد الدردير في فقه المالكية.

[مناهج المفسرين (ص: ٢٨٩) لمنيع بن عبد الحليم محمود].

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْعَمَلَ بِظَاهِرِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ أُصُولِ الْكُفْرِ لَا يَصْدُرُ الْبَتَّةَ عَنْ عَالِمٍ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، وَإِنَّمَا يَصْدُرُ عَمَّنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَصْلًا ؛ لِأَنَّهُ لِجَهْلِهِ بِهِمَا يَعْتَقِدُ ظَاهِرَهُمَا كُفْرًا، وَالْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ أَنَّ ظَاهِرَهُمَا بَعِيدٌ مِمَّا ظَنَّهُ أَشَدُّ مِنْ بَعْدِ الشَّمْسِ مِنَ اللَّمْسِ(١).

س٢٢١ – تنقسم ألفاظ اللغة العربية باعتبار ما دلت عليه من معان إلىٰ أقسام اذكرها مع الأمثلة؟

أولًا: النص:

تعريفه: لغة هو مِنْ نَصَّ ينُصُّ الشيء إذا رفعه، ومنه منصّة العروس:

اصطلاحًا: هو اللّفظ الّذي لا يحتمل إلا معنىٰ واحدًا

قال النّاظم – ابن عثيمين – رحمه الله **تعالىٰ:**

وَالنَّصُّ عُرْفًا كُلُّ لَفْظٍ وارِدِ... لَمْ يَحْتَمِل إلاَ لِمَعْنَىٰ واحِدِ

كَقَد رأيت جعفرا، وقيل: ما تأويله تنزيله فليعلما

حكمه: يصار إليه ويُعمل به ولا يُعدل عنه ولا يترك العمل به إلا بوجود النسخ؛ لأنه قطعي الدلالة.

النص عند الأصوليين: فهو ما يقابل الظاهر والمؤول والمجمل والمبيّن هو المعنىٰ السابق وهو المراد بقولهم لا قياس مع النص.

النص عند الفقهاء: يطلق ويراد به نصوص الكتاب والسنّة، فهو عندهم

(١) أضواء البيان [٧/ ٢٦٥].

يقابل الإجماع والقياس وغيرهما فهو الدليل في المسألة بغض النظر عن نوعية دلالته قطعية أو ظنية.

✍ **خصائص النص:**

١) قسم من أقسام الكلام المفيد.

٢) قطعي الدلالة.

٣) يقبل التخصيص.

٤) يقبل النسخ.

٥) لا يقبل التأويل لأنه لا يحتمل إلا معنًى واحدًا.

٦) يقدم على الظاهر.

٧) قسم من أقسام المنطوق.

۞ أمثلة على النص:

- قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ﴾ [النساء:١٢]، فالنصف، والربع نصٌّ وكذلك الأعداد كلها قطعية الدلالة.

- وقوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ [النساء:١١].

فلفظة ولد في الآية إِمَّا ذكر أو أنثىٰ ولكن هل إذا ترك ولد ذكر أو أنثىٰ يرثُ حتمًا ولابد؟

الجواب: لا لربما يوجد مانع من موانع الإرث (كقتل الوالد لولده أو العكس أو أن يكون الولد كافرًا).

- مثال آخر: روىٰ البخاري عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنه، قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم صَدَقَةَ الفِطْرِ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ تَمْرٍ عَلَىٰ الصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ، وَالحُرِّ وَالمَمْلُوكِ» (١).

وجه الاستدلال من الحديث: كلمة «صاع» فهذا نص لا يحتمل التأويل.

- مثالٌ آخر: قال تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه:٥].

قال الإمام السعدي: «الْعَرْش» الذي هو أرفع المخلوقات وأعظمها وأوسعها «اسْتَوَىٰ» استواء يليق بجلاله ويناسب عظمته وجماله فاستوىٰ علىٰ العرش واحتوىٰ علىٰ الملك (٢).

فإجماع أهل السنة أن معناها علا واستقر وارتفع ليس لها إلا هذا المعنىٰ.

- قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:١٦٤]، فهذا

(١) أخرجه البخاري (١٥١٢).
(٢) تفسير السعدي (١/ ٥٠١).

نصّ صريح في إثبات صفة الكلام لله تعالىٰ.

- وقوله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ ﴾ [البقرة:٢٣٤]، فهذا نصّ صريح في بيان عدّة المرأة المتوفّىٰ عنها زوجها سواء دخل بها أو لم يدخل.

- وقوله تعالىٰ: ﴿ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ ﴾ [البقرة:١٩٦]، فهي نصّ في كفّارة التمتّع.

- وقوله تعالىٰ: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [المائدة:٣]، نصّ في تحريم الميتة وما ذكر معها، لا يحتمل الكلام معنًىٰ آخر إلا ما استثنىٰ الشارع وهي ميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال.

✍ ثانيًا: الظاهر:

الظاهر: في اللغة هو الواضح البين.

وفي الاصطلاح: هو المعنىٰ الراجح من لفظ يحتمل أكثر من معنىٰ.

أو: هو ما يتبادر إلىٰ الذهن معناه عند الإطلاق مع جواز غيره.

أو: هو ما احتمل معنيين أو أكثر وأحدهما أرجح من الآخر.

قال ابن قدامة في «روضة الناظر»: «الظاهر: هو ما يسبق إلىٰ الفهم منه عند الإطلاق معنىٰ، مع تجويز غيره، وإن شئت قلت: ما احتمل معنيين هو في أحدهما أظهر».

أي له معنيان أحدهما راجح والآخر أقل منه أي معنىٰ أعلىٰ من معنىٰ نسمي الراجح (ظاهر) ونسمي المرجوح (مؤول).

بعض الأمثلة التي توضح المقصود:

مثال ذلك: «شاهدت أسدًا وهو ينقض علىٰ فريسته» هنا ظاهر الكلام أن الأسد الذي انقض علىٰ فريسته هو الحيوان المعروف.

مثال آخر: «رأيت أسدًا يحمل سيفًا في ساحة القتال». ظاهره أن المقصود هو الشجاعة وليس الحيوان.

حكمه: يُصار إلىٰ العمل بالمعنىٰ الراجح وهو ظاهر القول ولا يجوز العدول عنه إلىٰ المعنىٰ المرجوح إلا بدليل.

قال الشوكاني: وَاعْلَمْ: أَنَّ الظَّاهِرَ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ يَجِبُ اتِّبَاعُهُ، والعمل بِهِ، بِدَلِيلِ إِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَىٰ الْعَمَلِ بِظَوَاهِرِ الْأَلْفَاظِ (١).

۞ خواص الظاهر:

١) يتبادر إلىٰ الذهن بمجرد السماع.

٢) يقبل التأويل لأنه يحتمل أكثر من معنىٰ.

٣) يقبل التخصيص.

٤) يقبل النسخ.

٥) دلالته أضعف من دلالة النص عند التعارض.

---

(١) إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ٣٢).

۞ المؤول:

المؤول لغة: مشتق من آل يؤول إذا رجع.

اصطلاحًا: هو المعنىٰ المرجوح من لفظ يحتمل أكثر من معنىٰ.

مثال ذلك: قال تعالىٰ: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم:٢٦].

فلفظ الصوم في الآية يحتمل معنيين أحدهما وهو الظاهر بمعنىٰ الصوم الشرعي لأنه جاء في كلام الشارع.

والثاني المرجوح وهو الإمساك عن الكلام.

والمعنىٰ الثاني: هو المراد بدليل القرينة في الآية وهي: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم:٢٦].

حكم العمل بالمؤول؟

الجواب: لا يجوز مطلقًا صرف اللفظ عن ظاهره إلىٰ المعنىٰ المرجوح [المؤول] إلا بدليل صحيح صالح.

۞ مصادر الدليل الصحيح الصالح للصرف:

١) نص من كتاب أو سنة.

٢) قرينة متصلة أو منفصلة.

٣) قياس راجح جلي.

٤) أن تدل لغة العرب عليه.

✍ ثالثًا: المُجمل:

لغة: هو المبهم.

اصطلاحًا: هو اللفظ الذي احتمل معنيين فأكثر وليس أحدهما أرجح من الآخر.

وقيل: (وهو تعريف ضعيف) هو ما لا يكفي وحده في العمل.

قال الآمدي: الْمُجْمَلُ هُوَ مَا لَهُ دَلَالَةٌ عَلَىٰ أَحَدِ أَمْرَيْنِ لَا مَزِيَّةَ لِأَحَدِهِمَا عَلَىٰ الْآخَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ.

فَقَوْلُنَا: (مَا لَهُ دَلَالَةٌ) لِيَعُمَّ الْأَقْوَالَ وَالْأَفْعَالَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَدِلَّةِ الْمُجْمَلَةِ.

وَقَوْلُنَا: (عَلَىٰ أَحَدِ أَمْرَيْنِ) احْتِرَازٌ عَمَّا لَا دَلَالَةَ لَهُ إِلَّا عَلَىٰ مَعْنًىٰ وَاحِدٍ.

وَقَوْلُنَا: (لَا مَزِيَّةَ لِأَحَدِهِمَا عَلَىٰ الْآخَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ) احْتِرَازٌ عَنِ اللَّفْظِ الَّذِي هُوَ ظَاهِرٌ فِي مَعْنًىٰ وَبِعِيدٌ فِي غَيْرِهِ، كَاللَّفْظِ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةٌ فِي شَيْءٍ وَمَجَازٌ فِي شَيْءٍ عَلَىٰ مَا عُرِفَ فِيمَا تَقَدَّمَ (١).

حكمه: لا يجوز العمل باللفظ المجمل لأنه متردد بين معانٍ متعددة وليس لأحدهما مزية علىٰ الآخر فاللفظ يفتقر إلىٰ دليل لتعيين المعنىٰ المراد فمتىٰ حصل البيان وجب العمل به .

مثال ذلك: -قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ٩).

[البقرة:٢٢٨] فالقرء متردد بين الحيض والطهر فلا يُعمل بأحدهما إلا بدليل يُرجح أحدهما علىٰ الآخر.

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَبِي حُبَيْشٍ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ الدَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا ذَلِكَ عِرْقٌ، فَانْظُرِي إِذَا أَتَىٰ قَرْؤُكِ فَلَا تُصَلِّي، فَإِذَا مَرَّ الْقَرْءُ، فَتَطَهَّرِي، ثُمَّ صَلِّي مَا بَيْنَ الْقَرْءِ إِلَىٰ الْقَرْءِ**»(١).

هذا دليل علىٰ أن القرء حيض.

۞ أنواع الإجمال:

١-إجمال في تعيين المراد.

٢-إجمال في بيان الصفة.

٣-إجمال في بيان المقدار.

أولًا: إجمال في تعيين المراد:

مثال ذلك: ما تقدم في القرء والحيض.

ثانيًا: إجمال في بيان الصفة.

وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة:٤٣].

ملحوظة: (أتت في تسع مواضع في القرآن) فلفظة ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٦٢٠)، وأبو داود (٢٨٠)، والنسائي (٢١١)، وصححه الألباني في الإرواء (٢١١٩).

[البقرة:٤٣] لفظة مُجملة في الكيف والكم وجاء البيان في السنة.

عَنْ مَالِكِ بْنِ الحُوَيْرِثِ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا رَأَىٰ شَوْقَنَا إِلَىٰ أَهَالِينَا، قَالَ: «**ارْجِعُوا فَكُونُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَصَلُّوا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**» (١).

✍ **فائدة:**

ليس ثَمَّ تعارض بين حديث مالك بن الحويرث وما رواه ابن ماجه من حديث أَوْس بْن ضَمْعَجٍ، قَالَ سَمِعْتُ أَبَا مَسْعُودٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانَتِ الْهِجْرَةُ سَوَاءً، فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا، وَلَا يُؤُمُّ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ، وَلَا فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يُجْلَسْ عَلَىٰ تَكْرِمَتِهِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنٍ، أَوْ بِإِذْنِهِ**»(٢).

«**أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهُ**» أي أكثرهم قرآنًا وأجودهم قراءة «تَكْرِمَتِهِ» الموضع المُعد لجلوس الرجل في بيته خُص به إكرامًا له.

فليس ثَمَّ تعارض: ووجه ذلك يُحمل حديث مالك بن الحويرث علىٰ أن القوم كانوا في العلم والقراءة سواء فينتقل الأمر إلىٰ أكبرهم ويشتمل المثالُ أيضًا علىٰ الإجمال في المقدار.

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨) بَابُ مَنْ قَالَ: لِيُؤَذِّنْ فِي السَّفَرِ مُؤَذِّنٌ وَاحِدٌ.
(٢) رواه ابن ماجه (٩٨٠)، وأبو داود (٥٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥٩٤)، ومسلم (٦٧٣).

ثالثًا: إجمال في بيان المقدار:

مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١].

هذه الآية اشترك فيها الظهور والإجمال فهي ظاهرة من وجه مجملة من وجه آخر، أما الظهور فمن ناحية الزمان ﴿يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١] والإجمال في مقدار الحق ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ﴾ [الأنعام:١٤١].

قال الإمام السعدي: ﴿إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١] أي: أعطوا حق الزرع، وهو الزكاة ذات الأنصباء المقدرة في الشرع، أمرهم أن يعطوها يوم حصادها، وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان الحول، لأنه الوقت الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء، ويسهل حينئذ إخراجه علىٰ أهل الزرع، ويكون الأمر فيها ظاهرًا لمن أخرجها، حتىٰ يتميز المخرج ممن لا يخرج (١).

روىٰ البخاري من حديث سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا العُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ**» (٢).

---

(١) تفسير السعدي (١/ ٢٧٦).

(٢) أخرجه البخاري(١٤٨٣).

قال الحافظ: قَالَ الْخَطَّابِيُّ: (العثري) هُوَ الَّذِي يَشْرَبُ بِعُرُوقِهِ من غير سقي -ثم قال -وَدَلَّ حَدِيثُ الْبَابِ عَلَىٰ التَّفْرِقَةِ فِي الْقَدْرِ الْمُخْرَجِ الَّذِي يُسْقَىٰ بِنَضْحٍ أَوْ بِغَيْرِ نَضْحٍ فَإِنْ وُجِدَ مَا يُسْقَىٰ بِهِمَا فَظَاهِرُهُ أَنَّهُ يَجِبُ فِيهِ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِ الْعُشْرِ إِذَا تَسَاوَىٰ ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ (١).

وروىٰ البخاري من حديث أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ فِيمَا أَقَلُّ مِنْ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ، وَلا فِي أَقَلَّ مِنْ خَمْسَةٍ مِنَ الإِبِلِ الذَّوْدِ صَدَقَةٌ، وَلا فِي أَقَلَّ مِنْ خَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الوَرِقِ صَدَقَةٌ**» (٢).

الوسق: ستون صاعًا والصاع أربعة أمداد والمُد: حفنة من حفن الرجل المعتدل.

وعليه فالزكاة للخارج من الأرض لا علاقة لها بمساحة الأرض ولا بالملك ولا بالإيجار أما العلاقة بما يخرج من الأرض منها كمًّا وبكيفية سُقياها.

۞ خواص المجمل:

١-لا يقبل التأويل.

٢-دلالته أضعف من دلالة الظاهر.

٣-المعنىٰ المعمول به يُخصص أو يُنسخ.

---

(١) فتح الباري (٣/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٨٤).

س ٢٢٢– ما المراد بالتأويل؟

الجواب: للتأويل ثلاثة معانٍ: معنيان عند السلف، ومعنىٰ ثالث عند المتأخرين.

س٢٢٣ – اذكر معاني التأويل بالتفصيل؟

الجواب: المعنىٰ الأول: الحقيقة التي يؤول إليها الكلام، كقول كثير من السلف في بعض الآيات: «هذه ذهب تأويلها، وهذه لم يأت تأويلها» قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗا﴾ [يوسف:١٠٠].

والمعنىٰ الثاني: التأويل بمعنىٰ التفسير والبيان: وهو الكلام الذي يُفسَّر به اللفظ حتىٰ يُفهم معناه، وهو المقصود في قول المفسرين «تأويل قوله تعالىٰ»، وقد سمىٰ ابن جرير تفسيره الكبير «جامع البيان عن تأويل آي القرآن». ومنه قول الإمام أحمد في كتابه «الرد علىٰ الجهمية والزنادقة فيما تأولته من القرآن علىٰ غير تأويله».

النوع الثالث: التأويل عند المتأخرين: الموجود في القرآن والذي استمر في عصر السلف الصالح هو واحد من المعنيين اللذين ذكرناهما للتأويل، الحقيقة التي يؤول إليها الكلام أو التفسير والبيان.

ظهر معنىٰ جديد للتأويل لم يكن موجودًا قبل ذلك، ولم يعرفه الصحابة ولا تكلموا عنه، وهو صرف اللفظ من معنًىٰ إلىٰ آخر بدليل، أو صرف اللفظ من المعنىٰ الراجح إلىٰ المعنىٰ المرجوح بدليل.

أو صرف اللفظ عن المعنىٰ الراجح إلىٰ المعنىٰ المرجوح لدليل يقترن به[1].

أو صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلىٰ معنىٰ يحتمله بما لا يخالف نصًّا من كتاب الله سبحانه ولا سنّة رسول الله ﷺ.

أو صرف اللفظ عن ظاهره وحقيقته إلىٰ مجازه وما يخالف ظاهره بقرينة. وهذا اصطلاح كثير من المتأخرين المتكلمين في الفقه، وهو خلاف التأويل في اللغة، وفي كلام السلف.

قد يقال: إن بعض معاجم اللغة العربية تذكر أن معنىٰ التأويل هو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلىٰ المعنىٰ المرجوح لدليل يقترن به. أشار إلىٰ ذلك ابن منظور وابن الأثير وغيرهما، فكيف تزعمون أن العرب لا تفقه من كلامها هذا المعنىٰ.

والجواب: أن هذا المعنىٰ دخل إلىٰ معاجم اللغة العربية المتأخرة نقلًا عن استعمالات الفقهاء والأصوليين، لا نقلًا عن كلام العرب الذي يحتج به، يدل علىٰ صحة هذا القول أن معاجم اللغة العربية المتقدمة أمثال: تهذيب اللغة للأزهري، ومقاييس اللغة لابن فارس وهما مما دُوِّن في القرن الرابع الهجري لم يشيرا إلىٰ هذا المعنىٰ الذي ذكره الفقهاء والأصوليون مما يدل علىٰ أنه معنىٰ اصطلاحي خاص بهم، فلا يجوز حمل ألفاظ القرآن عليه.

وقد ظهر هذا المعنىٰ للتأويل متأخرًا عن عصر الرسول ﷺ وعصر

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه (ص: ٦٣).

الصحابة، بل ظهر مع ظهور الفرق ودخلوا منه إلىٰ تحريف النصوص، ولعب التأويل-أي المحدث-دورًا بارزًا في مفاهيم الناس، وكانت له نتائج خطيرة في حياتهم، خصوصًا تلك التأويلات المذمومة التي جرَّت علىٰ المسلمين محنًا شتىٰ بسبب سوء الفهم لكثير من القضايا الإسلامية، وكانت له آثارٌ سيئة إذ فرق بين كلمة المسلمين وباعد بينهم وبين جوهر الشريعة وأساسها المتين.

ولقد تدرج أهل التأويل - أي المحدث - من سيئ إلىٰ أسوأ في فهم المعاني التي يدعون معرفتها، وذلك لأنهم كلما توغلوا في تأويلٍ كلما بعدوا عن المعنىٰ الصحيح الذي تهدف إليه النصوص.

س ٢٢٤- اذكر أنواع التأويل عند المتأخرين؟

الجواب: لا يخلو التأويل من ثلاث حالات:

الأولىٰ: **التأويل الصحيح**: وهو صرف اللفظ عن ظاهره بدليل صحيح ودلت علىٰ معنىٰ اللفظ لغة العرب.

أو صرف اللفظ من معنًىٰ إلىٰ آخر بدليل.

أو صرف اللفظ من المعنىٰ الراجح إلىٰ المعنىٰ المرجوح بدليل لا يخالف نصًّا من كتاب الله سبحانه ولا سنّة رسول الله ﷺ.

والثانية: **التأويل الفاسد أو البعيد**: وهو صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلًا وليس بدليل.

مثال ذلك: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا نُكِحَتِ الْمَرْأَةُ بِغَيْرِ**

أَمْرِ مَوْلَاهَا، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ أَصَابَهَا، فَلَهَا مَهْرُهَا بِمَا أَصَابَ مِنْهَا، فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لَا وَلِيَّ لَهُ» (١).

قال الأحناف أن المراد بالمرأة هنا «الصغيرة» أي التي ليست بـ «ثيب»، وعليه إذا نكحت الثيب نفسها فنكاحها صحيح لماذا؟ لأنهم قالوا إن لفظ «امْرَأَةٍ» ليس المقصود منه مطلق امرأة بل المقصود منه المرأة الصغيرة أي التي لا تدرك الأمور مداخلها ومخارجها أو التي ليس لها خبرة في الحياة، أما إن كانت المرأة غير ذلك وإن كانت ثيبه ورشيدة فلا بأس من أن تنكح المرأة نفسها.

من أين أتوا بهذا الكلام؟

قالوا المرأة العاقلة الرشيدة البالغة لها أن تبيع وتشتري وبإجماع أهل العلم بيعها صحيح وشراؤها صحيح مهما كان المبيع ومهما كان المُشتَرىٰ، كذلك فالزواج ما هو إلا عقد بين طرفين فكما صححنا عقد بيعها وشرائها فلنصحح عقد نكاحها وهذا هو الأساس عندهم؛ ولكن هذا الأمر باطل ومردود؛ لأنه لا قياس مع جود النص فطالما أن النص موجود ليس لنا أن نقيس لأن القياس بالنسبة للنص فرع.

وقول النبي ﷺ: «امْرَأَةٍ» نكرة تفيد العموم والشمول، واللفظ العام

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٧٩)، وأبو داود (٢٠٨٣)، وصححه الألباني في الإرواء (١٨٤٠)، وأحمد (٢٤٢٠٥)، وصححه ابن معين، وأبو عوانة، وابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي.

يعمل بعمومه ولا يخصص منه شيء إلا بدليل، لأن التخصيص معناه إبطال العمل بهذا النص؛ لأن الأصل أن الله ﷻ ما أنزل الأحكام علىٰ الخلائق إلا ليعملوا بها فهذا هو الأصل [١].

---

(١) قال الآمدي في كتابه الإحكام في أصول الأحكام (٣/ ٥٤) دار الكتب العلمية: قَدْ طَرَّقَ إِلَيْهِ -أي لهذا الحديث-أَصْحَابُ أَبِي حَنِيفَةَ ثَلَاثَ تَأْوِيلَاتٍ:
الْأَوَّلُ: أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِالْمَرْأَةِ الصَّغِيرَةَ.
الثَّانِي: أَنَّهُ وَإِنْ أَرَادَ بِهَا الْكَبِيرَةَ فَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهَا الْأَمَةَ وَالْمُكَاتَبَةَ.
الثَّالِثُ: أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِبُطْلَانِ النِّكَاحِ مَصِيرَهُ إِلَىٰ الْبُطْلَانِ غَالِبًا، بِتَقْدِيرِ اعْتِرَاضِ الْأَوْلِيَاءِ عَلَيْهَا، إِذَا زَوَّجَتْ نَفْسَهَا مِنْ غَيْرِ كُفوءٍ.
وَهَذِهِ التَّأْوِيلَاتُ مِمَّا لَا يُمْكِنُ الْمَصِيرُ إِلَيْهَا فِي صَرْفِ هَذَا الْعُمُومِ الْقَوِيِّ الْمُقَارِبِ لِلْقَطْعِ عَنْ ظَاهِرِهِ.
أَمَّا الْحَمْلُ: عَلَىٰ الصَّغِيرَةِ فَمِنْ جِهَةِ أَنَّهَا لَا تُسَمَّىٰ امْرَأَةً فِي وَضْعِ اللِّسَانِ، وَلِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَكَمَ بِالْبُطْلَانِ، وَنِكَاحُ الصَّغِيرَةِ لِنَفْسِهَا دُونَ إِذْنِ وَلِيِّهَا صَحِيحٌ عِنْدَهُمْ، مَوْقُوفٌ عَلَىٰ إِجَازَةِ الْوَلِيِّ.
وَأَمَّا الْحَمْلُ: عَلَىٰ الْأَمَةِ فَيَدْرَؤُهُ قَوْلُهُ ﷺ: «**فَإِنْ مَسَّهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا**» وَمَهْرُ الْأَمَةِ لَيْسَ لَهَا بَلْ لِسَيِّدِهَا.
وَأَمَّا الْحَمْلُ: عَلَىٰ الْمُكَاتَبَةِ فَبَعِيدٌ أَيْضًا مِنْ جِهَةِ أَنَّهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ جِنْسِ النِّسَاءِ نَادِرَةٌ، وَاللَّفْظُ الْمَذْكُورُ مِنْ أَقْوَىٰ مَرَاتِبِ الْعُمُومِ، وَلَيْسَ مِنَ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ إِطْلَاقُ مَا هَذَا شَأْنُهُ، وَإِرَادَةُ مَا هُوَ فِي غَايَةِ النُّدْرَةِ وَالشُّذُوذِ، وَلِهَذَا فَإِنَّهُ لَوْ قَالَ السَّيِّدُ لِعَبْدِهِ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ لَقِيتَهَا الْيَوْمَ فَأَعْطِهَا دِرْهَمًا» وَقَالَ: «إِنَّمَا أَرَدْتُ بِهِ الْمُكَاتَبَةَ» كَانَ مَنْسُوبًا إِلَىٰ الْإِلْغَازِ فِي الْقَوْلِ وَهُجْرِ الْكَلَامِ.
وَعَلَىٰ هَذَا فَلَا نُسَلِّمُ صِحَّةَ الِاسْتِثْنَاءِ بِحَيْثُ لَا يَبْقَىٰ غَيْرُ الْأَقَلِّ النَّادِرِ مِنَ الْمُسْتَثْنَىٰ مِنْهُ كَمَا سَبَقَ تَقْرِيرُهُ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْبَابَيْنِ.
= ⇦

والثالثة: التأويل الباطل: وهو التحريف، وهو صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل أصلًا.

مثال ذلك: تأويل الاستواء بمعنىٰ الاستيلاء والغضب بمعنىٰ إرادة الانتقام وهكذا في الصفات فهذا من التحريف.

وكقول بعض الشيعة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧]؛ قالوا: هي عائشة رضي الله عنها.

س ٢٢٥- ما شروط التأويل الصحيح؟

الجواب: للتأويل الصحيح أربعة شروط مجتمعة.

الشرط الأول: أن يكون اللفظ محتملًا للمعنىٰ الذي تأوله المتأول في لغة العرب.

مثال ذلك: تأويل كلمة «أسد» في لغة العرب إلىٰ الرجل الشجاع و«اليد» في لغة العرب إلىٰ القدرة أو النعمة والفضل فمثل هذا التأويل يصح طالما أنه موجود في لغة العرب.

= وَأَمَّا حَمْلُ: بُطْلَانِ النِّكَاحِ عَلَىٰ مَصِيرِهِ إِلَىٰ الْبُطْلَانِ فَبَعِيدٌ مِنْ وَجْهَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّ مَصِيرَ الْعَقْدِ إِلَىٰ الْبُطْلَانِ مِنْ أَنْدَرِ مَا يَقَعُ: وَالتَّعْبِيرُ بِاسْمِ الشَّيْءِ عَمَّا يَؤُولُ إِلَيْهِ إِنَّمَا يَصِحُّ فِيمَا إِذَا كَانَ الْمَآلُ إِلَيْهِ قَطْعًا: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠] أَوْ غَالِبًا كَمَا فِي تَسْمِيَةِ الْعَصِيرِ خَمْرًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗا﴾ [يوسف:٣٦]. الثَّانِي: قَوْلُهُ: «فَإِنْ أَصَابَهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا» وَلَوْ كَانَ الْعَقْدُ وَاقِعًا صَحِيحًا لَكَانَ الْمَهْرُ لَهَا بِالْعَقْدِ لَا بِالِاسْتِحْلَالِ. انتهىٰ

الشرط الثاني: إذا كان اللفظ محتملًا للمعنىٰ الذي تأوله المتأول فيجب عليه إقامة الدليل علىٰ تعيين ذلك المعنىٰ، لأن اللفظ قد تكون له معانٍ، فتعيين المعنىٰ يحتاج إلىٰ دليل.

الشرط الثالث: إثبات صحة الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره، فإن دليل مدَّعِ الحقيقة والظاهر قائم، لا يجوز العدول عنه إلا بدليل صارف يكون أقوىٰ منه.

الشرط الرابع: أن يسلم الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره عن معارض (أي لابد ألا يكون هناك معارض لهذا الدليل الصارف).

س٢٢٦- هل من نص لبعض أهل العلم يؤيد الشروط السابقة للتأويل الصحيح؟

الجواب: نعم **قال شيخ الإسلام** رحمه الله: إِذَا وَصَفَ اللهُ نَفْسَهُ بِصِفَةٍ أَوْ وَصَفَهُ بِهَا رَسُولُهُ أَوْ وَصَفَهُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ -الَّذِينَ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ وَدِرَايَتِهِمْ -فَصَرْفُهَا عَنْ ظَاهِرِهَا اللَّائِقِ بِجَلَالِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَحَقِيقَتِهَا الْمَفْهُومَةِ مِنْهَا: إلَىٰ بَاطِنٍ يُخَالِفُ الظَّاهِرَ وَمَجَازٍ يُنَافِي الْحَقِيقَةَ لَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ:

الشرط الأول: أَنَّ ذَلِكَ اللَّفْظَ مُسْتَعْمَلٌ بِالْمَعْنَىٰ الْمَجَازِيِّ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَكَلَامَ السَّلَفِ جَاءَ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِشَيْءٍ مِنْهُ خِلَافُ لِسَانِ الْعَرَبِ أَوْ خِلَافُ الْأَلْسِنَةِ كُلِّهَا؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ الْمَجَازِيُّ مَا يُرَادُ بِهِ اللَّفْظُ وَإِلَّا فَيُمْكِنُ كُلُّ مُبْطِلٍ أَنْ يُفَسِّرَ أَيَّ لَفْظٍ بِأَيِّ مَعْنًىٰ

سَنَحَ لَهُ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ فِي اللُّغَةِ. (١)

الشرط الثاني: أَنْ يَكُونَ مَعَهُ دَلِيلٌ يُوجِبُ صَرْفَ اللَّفْظِ عَنْ حَقِيقَتِهِ إِلَىٰ مَجَازِهِ وَإِلَّا فَإِذَا كَانَ يُسْتَعْمَلُ فِي مَعْنًىٰ بِطَرِيقِ الْحَقِيقَةِ وَفِي مَعْنًىٰ بِطَرِيقِ الْمَجَازِ لَمْ يَجُزْ حَمْلُهُ عَلَىٰ الْمَجَازِيِّ بِغَيْرِ دَلِيلٍ يُوجِبُ الصَّرْفَ بِإِجْمَاعِ الْعُقَلَاءِ (٢) ثُمَّ إِنْ ادَّعَىٰ وُجُوبَ صَرْفِهِ عَنْ الْحَقِيقَةِ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ دَلِيلٍ قَاطِعٍ عَقْلِيٍّ أَوْ سَمْعِيٍّ يُوجِبُ الصَّرْفَ. وَإِنْ ادَّعَىٰ ظُهُورَ صَرْفِهِ عَنْ الْحَقِيقَةِ فَلَا بُدَّ مِنْ دَلِيلٍ مُرَجِّحٍ لِلْحَمْلِ عَلَىٰ الْمَجَازِ. (٣)

---

(١) المراد من كلام شيخ الإسلام: لكي يصح التأويل بمصطلح علماء الأصول لابد أن يكون المعنىٰ المصروف إليه اللفظ دلت عليه لغة العرب في أصلها.
مثال ذلك: تأويل كلمة «أسد» في لغة العرب إلىٰ الرجل الشجاع و«اليد» في لغة العرب إلىٰ القدرة أو النعمة والفضل فمثل هذا التأويل يصح طالما أنه موجود في لغة العرب بشروطه.
أما استوىٰ بمعنىٰ استولىٰ هذا لم يستعمل في لغة العرب...

(٢) والدليل علىٰ ذلك قاعدة «بطلان الترجيح بلا مرجح» فصرف اللفظ من معناه إلىٰ معنىٰ آخر بغير دليل يوجب ذلك؛ يخضع للقاعدة السابقة.

(٣) ومن الأدلة السمعية التي توجب صرف اللفظ عن معناه إلىٰ معنىٰ آخر. وجود قرينة في السياق توجب الصرف...
مثال ذلك: قوله تعالىٰ ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف:٨٢]. والمراد: واسأل أهل القرية. واسأل أصحاب العير.... والقرينة هي... وَاسْأَلِ.
ومن الأدلة العقلية التي توجب صرف اللفظ عن معناه الحقيقي إلىٰ المجازي: أن يكون الأخذ بالظاهر يلزم منه لوازم فاسدة.
مثال ذلك: قوله ﷺ: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**». وجه ذلك: أن الحفظ في لغة العرب هو صيانة المحفوظ من الضياع والأذىٰ وهذا المعنىٰ في حق الله محال، فتعين ⇦ =

الشرط الثالث: أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَسْلَمَ ذَلِكَ الدَّلِيلُ - الصَّارِفُ - عَنْ مُعَارِضٍ؛ وَإِلَّا فَإِذَا قَامَ دَلِيلٌ قُرْآنِيٌّ أَوْ إيمَانِيٌّ يُبَيِّنُ أَنَّ الْحَقِيقَةَ مُرَادَةٌ امْتَنَعَ تَرْكُهَا ثُمَّ إنْ كَانَ هَذَا الدَّلِيلُ نَصًّا قَاطِعًا لَمْ يُلْتَفَتْ إلَىٰ نَقِيضِهِ وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا فَلَا بُدَّ مِنْ التَّرْجِيحِ.

الشرط الرابع: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ إذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ وَأَرَادَ بِهِ خِلَافَ ظَاهِرِهِ وَضِدَّ حَقِيقَتِهِ فَلَا بُدَّ أَنْ يُبَيِّنَ لِلْأُمَّةِ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ حَقِيقَتَهُ وَأَنَّهُ أَرَادَ مَجَازَهُ سَوَاءٌ عَيَّنَهُ أَوْ لَمْ يُعَيِّنْهُ لَا سِيَّمَا فِي الْخِطَابِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي أُرِيدَ مِنْهُمْ فِيهِ الِاعْتِقَادُ وَالْعِلْمُ؛ دُونَ عَمَلِ الْجَوَارِحِ؛ فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ الْقُرْآنَ نُورًا وَهُدًىٰ وَبَيَانًا لِلنَّاسِ وَشِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إلَيْهِمْ وَلِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَلِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ. ثُمَّ هَذَا «الرَّسُولُ» الْأُمِّيُّ الْعَرَبِيُّ بُعِثَ بِأَفْصَحِ اللُّغَاتِ وَأَبْيَنِ الْأَلْسِنَةِ وَالْعِبَارَاتِ ثُمَّ الْأُمَّةُ (١) الَّذِينَ أَخَذُوا عَنْهُ كَانُوا أَعْمَقَ النَّاسِ عِلْمًا وَأَنْصَحَهُمْ لِلْأُمَّةِ وَأَبْيَنَهُمْ لِلسُّنَّةِ (٢) فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَتَكَلَّمَ هُوَ وَهَؤُلَاءِ بِكَلَامٍ يُرِيدُونَ بِهِ

صرف اللفظ.

مثال آخر: قوله ﷺ: «**تَعَرَّفْ إِلَيْهِ فِي الرَّخَاءِ، يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ**»، وفي لغة العرب: تعرف. أي يفعل أشياء ليعرفه من يريد أن يعرفه. وهذا المعنىٰ في حق الله مستحيل، لأن الله تعالىٰ قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم:٣٢] وعليه: فالمراد: تعرف علىٰ الله أي بطاعة الله.

(١) أي الصحابة.

(٢) أي الدين والشريعة.

خِلَافَ ظَاهِرِهِ إِلَّا وَقَدْ نُصِبَ دَلِيلًا يَمْنَعُ مِنْ حَمْلِهِ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَقْلِيًّا ظَاهِرًا مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:٢٣]، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ بِعَقْلِهِ أَنَّ الْمُرَادَ أُوتِيَتْ مِنْ جِنْسِ مَا يُؤْتَاهُ مِثْلُهَا وَكَذَلِكَ: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٠٢]، يَعْلَمُ الْمُسْتَمِعُ أَنَّ الْخَالِقَ لَا يَدْخُلُ فِي هَذَا الْعُمُومِ. أَوْ سَمْعِيًّا ظَاهِرًا مِثْلُ الدَّلَالَاتِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي تَصْرِفُ بَعْضَ الظَّوَاهِرِ.(١) وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُحِيلَهُمْ عَلَىٰ دَلِيلٍ خَفِيٍّ لَا يَسْتَنْبِطُهُ إِلَّا أَفْرَادُ النَّاسِ

(١) مثال ذلك: العموم إذا خصص والمطلق إذا قيد والمجمل إذا بين.

مثال الأول: روىٰ مسلم (١٩٦٣) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً**». [أي في الأضحية؛ والمسنَّة من الضأن ما بلغ ستة أشهر، ومن الماعز سنة كاملة، ومن البقر سنتان، ومن الإبل خمس سنين]. خرج من هذا العموم أبو بردة بن نيار بالنص قال له النبي ﷺ «**وَلَنْ تَجْزِيَ عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ**». رواه البخاري (٥٥٤٥)، ومسلم (١٩٦١).

مثال الثاني: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]... قيد بقطع الكف وذلك بالسنة العملية لخير البرية.

مثال الثالث: قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١] هذا مجمل في قيمة الحق جاء بيان هذا المجمل في السنة، وهو ما رواه البخاري (١٤٨٣) من حديث سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**فِيمَا سَقَتِ السَّمَاءُ وَالعُيُونُ أَوْ كَانَ عَثَرِيًّا العُشْرُ، وَمَا سُقِيَ بِالنَّضْحِ نِصْفُ العُشْرِ**».

ويدخل في الدلالة السمعية أيضًا: الأدلة المشتبهة يجب أن ترد إلىٰ المحكم.

مثال ذلك: قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [النساء:٩٣] والإجماع منعقد علىٰ أن قاتل النفس عمدًا مسلم عاصٍ مرتكب لكبيرة إن مات علىٰ ذلك دون توبة فأمره إلىٰ الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه...

سَوَاءٌ كَانَ سَمْعِيًّا أَوْ عَقْلِيًّا؛ لِأَنَّهُ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْكَلَامِ الَّذِي يُفْهَمُ مِنْهُ مَعْنًىٰ وَأَعَادَهُ مَرَّاتٍ كَثِيرَةً؛ وَخَاطَبَ بِهِ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ وَفِيهِمْ الذَّكِيُّ وَالْبَلِيدُ وَالْفَقِيهُ وَغَيْرُ الْفَقِيهِ وَقَدْ أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَدَبَّرُوا ذَلِكَ الْخِطَابَ وَيَعْقِلُوهُ وَيَتَفَكَّرُوا فِيهِ وَيَعْتَقِدُوا مُوجَبَهُ ثُمَّ أَوْجَبَ أَنْ لَا يَعْتَقِدُوا بِهَذَا الْخِطَابِ شَيْئًا مِنْ ظَاهِرِهِ؛ لِأَنَّ هُنَاكَ دَلِيلًا خَفِيًّا يَسْتَنْبِطُهُ أَفْرَادُ النَّاسِ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ ظَاهِرَهُ كَانَ هَذَا تَدْلِيسًا وَتَلْبِيسًا وَكَانَ نَقِيضَ الْبَيَانِ وَضِدَّ الْهُدَىٰ وَهُوَ بِالْأَلْغَازِ وَالْأَحَاجِيِّ أَشْبَهُ مِنْهُ بِالْهُدَىٰ وَالْبَيَانِ. فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ دَلَالَةُ ذَلِكَ الْخِطَابِ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ أَقْوَىٰ بِدَرَجَاتٍ كَثِيرَةٍ مِنْ دَلَالَةِ ذَلِكَ الدَّلِيلِ الْخَفِيِّ عَلَىٰ أَنَّ الظَّاهِرَ غَيْرُ مُرَادٍ أَمْ كَيْفَ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْخَفِيُّ شُبْهَةً لَيْسَ لَهَا حَقِيقَةٌ؟(١)

س٢٢٧ – ما المراد بظاهر نصوص الصفات عند أهل السنة والجماعة؟

الجواب: المراد بالظاهر عند أهل السنة والجماعة إثبات الصفات الواردة في الكتاب والسنة إثباتًا بلا كيف (٢)، وتنزيه الخالق عن مشابهة (٣)

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (٦/ ٣٦٠-٣٦٢).

(٢) أي بلا كيف نعلمه.

(٣) والمقصود بالمشابهة في كلام أهل السنة المشابهة التامة من كل وجه، أما المشابهة الناقصة فليست هي مرادهم.

ومن أجل ذلك جاء القرآن بنفي المماثلة، وأما نفي مشابهة الله بخلقه فإنها لم تنف في الكتاب والسنة.

ومن هنا علم أن لفظ المشابهة ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

١ـ مشابهة في أصل معنىٰ الصفة وهو مطلق المعنىٰ فهذا ليس بمنفي والمراد بأصل المعنىٰ أي أصل المعنىٰ في لغة العرب كلفظ العين واليد والأصابع وهكذا.

= ⇦

=
٢ـ مشابهة في تمام الاتصاف ودلالة الألفاظ علىٰ المعنىٰ بكمالها وهذا ممتنع.
٣ـ مشابهة في كيفية الصفة وهذا أيضًا ممتنع.
ومن أجل هذا صار لفظ التمثيل ونفي التمثيل والمثلية شرعيًّا؛ لأنه واضح ودلالته غير مجملة وأما لفظ المشابهة فإن دلالته مجملة، ولم يأت نفيه لأن هناك قدر مشترك بين الخالق والمخلوق وهو أصل المعنىٰ، لله يدان وللإنسان يدان أما تمام المعنىٰ وكيفية الوصف فهذا ممتنع فيه الاشتراك بين الخالق والمخلوق لأننا ما رأينا الله -جل وعلا- وما رأينا له مثيلًا أو نظيرًا فنقيسه عليه ولا أخبرنا هو عن تمام المعنىٰ أو كيفية صفاته.
فمن قال من العلماء أن الله ﷻ لا يماثله شيء ولا يشابهه شيء فإنه يعني بذلك: لا يشابهه شيء يعني المماثلة في الكيفية أو المماثلة في تمام الاتصاف بالصفة وتمام دلالة اللفظ علىٰ تمام معناه.
ولكن الأولىٰ والأصوب والأحوط التعبير بلفظ المماثلة لا المشابهة لوجوه ثلاثة ذكرها العلامة العثيمين ؒ فقال:
الأول: أن نفي التمثيل هو الذي ورد في القرآن ولم يرد في القرآن نفي التشبيه واللفظ الذي هو التعبير القرآني خير من اللفظ الذي هو التعبير الإنساني قال تعالىٰ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].
الثاني: أن التشبيه لا يصح نفيه علىٰ الإطلاق لأنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشرك (أصل المعنىٰ) اتفقا فيه وإن اختلفا في الحقيقة (تمام المعنىٰ وكيفية الوصف) فلله وجود وللإنسان وجود ولله حياة وللإنسان حياة وهذا الاشتراك في أصل المعنىٰ ـ الحياة والوجود ـ نوع من التشابه لكن الحقيقة أن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق فحياة الخالق ليست كحياة المخلوق، فحياة المخلوق ناقصة مسبوقة بعدم وملحوقة بفناء وهي ناقصة في حد ذاتها يومًا يكون طبيبًا ويومًا يكون مريضًا، ويومًا يكون متكدرًا ويومً يكون مسرورًا، وأيضًا هي حياة ناقصة في جميع الصفات البصر ناقص، والسمع ناقص، والعلم ناقص، والقوة ناقصة بخلاف صفات الخالق فإنها كاملة من كل وجهٍ.
الثالث: أن بعض أهل التعطيل يسمون المثبتين للصفات مشبهة فإذا قلت: من غير تشبيه فَهِمَ هؤلاء أن المراد من غير إثبات صفة لذلك نقول: إن التعبير بقولنا من
=

الخلق، مع قطع الطمع في إدراك الكيفية.

س٢٢٨ – من أول من قال: أن ظاهر النص غير مراد؟

الجواب: أول من قال: إن ظاهر نصوص الصفات غير مراد هم الجهمية ثم تبعهم المعتزلة وسائر فرق المعطلة، أما الباطنية فزعمت أن نصوص الأحكام غير مرادة، والفلاسفة ادعت أن نصوص المعاد علىٰ غير ظاهرها.

س ٢٢٩– اذكر قولًا لبعض أهل البدع أن ظاهر النصوص غير مراد غالبًا؟

الجواب: قال شيخ الإسلام حدثني الشيخ العالم كمال الدين المراغي(١) شيخ زمانه أنه لما قَدِمَ وبَلَغَهُ كلامُ هؤلاء في التوحيد قال: قرأت

=

غير تمثيل أولىٰ من التعبير بالتشبيه. انتهىٰ.

(١) الشَّيْخ الصَّالح الْعَالم العابد الزَّاهِد كَمَال الدّين أَبُو حَفْص عمر بن الياس بن يُونُس المراغي قدم دمشق فِي جُمَادَىٰ الأولىٰ سنة تسع وَعشْرين وَسَبْعمائة وَكَانَ عمره إذ ذَاك نيفًا وَثَمَانِينَ سنة فَنزل بدار الحَدِيث الأشرفية دَاخل دمشق بعد أن كَانَ مجاورًا بالقدس الشريف ثَلَاثِينَ سنة وأقام بِمصْر خمس عشرَة سنة فِيمَا ذكره الْعَلامَة الْحَافِظ أَبُو الفدا إسماعيل بن كثير قَالَ وَهُوَ شيخ حسن المنظر ظَاهر الْوَضَاءَة، عَلَيْهِ سيماء الْعِبَادَة ولديه علم وَتَحْقِيق وَذكر أَنه سَأَلَهُ عَن الشَّيْخ تَقِيّ الدّين ابْن تَيْمِية فَقَالَ هُوَ عِنْدِي رجل كَبِير الْقدر عَالم مُجْتَهد شُجَاع صَاحب حق كثير الرَّد علىٰ هَؤُلَاءِ الحلولية والاتحادية والإنية وَاجْتمعت بِهِ مرَارًا وشكرته علىٰ ذَلِك وَكَانَ أهل هَذَا الْمَذْهَب الْخَبيث يخَافُونَ مِنْهُ كثيرًا وَكَانَ يَقُول لي أَلا تكون مثلي فَأَقُول لَهُ لَا أستطيع. [كتاب الصفدية ١/ ٢٤٤ لابن تيمية]، وذكره بالثناء في غير موضع من مجموع الفتاوىٰ. [يراجع الترجمة في كتاب الرد الوافر (ص: ١١٩)].

علىٰ العفيف التلمساني[(١)] من كلامهم شيئًا فرأيته مخالفًا للكتاب والسنة

---

(١) الْعَفِيفُ التِّلْمِسَانِيُّ، أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يَاسِينَ الْعَابِدِيُّ الْكُوفِيُّ ثُمَّ التِّلْمِسَانِيُّ، الشَّاعِرُ الْمُتْقِنُ فِي عُلُومٍ؛ مِنْهَا النَّحْوُ وَالْأَدَبُ وَالْفِقْهُ وَالْأُصُولُ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ مُصَنَّفَاتٌ، وَلَهُ شَرْحُ «مَوَاقِفِ النِّفَّرِيِّ»، وَشَرَحَ أَسْمَاءَ اللهِ الْحُسْنَىٰ، وَلَهُ دِيوَانٌ مَشْهُورٌ، وَلِوَلَدِهِ مُحَمَّدٌ دِيوَانٌ آخَرُ، وَقَدْ نُسِبَ هَذَا الرَّجُلُ إِلَىٰ عَظَائِمَ فِي الْأَقْوَالِ وَالِاعْتِقَادِ فِي الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ وَالزَّنْدَقَةِ وَالْكُفْرِ الْمَحْضِ، وَشُهْرَتُهُ تُغْنِي عَنِ الْإِطْنَابِ فِي تَرْجَمَتِهِ، تُوُفِّيَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ خَامِس رَجَبٍ، سَنَةَ تِسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَدُفِنَ بِالصُّوفِيَّةِ، وَيُذْكَرُ عَنْهُ أَنَّهُ عَمِلَ أَرْبَعِينَ خَلْوَةً، كُلُّ خَلْوَةٍ أَرْبَعُونَ يَوْمًا مُتَتَابِعَةٌ. فَاللهُ أَعْلَمُ. [البداية والنهاية ط هجر (١٧/ ٦٤٥)].

قَالَ الذَّهَبِيّ: من فحول الشُّعَرَاء وكبار الاتحادية يدَّعي الْعرْفَان لَهُ شعر رائق وَكَانَ كَاتبًا علىٰ سوق الْغنم بِدِمَشْق لَهُ هَيْئَة وَحُرْمَة وَكَانَ يتعاطىٰ الْخمر ويتملطخ بمعايب نسْأَل الله الْعَفو وَكَانَ قد دخل الرّوم وَعمل الْخلْوَة وجاع وَشرح (مَوَاقِف النفري)، وهُوَ الْقَائِل:

إِلَىٰ الراح هبوا حِين تَدْعُو المثالث ... فَمَا الراح للأرواح إلا بواعث

هِيَ الْجَوْهَر الصّرْف الْقَدِيم فَإِن بَدَت ... لَهَا حبب زينت بهَا وَهُوَ حَادث

وَذكره أبو حَيَّان: وَكَانَ التلمساني متقلبًا فِي أحواله فَتَارَة يكون شيخ زَاوِيَة وَتارَة يشْتَغل فِي ديوَان الخدم قدم علينا الْقَاهِرَة فَنزل فِي (خانكاة سعيد السُّعَدَاء (فِي أيالة شيخ الشُّيُوخ إِذْ ذَاك وَأَقَام أشهرًا ثمَّ حُكيَ عَنهُ أَنه حضر مجْلِس أنس وَمَعَهُمْ مغن مليح فشاع عَنهُ أَنه قبل الْمُغنِي وَقَالَ أَنْت الله فَرمىٰ الصَّبِي الطار من يَده ووجم لمقالة الْعَفِيف وَأصْبح أهل الْمجْلس يتحدثون بِمَا قَالَه الْعَفِيف فخاف علىٰ نَفسه وَخرج فَارًّا قبل الظّهْر إِلَىٰ الشَّام.

قَالَ الشَّيْخ تَقِيّ الدّين ابْن تَيْمِية ﵀ تَعَالَىٰ وحَدثني الشَّيْخ الْعَالم الْعَارِف كَمَال الدّين المراغي شيخ زَمَانه أَنه لما تحدث مَعَ التلمساني فِي هَذَا الْمَذْكُور قَالَ وَكنت =

فلما ذكرت ذلك له قال: القرآن ليس فيه توحيد بل القرآن كله شرك ومن اتبع القرآن لم يصل إلىٰ التوحيد قال فقلت له: ما الفرق عندكم بين الزوجة والأجنبية والأخت الكل واحد؟ قال لا فرق بين ذلك عندنا وإنما هؤلاء المحجوبون اعتقدوه حرامًا فقلنا هو حرام عليهم عندهم وأما عندنا فما ثم حرام.

س ٢٣٠- ما المراد بقول شيخ الإسلام (في القاعدة الثالثة) لفظ الظاهر فيه إجمال واشتراك؟

الجواب: المراد أن ظاهر نصوص الصفات فَهِمَ منهُ المبتدعةُ أن صفات الله تعالىٰ تشبه صفات المخلوقين، ولا شك أن هذا فهم غير صحيح وغير

= أَقرَأ عَلَيْهِ فِي ذَلِك فَإِنَّهُم كَانُوا قد عظموه عندنَا وَنحن مشتاقون إِلَىٰ معرفَة (فصوص الحكم) فَلَمَّا صَار يشرحه إِلَيّ أَقُول هَذَا خلاف الْقُرْآن والأحاديث فَقَالَ ارْم هَذَا كُله خلف الْبَاب واحضر بقلب صَاف حَتَّىٰ تتلقىٰ هَذَا التَّوْحِيد أَو كَمَا قَالَ ثمَّ خَافَ أَن أشيع ذَلِك عَنهُ فجَاء إِلَيّ باكيًا وَقَالَ اسْتُرْ عني مَا سمعته مني [توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم (١/ ١٨٥)].

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٤٧١): (وَأَمَّا) الْفَاجِرُ التِّلْمِسَانِيُّ: فَهُوَ أَخْبَثُ الْقَوْمِ وَأَعْمَقُهُمْ فِي الْكُفْرِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْوُجُودِ وَالثُّبُوتِ كَمَا يُفَرِّقُ ابْنُ عَرَبِيٍّ وَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُطْلَقِ وَالْمُعَيَّنِ يُوصِلُ إلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ وَشَرَحَ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ الَّذِي لَهُ. وَلَهُ دِيوَانُ شِعْرٍ قَدْ صَنَعَ فِيهِ أَشْيَاءَ وَشِعْرُهُ فِي صِنَاعَةِ الشِّعْرِ جَيِّدٌ؛ وَلَكِنَّهُ كَمَا قِيلَ: لَحْمُ خِنْزِيرٍ فِي طَبَقٍ صِينِيٍّ وَصِنْفٌ للنصيرية عَقِيدَةٌ؛ وَحَقِيقَةُ أَمْرِهِمْ أَنَّ الْحَقَّ بِمَنْزِلَةِ الْبَحْرِ وَأَجْزَاءَ الْمَوْجُودَاتِ بِمَنْزِلَةِ أَمْوَاجِهِ» انتهىٰ.

مراد قطعًا وفهم أهل السنة أن صفات الله تعالىٰ دل عليها ظاهر النصوص علىٰ ما يليق به ﷻ من غير تمثيل ومن غير تحريف قال الإمام ابن قتيبة الواجب علينا أن ننتهي في صفات الله حيث انتهىٰ في صفته أو حيث انتهىٰ رسوله ﷺ ولا نزيل اللفظ عما تعرفه العرب وتضعه عليه ونمسك عما سوىٰ ذلك.

س ٢٣١- ما وجه الغلط عند من يجعل ظاهر نصوص الصفات تمثيلًا؟

الجواب: الغلط عندهم جاء من وجهين:

الأول: يجعلون ظاهر اللفظ يدل علىٰ معنىٰ فاسد كفري لا يليق بالله تعالىٰ بزعمهم وعليه فيحتاج إلىٰ تأويل.

مثال ذلك: قول الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**يَا ابْنَ آدَمَ مرضت فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**» [(١)]. (رواه مسلم من حديث

(١) قالوا: أن الحديث فيه إضافة المرض والاستطعام والاستسقاء إلىٰ الله تعالىٰ مع أنها صفات نقص لا يجوز أن يوصف الله تعالىٰ بها!

⇦ =

أبي هريرة).

ليس ظاهر الحديث يدل علىٰ أن الله تعالىٰ يجوع ويمرض ويعطش لأنه جاء في الحديث نفسه ما يدل علىٰ أن الذي يجوع ويمرض ويعطش هو العبد وليس الرب ﷻ.

=
قيل لهم: قال شيخ الاسلام: لا يجوز لعاقل أن يقول إن دلالة الحديث السابق مخالفة في عقل ولا سمع إلا من يظن أنه قد دل علىٰ جواز المرض والجوع علىٰ الخالق ومن قال هذا فقد كذب علىٰ الحديث ومن قال أن هذا ظاهر الحديث أو مدلوله أو مفهومه فقد كذب فإن الحديث قد فسره المتكلم به وبين مراده بيانًا زالت به كل شبهه وبين فيه أن العبد هو الذي جاع وأكل ومرض وعاده العواد وأن الله سبحانه لم يأكل ولم يُعَدْ.

قال العثيمين: السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يحرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم وإنما فسروه بما فسره به المتكلم به فقوله تعالىٰ: «**مرضت واستطعمتك، واستسقيتك**» بينه الله تعالىٰ بنفسه حيث قال أما علمت أن عبدي فلانًا مرض وأنه استطعمك عبدي فلان، واستسقاك عبدي فلان، وهو صريح في أن المراد به مَرِضُ عبدٍ من عبادِ اللهِ، واستطعامُ عبدٍ من عبادِ اللهِ، واستسقاءُ عبدٍ من عبادِ اللهِ، والذي فسره بذلك هو المتكلم به. وهو أعلم بمراده فإذا فسرنا المرض المضاف إلىٰ الله والاستطعام المضاف إليه والاستسقاء المضاف إليه بمرض العبد واستطعامه واستسقائه لم يكن في ذلك صرف الكلام عن ظاهره لأن ذلك تفسير المتكلم به فهو كما لو تكلم بهذا المعنىٰ ابتداء. اهـ.

وهذا شبيه بقوله تعالىٰ: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة:٢٤٥]. للترغيب والحث...

✍ **فائدة:**

في الحديث في المريض قال تعالىٰ: «لوجدتني عنده» وهي معية خاصة للمؤمن المريض أما في الإطعام والسقيا قال تعالىٰ: «لوجدت ذلك عندي» أي الثواب والأجر. اهـ.

الثاني: يردون المعنىٰ الحق الذي دل عليه النص لاعتقادهم أنه معنىٰ فاسد، وفي الحقيقة ليس كذلك.

مثال ذلك: قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥]، فزعموا أن ظاهر النص يدل علىٰ أن استواء الله علىٰ عرشه مثل استواء المخلوق علىٰ ظهور الفلك والأنعام، والله تعالىٰ لا يماثل المخلوق وعليه يجب أن يكون الاستواء هنا بمعنىٰ الاستيلاء والصواب كما قال الإمام مالك وغيره الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة (أي عن كيفية الاستواء)، ثم قال للسائل: وما أراك إلا رجل سوء، وأمر بإخراجه من مجلسه.

مثال آخر: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الفتح:١٠].

أهل البدع قالوا: قدرة الله فوق قدرتهم، واليد عند العرب تطلق علىٰ القدرة، وهذا من باب تنزيه المولىٰ ﷻ، فإذا قلنا إن لله يد حقيقية فستنصرف الأذهان إلىٰ يد البشر، وهذا يؤدي إلىٰ تشبيه الله ﷻ بخلقه وهذا كفر، ولكي نسلم من هذا التخيل ومن هذا الاعتقاد أو احتماليته سنقول يد الله أي قدرة

الله.

وهذا كله لا شك أنه من الضلال المبين.

قال العثيمين رحمه الله: فإن قال قائل في نصوص الصفات: لا يجوز إجراؤها علىٰ ظاهرها لأن ظاهرها غير مراد.

فجوابه أن يقال: ماذا تريد بالظاهر؟

- أتريد ما يظهر من النصوص من المعاني اللائقة بالله من غير تمثيل؟ فهذا الظاهر مراد لله ورسوله قطعًا، وواجب علىٰ العباد قبوله، والإيمان به شرعًا؛ لأنه حق ولا يمكن أن يخاطب الله عباده بما يريد منهم خلاف ظاهره بدون بيان كيف، وقد قال: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [النساء:٢٦]، وقال: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ ﴾ [النساء:١٧٦]، ويقول عن رسوله ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:٤٤]، ويقول: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الشورى:٥٢]. ومن خاطب غيره بما يريد منه خلاف ظاهره بدون بيان فإنه لم يبين له ولم يهده.

- أم تريد بالظاهر ما فهمته من التمثيل؟ فهذا غير مراد لكنه ليس ظاهر نصوص الكتاب والسنة؛ لأن هذا الظاهر الذي فهمته كفر وباطل بالنص والإجماع، ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله كفرًا وباطلًا، ولا يرتضي ذلك أحد من المسلمين...

فتبين بذلك أن من قال: إن ظاهر نصوص الصفات غير مراد فقد أخطأ

علىٰ كل تقدير، لأنه إن فهم من ظاهرها معنىٰ فاسدًا وهو التمثيل، فقد أخطأ في فهمه وأصاب في قوله «غير مراد»، وإن فهم من ظاهرها معنىٰ صحيحًا وهو المعنىٰ اللائق بالله، فقد أصاب في فهمه وأخطأ في قوله «غير مراد» فهو إن أصاب في معنىٰ ظاهرها أخطأ في نفي كونه مرادًا، وإن أخطأ في معنىٰ ظاهرها أصاب في نفي كونه مرادًا، فيكون قوله خطأ علىٰ كل تقدير.

والصواب الذي لا خطأ فيه: أن ظاهرها مراد، وأنه ليس إلا معنىٰ يليق بالله. (١) انتهىٰ من تقريب التدمرية.

س ٢٣٢- اذكر مثالًا آخر وقع فيه الخطأ من الوجهين؟

الجواب: مثال ذلك ما رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ**»(٢).

فقالوا علىٰ الوجه الأول: ظاهر الحديث أن قلوب بني آدم بين أصابع الرحمن، فيلزم منه المباشرة والمماسة، وأن تكون أصابع الله سبحانه داخل أجوافنا، وهذا فاسد فيكون غير مراد ولابد من تأويله.

وقالوا علىٰ الوجه الثاني: ظاهر الحديث أن لله أصابع حقيقية والأصابع جوارح، وهذا معنىٰ فاسد فيكون غير مراد ولابد من تأويله.

(١) تقريب التدمرية (ص: ٥٥).
(٢) أخرجه مسلم [٢٦٥٤].

س ٢٣٣- اذكر الرد علىٰ هذا الخطأ؟

الجواب: أولًا: نقول علىٰ الوجه الأول: قد دلّ السمع والعقل علىٰ أن الله بائن من خلقه ولا يحل هو في شيء من خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه، وأجمع السلف علىٰ ذلك.

ثانيًا: أن البينية لا تستلزم المباشرة والمماسة فيما بين المخلوقات كقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [البقرة:١٦٤]، فإن السحاب لا يباشر السماء ولا الأرض فكيف بالبينية فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السماوات والأرض.

ونقول علىٰ الوجه الثاني: إن ثبوت الأصابع الحقيقية لله تعالىٰ لا يستلزم معنىٰ فاسدًا فإن لله تعالىٰ أصابعًا تليق به ﷻ، ولا تماثل أصابع المخلوقين(١).

(١) وقد رد العلامة العثيمين علىٰ أقوالهم بأنه لا يلزم من إثبات الأصبع ما ذكروه: فقال: ويقال: سترة المصلي بين يديه وليست مباشرة له ولا مماسة له.
فإذا كانت البينية لا تستلزم المباشرة والمماسة فيما بين المخلوقات فكيف بالبينية فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السماوات والأرض وهو بكل شيء محيط.
وقد دل السمع والعقل علىٰ أن الله تعالىٰ بائن من خلقه ولا يحل في شيء من خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه وأجمع السلف علىٰ ذلك وهذا هو الوجه الأول.
ونقول علىٰ الوجه الثاني: إن ثبوت الأصابع الحقيقية لله تعالىٰ لا يستلزم معنىٰ فاسدًا وحينئذ يكون مرادًا قطعًا فإن لله تعالىٰ أصابع حقيقية تليق به ولا تماثل أصابع المخلوقين وفي صحيح البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:
= ⇐

س ٢٣٤– من شُبه القائلين إن ظواهر نصوص الصفات غير مرادة أنهم جعلوا بعض الألفاظ نظيرًا لما ليس مثله، وضح ذلك؟

الجواب: قال شيخ الإسلام ومما يشبه هذا القول أن يُجعل اللفظ نظيرًا لما ليس مثله، كما قيل في قوله: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص:٧٥]، فقيل هو مثل قوله: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا ﴾ [يس:٧١].

س ٢٣٥– ما الغرض من هذا المثال في آيتي (يس، ص)؟

الجواب: الغرض من ذلك أن الله–تعالىٰ عن قولهم–خلق آدم كما خلق الأنعام والله تعالىٰ خلق الأنعام بـ «كن» وعليه فيلزم من هذا التماثل بين الآيتين أن الله –تعالىٰ عن قولهم–ليس له يدان.

س ٢٣٦– اذكر الفروق بين الآيتين؟

الجواب: الفرق بين الآيتين من وجوه:

=

«جاء حبرٌ من الأحبار إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات علىٰ إصبع والأرضيين علىٰ إصبع والشجر علىٰ إصبع والماء والثرىٰ علىٰ إصبع وسائر الخلائق علىٰ إصبع فيقول: أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [الزمر:٦٧] هذا لفظ البخاري في تفسير سورة الزمر.
فأي معنىٰ فاسد يلزم من ظاهر النص حتىٰ يقال إنه غير مراد؟ انتهىٰ.

وجه المقارنة	آية ص	آية يس
الفعل	أضافه الله لنفسه	أضافه الله للأيدي المضافة إليه
التعدية	عدىٰ الفعل بالباء إلىٰ يدين اثنين	الأيدي مضافة إليه سبحانه ومجموعة
العدد	التثنية دلت علىٰ عدد محصور	الجمع للتعظيم فالمراد نفسه المقدسة
	ذكر الله نفسه بصيغة الإفراد	ذكر الله نفسه بصيغة الجمع

وعليه فقوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] لا تماثل قوله تعالىٰ: ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ [يس:٧١] فالآية الأولىٰ دلت علىٰ ثبوت صفة اليدين لله علىٰ ما يليق به سبحانه مثل قول القائل كتبت بالقلم فالكاتب هو الفاعل والقلم حصلت به الكتابة فكذلك آدم خلقه الله تعالىٰ بيديه، والثانية دلت علىٰ خلق الأنعام بـ «كن» فلا تماثل بين الآيتين.

س ٢٣٧- هل من آيات تماثل آية ص؟

الجواب: نعم آية المائدة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤].

س ٢٣٨- هل من آيات تماثل آية يس؟

الجواب: نعم قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ

أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ [الشورى:٣٠].

س ٢٣٩-صفات البشر منها ما هو أعيان وأبعاض ومنها ما هو معان وأعراض بين ذلك؟

الجواب: المراد بالأعيان أي عين قائمة وهي ما تسمىٰ بالأبعاض عندنا كاليد والقدم والساق والوجه والعين ونحوها، وأما المعاني ما لا يقوم بنفسه وهو ما يسمىٰ بالأعراض كالعلم والقدرة والحياء والغضب ونحوها.

س ٢٤٠- هل صفات الله تعالىٰ كذلك؟

الجواب: نعم مع فرق، وهي أن صفات الله تعالىٰ معان وشيء يشترك في الاسم مع ما هو أبعاض لنا ولكن لا يجوز أن نقول هو أبعاض لله تعالىٰ لعدم ثبوت ذلك في نص صحيح. (١)

---

(١) وهذه هي الصفات الذاتية لله تعالىٰ: تنقسم إلىٰ قسمين:

١ـ **صفات ذاتية خبرية**: وهي التي تثبت عن طريق الخبر، ولو لم يرد النص بها لم يستطع العقل وحده معرفتها لكنه مع ذلك لا ينفيها.

ضابطها: أنها التي مسماها لنا أبعاض وأجزاء ويجب الحذر من القول أنها أبعاض لله أو أجزاء له كاليدين والوجه والساق والقدم والأصابع والعينين.

٢ـ **صفات ذاتية معنوية**: وهي ما كان دالًا علىٰ معنىٰ أو التي ليست مسماها لنا أبعاض وأجزاء وتسمىٰ بالصفات العقلية لأن العقل دل عليها فلو لم يأت النص لاهتدىٰ العقل إليها كالعلم والحياة والحكمة والقوة والقدرة والعزة.

وقيل: إن العقل لا يستقل بذلك بل يدل عليه، بخلاف الأول فإنها خبرية محضة ولا مجال للعقل فيها (انظر معالم التوحيد، والصفات الإلهية للشيخ محمد آمان الجامي رحمه الله صـ٢٥٤).

س ٢٤١– ما الغرض من هذه التقسيمات؟

الجواب: الغرض من ذلك كما أن علم الله تعالىٰ ليس كعلمنا ولا قدرته كقدرتنا فكذلك ولا فرق فليست يده كأيدينا وليست عينه كأعيننا وهكذا وعلىٰ الجملة فهو سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله.

س ٢٤٢– ما المراد بالتفويض عند المتكلمين؟

الجواب: التفويض عند المتكلمين:

هو ما جمع الأمور الآتية.

١ـ أن ظاهر النصوص الواردة في الصفات غير مراد لأن ظاهرها التشبيه.

٢ ـ أن النصوص مجهولة المعاني بالنسبة للخلق.

٣ ـ تفويض علم معاني الصفات لله تعالىٰ.

٤ ـ الإيمان عندهم بالصفات وهو مجرد الإيمان بألفاظ الصفات الواردة دون ما تضمنه من معاني فالمعاني مجهولة غير معلومة. وهو مذهب باطل مبتدع شر من التشبيه والتعطيل[1].

---

(١) وأما التفويض: فإن من المعلوم أن الله تعالىٰ أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضَّنا علىٰ عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟ وأيضًا، فالخطاب الذي أريد به هُدانا والبيانُ لنا، وإخراجنا من الظلمات إلي النور، إذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك، فعلىٰ = ⇦

❊

=
التقديرين لم نخاطب بما بيَّن فيه الحق، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر.

وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا: أنه لم يبين الحق، ولا أوضحه، مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا باتباعه والرد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه، بل دل ظاهره علىٰ الكفر والباطل، وأراد منا أن نفهم منه شيئًا، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه.

وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد. (درء تعارض العقل والنقل) (١/ ٢٠٢).

فصل

[القاعدة الرابعة: المحاذير التي يقع فيها من يتوهم أن مدلول نصوص الصفات هو التمثيل]

س ٢٤٣- اذكر نص القاعدة الرابعة؟

الجواب: هو أن كثيرًا من الناس يتوهم في بعض الصفات، أو في كثير منها، أو أكثرها، أو كلها، أنها تماثل صفات المخلوقين؛ ثم يريد أن ينفي ذلك الذي فهمه فيقع في أربعة أنواع من المحاذير:

أحدها -كونه مثَّل ما فهمه من النصوص بصفات المخلوقين، وظن أن مدلول النصوص هو التمثيل.

الثاني: أنه إذا جعل ذلك هو مفهومها وعطّله بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله، فيبقىٰ مع جنايته علىٰ النصوص، وظنه السيئ الذي ظنه بالله ورسوله - حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل - قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله، والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله سبحانه.

الثالث: أنه ينفي تلك الصفات عن الله بغير علم، فيكون معطلًا لما يستحقه الرب تعالىٰ.

الرابع: أنه يصف الرب بنقيض تلك الصفات من صفات الأموات

والجمادات، أو صفات المعدومات.

فيكون قد عطَّل صفات الكمال التي يستحقها الرب تعالىٰ، ومثَّله بالمنقوصات والمعدومات، وعطَّل النصوص عما دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات، فيجمع في الله وفي كلام الله بين التعطيل والتمثيل، فيكون ملحدًا في أسمائه وآياته.

س ٢٤٤-علىٰ من يرد شيخ الإسلام بالقاعدة الرابعة؟

الجواب: يرد شيخ الإسلام بهذه القاعدة علىٰ عامة المعطلة والممثلة في ظنهم السيئ بالله تعالىٰ، حيث اعتقدوا أن إثبات صفاته يستلزم التشبيه وجنايتهم علىٰ النصوص بالتحريف.

س٢٤٥- ماذا يعني شيخ الإسلام بالناس وبالكثير والأكثر؟

الجواب: يعني بذلك تنوع الناس في توهم الصفات فمنهم من يتوهم ذلك في كل الصفات كالجهمية والمعتزلة ومنهم من يتوهم ذلك في كثير منها أو أكثرها كالأشاعرة ونحوهم.

س٢٤٦ - ما التوهم الذي وقع فيه هؤلاء المبتدعة؟

الجواب: أن ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الصفات يماثل صفات المخلوقين.

س٢٤٧- اذكر بعض الأمثلة لهذا التوهم؟

الجواب: لما أثبت الله تعالىٰ لنفسه يدين قالوا هي كأيدي المخلوق ولما أثبت له رسوله ﷺ النزول إلىٰ السماء الدنيا قالوا هو كنزول المخلوق

ويخلو منه العرش وتحيط به السماوات وغير ذلك.

س٢٤٨– ما الذي أوقعهم في ذلك التوهم؟

الجواب: عقولهم الرديَّة وأفهامهم الغويَّة وخروجهم عن منهج السلف الصالح في فهم النصوص الشرعية.

س٢٤٩ – ما لوازم هذا التوهم؟

الجواب: من لوازم ذلك التوهم التي لا انفكاك منها أن مدلول كلام الله تعالىٰ كفر وضلال.

س ٢٥٠– ما المحاذير التي وقع فيها من توهم ذلك؟

الجواب: من توهم ذلك وقع في أربعة محاذير:

الأول: ما يتعلق بالنصوص اثنان:

أ- تمثيل ما فهمه من صفات الله بصفات المخلوقين فجعل ظاهر النصوص هو التمثيل.

ب- تعطيل النصوص عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله تعالىٰ.

الثاني: ما يتعلق بالله تعالىٰ اثنان:

أ- تعطيل الله تعالىٰ عن صفات الكمال بغير علم ويدخل فيه القول علىٰ الله بغير علم، وهو أعظم عند الله من الشرك قال تعالىٰ: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ**

سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:٣٣].

ب- تمثيل الله بالمنقوصات من الجمادات أو الأموات أو المعدومات.

وعليه يكون قد جمع هذا المتوهم بين تمثيلين وتعطيلين.

فالتمثيلان: حيث اعتقد تشبيه الله بالمخلوقات أولًا، ثم فرَّ منه فشبهه بالجمادات أو المعدومات.

والتعطيلان: حيث عطل الآيات الدالة علىٰ الصفة والنافية للمماثلة، ثم عطَّل الله عن صفاته فجمع هذا التمثيل بين الإلحاد في أسماء الله، بتعطيله عن الكمال وتشبيهه بالمنقوصات، والإلحاد في آياته، بجعلها دالة علىٰ التمثيل ثم تعطيلها عما دلت عليه من الصفات.

س ٢٥١- ما حكم التعطيل والتمثيل؟

الجواب: كلاهما إلحاد وهو محرم قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [فصلت:٤٠].

ووجه ذلك أن المعطل نقص وفرط فقال أن الله تعالىٰ لا يوصف بالصفات الفلانية والصفة الفلانية هذا عطل ونقص وفرق في دلالة النصوص والذي يقول أن الله - تعالىٰ عن قولهم - يوصف بما وصف به نفسه مع

التمثيل يكون قد زاد وأفرط فكلاهما متطرف ولهذا كان الوسط أن يوصف الله تعالىٰ بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ بدون تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

س ٢٥٢- ما المراد بقول شيخ الإسلام في الممثل أنه يكون ملحدًا في أسماء الله تعالىٰ وآياته؟

الجواب: أما كونه ملحدًا في أسماء الله تعالىٰ لأنه عطل الأسماء عن معانيها وجعلها مجرد أعلام فقط ليس لها معنىٰ.

وأما الإلحاد في الآيات بكونه عطلها عن معانيها التي دلت عليها.

س ٢٥٣- ذكر شيخ الإسلام مثالًا مما وقع فيه مبتدعة الصفات بيِّنْهُ؟

الجواب: قال شيخ الإسلام **مثال ذلك**: أن النصوص كلها دلّت علىٰ وصف الإله بالعلو والفوقية علىٰ المخلوقات، واستوائه علىٰ العرش، فأما علوّه ومباينته للمخلوقات فيُعلم بالعقل الموافق للسمع، وأما الاستواء علىٰ العرش فطريق العلم به هو السمع.

س ٢٥٤- وضِّح أن علو الله تعالىٰ ومباينته للمخلوقات ثابت بالعقل والسمع؟

الجواب: أما ثبوت ذلك بالعقل فيقال هل العلو صفة كمال أم صفة نقص؟

الجواب: أنها صفة كمال باتفاق العقلاء.

هل الرب يجب له صفات الكمال أم يجوز عليه صفات النقص؟

الجواب: يجب له صفات الكمال ويمتنع عنه صفات النقص وعليه يلزم ثبوت العلو لله تعالىٰ بذاته ومباينته لخلقه.

وأما ثبوت ذلك بالسمع فأدلته كثيرة جدًّا منها قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

وقوله تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى:١].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]، وغيرها كثير

وروىٰ مسلم من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ أن النبي ﷺ قال للجارية «**أَيْنَ اللهُ؟**» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «**مَنْ أَنَا؟**» قَالَتْ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، قَالَ: «**أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ**»(١).

س٢٥٥ – هل من أدلة أخرىٰ غير السمع والعقل تدل علىٰ علو الله تعالىٰ ومباينته من خلقه؟

الجواب: نعم منها دليل الفطرة فإن كل إنسان مفطور علىٰ علو الله تعالىٰ ولذلك لو أن الإنسان من غير أن يدرس أو يتعلم لو سأل الله تعالىٰ حاجة تجده ينصرف إلىٰ علو ولا تجد أي إنسان يقول يا رب ويضع يديه بالأرض أبدًا.

(١) أخرجه مسلم [٥٣٧].

✍ **نكتة:**

في (شرح الطحاوية) قال شارحها: ذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ الْمَقْدِسِيُّ أَنَّ الشَّيْخَ أَبَا جَعْفَرٍ الْهَمَذَانِيَّ حضَرَ مَجْلِسَ الْأُسْتَاذِ أَبِي الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيِّ الْمَعْرُوفِ بِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي نَفْيِ صِفَةِ الْعُلُوِّ، وَيَقُولُ: كَانَ اللهُ وَلَا عَرْشَ وَهُوَ الْآنَ عَلَىٰ مَا كَانَ! فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ: أَخْبِرْنَا يا أُسْتَاذُ عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي قُلُوبِنَا؟ فَإِنَّهُ مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا اللهُ، إِلَّا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ ضَرُورَةً تَطْلُبُ الْعُلُوَّ، لَا يَلْتَفِتُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً، فَكَيْفَ نَدْفَعُ هَذِهِ الضَّرُورَةَ عَنْ أَنْفُسِنَا؟ قَالَ: فَلَطَمَ أَبُو الْمَعَالِي عَلَىٰ رَأْسِهِ وَنَزَلَ، وَأَظُنُّهُ قَالَ: وَبَكَىٰ! وَقَالَ: حَيَّرَنِي الْهَمَذَانِيُّ حَيَّرَنِي! أَرَادَ الشَّيْخُ: أَنَّ هَذَا أَمْرٌ فَطَرَ اللهُ عَلَيْهِ عِبَادَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَلَقَّوْهُ مِنَ المرسلين، يَجِدُونَ فِي قُلُوبِهِمْ طَلَبًا ضَرُورِيًّا يَتَوَجَّهُ إِلَىٰ اللهِ وَيَطْلُبُهُ فِي الْعُلُوِّ (١).

ومن الأدلة أيضًا التي تدل علىٰ علو الله تعالىٰ الإجماع من السلف الصالح علىٰ أن الله تعالىٰ عال علىٰ المخلوقات مباين لهم (٢).

---

(١) شرح الطحاوية [٢/ ٣٩٠].

(٢) ١- قال الامام إسحاق بن راهويه (٢٣٨ هـ): قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوىٰ ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة.
ذكر إسناده الحافظ الذهبي في العلو (برقم ٤٨٧)، وصححه المحدث الألباني في مختصره.
قال الذهبي: اسمع ويحك إلىٰ هذا الإمام كيف نقل الإجماع علىٰ هذه المسألة.
٢-قال الإمام قتيبة بن سعيد (١٥٠-٢٤٠ هـ): «هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة =

س ٢٥٦- ما معنىٰ أن الله تعالىٰ في السماء؟

الجواب: هذا متوقف علىٰ معرفة معنىٰ «في» أيضًا من توهم أن مقتضىٰ هذه الآية أن يكون الله في داخل السماوات، فهو جاهلٌ ضالٌّ بالاتفاق.

س ٢٥٧- ما المعنىٰ المراد بالحرف «في»؟

الجواب: (في) في اللغة العربية للظرفية ومعلوم أن الأصل أن المظروف يكون داخل الظرف وقد نخرج عن هذا الأصل لقرينة دلت علىٰ ذلك وعليه فحرف (في) معناه متعلق بما قبله وما بعده، فهو بحسب المضاف والمضاف

= والجماعة: نعرف ربنا في السماء السابعة علىٰ عرشه، كما قال جل جلاله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾».

ذكر إسناده الحافظ الذهبي في العلو (برقم ٤٧٠)، وصححه المحدث الألباني في مختصره.

قال الذهبي: فهذا قتيبة في إمامته وصدقه قد نقل الإجماع علىٰ المسألة، وقد لقي مالكًا والليث وحماد بن زيد والكبار، وعمَّر دهرًا وازدحم الحفاظ علىٰ بابه.

٣- قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠): في النقض علىٰ بشر المريسي (ص١٥٤):

وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالىٰ فوق عرشه فوق سماواته.

وقال رحمه الله في الرد علىٰ الجهمية (ص٦٤):

والأحاديث عن رسول الله وعن أصحابه والتابعين ومن بعدهم في هذا أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا غير أنا قد اختصرنا من ذلك ما يستدل به أولو الألباب أن الأمة كلها والأمم السالفة قبلها لم يكونوا يشكون في معرفة الله تعالىٰ أنه فوق السماء بائن من خلقه غير هذه العصابة الزائغة عن الحق المخالفة للكتاب وآثارات العلم كلها حتىٰ لقد عرف ذلك كثير من كفار الأمم وفراعنتهم. انتهىٰ.

إليه.

س٢٥٨ – اذكر أمثلة تدل علىٰ تعدد معاني حرف (في)؟

الجواب: هي في أصلها ظرفية والظرف إما أن يكون زمانيًّا مثل قوله تعالىٰ: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم:٤] وإما أن يكون ظرفًا مكانيًّا مثل قوله تعالىٰ: ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم:٣].

كذلك من معانيها المصاحبة نَحْو قوله تعالىٰ: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ﴾ [القصص:٧٩].

كذلك من معانيها التَّعْلِيل نحو قوله تعالىٰ: ﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنفال:٦٨].

كذلك من معانيها الاستعلاء وبمعنىٰ علىٰ نَحْو قوله تعالىٰ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾ [طه:٧١]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿**فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ**﴾ [آل عمران:١٣٧]، وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿**فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ**﴾ [التوبة:٢].

س ٢٥٩– بناء علىٰ ما سبق فما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦]؟

الجواب: إما أن تكون السماء بمعنىٰ العلو، فمعنىٰ كونه في السماء أنه في العلو المطلق فوق جميع المخلوقات.

وإما أن تكون (في): بمعنىٰ علىٰ، وعلىٰ هذا فيكون معنىٰ الآية ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] أي علىٰ السماء، أي فوقه، والله تعالىٰ فوق السماوات وفوق كل شيء (١).

(١) قال العلامة ابن باز رحمه الله: هذه الآيات الكريمات فسرها أهل العلم من أهل السنة والجماعة كالبغوي في التفسير وابن كثير وابن جرير وغيرهم، ومعناها عند أهل السنة واضح، فقوله جل وعلا: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك:١٦] يفسر بمعنيين، أحدهما: في السماء يعني المبينة، السماوات المعروفة، فيكون معنىٰ في يعني علىٰ مَن علىٰ السماوات، كما قال جل وعلا: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٢] يعني علىٰ الأرض، وقال جل وعلا عن فرعون أنه قال لخصومه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه:٧١] يعني علىٰ جذوع النخل، والمعنىٰ الثاني: أن المراد بالسماء العلو، جهة العلو، فتكون (في) للظرفية، والمعنىٰ: أأمنتم من في العلو، وهو الله سبحانه فإنه في العلو فوق العرش جل وعلا، قد استوىٰ علىٰ العرش استواء يليق بجلاله وعظمته، لا يشابه خلقه في شيء من صفاته سبحانه وتعالىٰ، وهو فوق جميع الخلق في أعلىٰ شيء فوق جميع الخلق سبحانه وتعالىٰ، وهكذا قصَدَ فرعون اللعين حينما قال فِرْعَوْنُ: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦﴾ [غافر:٣٦] يعني الطرق أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ يعني طرق السماوات فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ، عرف الخبيث أنه في العلو؛ لأن موسىٰ بلَّغه أنه في العلو، فلهذا زعم هذا الزعم، وهو لا يستطيع ذلك ولا هامان، فإن العلو إلىٰ السماوات لا يستطيعه المخلوق إلا بأمر من الله ﷻ، كما عرج الله بنبينا محمد ﷺ إلىٰ العلو مع جبرائيل عليه الصلاة والسلام، فالسماوات لها أبواب ولها حرس لا يستطيع أحد الدخول إليها إلا بإذن من الله ﷻ، وهذه من مكابرة فرعون من مكابرته، ودعواه الباطلة، فهو يعلم أن الله في العلو كما أخبره موسىٰ، ولهذا قال هذه المقالة، وهي من أدلة أهل السنة علىٰ أن الله في العلو، وأن موسىٰ بلغ فرعون أن الله في العلو؛ فلهذا قال =

س ٢٦٠- هل يلزم من قولنا العرش في السماء أن تكون السماء محيطة به؟

الجواب: لا يلزم لأن السماوات السبع والأرضين السبع بالنسبة للكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض وفضل العرش علىٰ الكرسي كفضل الفلاة علىٰ الحلقة.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَحْدَهُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْكَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**آيَةُ الْكُرْسِيِّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَىٰ الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الْحَلْقَةِ**»(١).

= هذه المقالة، وهكذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] يعني ثم علا علىٰ العرش...الخ انتهىٰ.

(١) الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (١٣٦)، وقال الألباني في «التعليق علىٰ متن الطحاوية» (ص٥٠ -٥١): وقد صح عن ابن عباس موقوفًا عليه من قوله: «الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدر قدره إلا الله تعالىٰ». وهو مخرج في كتابي «مختصر العلو» للذهبي، ولم يصح فيه مرفوعًا سوىٰ قوله عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَامُ: «**ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش علىٰ الكرسي كفضل تلك الفلاة علىٰ تلك الحلقة**». وذلك مما يبطل أيضًا تأويل الكرسي بالعلم. ولم يصح هذا التأويل عن ابن عباس كما بينته في [«الصحيحة» برقم (١٠٩) الصفحة ١٧٣، طبع المكتب الإسلامي].

روىٰ الطبراني وابن خزيمة بسند صحيح موقوفًا علىٰ ابن عباس - وله حكم الرفع إلىٰ النبي ﷺ لأنه لا يقال من قبل الرأي -: «**قَالَ: الْكُرْسِيُّ: مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ**» (١).

س ٢٦١- ما الظن السيء الذي ظنه الممثل المعطل المتوهم في صفة الاستواء؟

الجواب: يظن المتوهم أنه إذا وصف الله بالاستواء علىٰ العرش كان استواؤه كاستواء الإنسان علىٰ ظهور الفلك والأنعام، كقوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣]، فيتخيل أنه إذا كان مستويًا علىٰ العرش كان محتاجًا إليه كحاجة المستوي علىٰ الفلك والأنعام، فلو انخرقت السفينة لسقط المستوي عليها، ولو عثرت الدابة لخرّ المستوي عليها، فقياس هذا أنه لو عدم العرش لسقط الرب تبارك وتعالىٰ تعالىٰ ربنا وتقدس عما يقولون. (٢)

س ٢٦٢- كيف نرد علىٰ هذا المتوهم الممثل المعطل؟

الجواب: الرد عليه من عدة وجوه:

الأول: أن الاستواء مضاف إلىٰ الله تعالىٰ مختص به فلا يلزم مماثلته لاستواء خلقه.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد [١/ ٢٤٨]، والبيهقي في الأسماء والصفات [٧٥٩].
(٢) شرح الرسالة التدمرية (ص: ٢٥٤).

الثاني: أن الله تعالىٰ ليس مثل خلقه فكذلك استواؤه ليس مثل استوائهم.

الثالث: ثبت بالضرورة غنىٰ رب العالمين عن العالمين وعن كل شيء، فلا يلزم من استوائه افتقاره إلىٰ العرش.

الرابع: أن جميع الصفات لا يتوهم فيها النقص فكذلك الاستواء.

الخامس: ثبت أن بعض المخلوقات بعضها فوق بعض ومع ذلك فليس الأعلىٰ مفتقرًا إلىٰ الأدنىٰ كالسماء والأرض، والخالق الأعلىٰ أولىٰ بعدم الافتقار.

س ٢٦٣– اذكر دليلًا عقليًّا علىٰ أن الشيء الأعلىٰ لا يفتقر إلىٰ الأسفل؟

الجواب: الله تعالىٰ خلق العالم بعضه فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقرًا إلىٰ سافله، فالهواء فوق الأرض، وليس مفتقرًا إلىٰ أن تحمله، والسموات فوق الأرض، وليست مفتقرة إلىٰ حمل الأرض لها، فالعليُّ الأعلىٰ رب كل شيء ومليكه إذا كان فوق جميع خلقه كيف يجب أن يكون محتاجًا إلىٰ خلقه أو عرشه؟! أو كيف يستلزم علوه علىٰ خلقه هذا الافتقار وهو ليس بمستلزم في المخلوقات؟!. وقد عُلم أن ما ثبت لمخلوق من الغنىٰ عن غيره فالخالق سبحانه أحقُّ به وأَوْلَىٰ.

س٢٦٤–ما الفرق بين العلو والاستواء؟

الجواب: الفرق بينهما ما يلي:

١ ـ أن العلو صفة ذاتية ملازمة لله تعالىٰ، وأما الاستواء علىٰ العرش فهو صفة فعلية اختيارية فعلها بعد أن لم يكن فاعلًا لها.

٢ ـ أن العلو ثابت بالنقل والعقل والفطرة، وأما الاستواء علىٰ العرش فهو ثابت بالنقل فقط.

٣ ـ أن العلو علىٰ جميع المخلوقات، وأما الاستواء علىٰ العرش فهو لا يضاف إلا إلىٰ العرش.

وهاتان الصفتان هما الفيصل بين أهل السنة وأهل البدعة، فقد نفاهما جميع الفرق الكلامية من الفلاسفة والباطنية، والمعتزلة والجهمية، والأشاعرة والماتريدية، وآمن بهما -وبغيرهما مما ورد به النص- أهل السنة والجماعة.



فصل

[القاعدة الخامسة: نعلم ما أُخبرنا به من وجه دون وجه]

س ٢٦٥– اذكر نص القاعدة الخامسة؟

الجواب: أنَّا نعلم ما أُخبرنا به من وجه دون وجه. والمراد أن نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار المعنىٰ مجهولة لنا باعتبار الكيفية والحقيقة.

س٢٦٦ – ما مصدر نصوص الأسماء والصفات؟

مصدرهما الكتاب والسنة فقط. (١)

س ٢٦٧– علىٰ من يرد شيخ الإسلام بهذه القاعدة الخامسة؟

الجواب: يرد شيخ الإسلام بالقاعدة الخامسة علىٰ المفوضة القائلين بعدم العلم بالمعاني مطلقًا في الصفات، وتتضمن ردًّا علىٰ المشبهة في دعواهم العلم بالكيفية، ويدخل كذلك فيهم المعطلة، لأنهم عطلوا الصفات فرارًا من التشبيه، فبيّن لهم أننا نثبت الصفة دون تكييف، فهذه القاعدة من القواعد الجامعة في الرد علىٰ أصناف المبتدعة.

(١) قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ ﵀ تَعَالَىٰ: لَا يُوْصَفُ اللهُ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُوْلُهُ، لَا يُتَجَاوَزُ القُرْآنُ وَالحَدِيْثُ. ذَكَرَهُ أَبُو عُثْمَان الصَّابُوْنِيُّ ﵀ (ت ٤٤٩هـ) فِي كِتَابِهِ (عَقِيْدَةُ السَّلَفِ وَأَصْحَابِ الحَدِيْثِ) (ص٦٣).

س ٢٦٨- ما المقصود من هذه القاعدة؟

الجواب: المقصود بها إثبات صفات الله تعالىٰ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

س ٢٦٩- ما المراد بقول شيخ الإسلام أنا نعلم ما أُخبرنا به من وجه دون وجه؟

المراد من ذلك أننا نعلم المعنىٰ الذي دلت عليه نصوص الصفات ولا نعلم كيفية الصفة لأن الله تعالىٰ أخفاها عنا ولا سبيل للعلم بها بوجه (١) من الوجوه.

س ٢٧٠- اذكر مثالًا لما سبق؟

وصف ربنا سبحانه وتعالىٰ بأنه استوىٰ علىٰ العرش فالاستواء معلوم معناه وهو العلو والارتفاع والاستقرار أما كيف استوىٰ وكيفية استوائه فهذا مجهول بالنسبة لنا ولهذا لما سُئل مالكٌ(٢) وغيره من السلف عن قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه:٥] قالوا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وكذلك قال ربيعة

---

(١) قال العلامة العثيمين رحمه الله: أن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه. وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل، فوجب بطلان تكييفها، وأيضًا فإننا نقول: إن أيَّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك. وأيَّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالىٰ فإنك ستكون كاذبا فيها، لأنه لا علم لك بذلك. «القواعد المثلىٰ».

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة [٦٦٤].

شيخ مالك قبله: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، ومن الله البيان، وعلىٰ رسوله البلاغ، وعلينا الإيمان. فبيَّن أن الاستواء معلوم، وأن كيفية ذلك مجهولة.

س ٢٧١– قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ [آل عمران:٧] **ما علاقة القاعدة الخامسة بهذه الآية؟**

أن القرآن به المحكم وهو الذي علمنا معناه والمراد منه ويدخل في ذلك معاني ألفاظ الصفات كالغضب والضحك والنزول والمجيء ونحوها وكذلك التكليفات الشرعية كوجوب الزكاة وحرمة الربا ونحو ذلك وبه أيضًا المتشابه وهو ما لا يعلم كيفيته ولا حقيقته كنعيم الجنة وكيفية الميزان وحقيقته ومنه كيفية صفات الله تعالىٰ.

س ٢٧٢– اشتملت القاعدة الخامسة علىٰ مسألتين اذكرهما؟

الأولىٰ: أن نصوص الصفات **معلومة** المعنىٰ بمقتضىٰ اللسان العربي المبين ومعانيها محكمة.

الثانية: أن كيفية الصفات مجهولة فهي من المتشابه.

س ٢٧٣– ما الدليل علىٰ أن كيفية الصفات مجهولة؟

الجواب: هو قوله تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ

أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧]، فالآية تدل علىٰ أن في القرآن شيئًا لا يعلم حقيقته وكنهه إلا الله ألا وهو كيفية الصفات والأمور الغيبية.

س٢٧٤ – ما الذي يلزم لزومًا لا انفكاك منه من القاعدة الخامسة؟

يلزم من ذلك ولا بد أن كل ما في القرآن من ألفاظ معلوم المعنىٰ بما دلت عليه لغة العرب وعليه فيبطل مذهب التفويض من أصله وهم الذين يفوضون علم معنىٰ آيات الصفات.

س٢٧٥ – اذكر بعض لوازم مذهب التفويض؟

الجواب: يلزم علىٰ القول بمذهب التفويض لوازم باطلة هي:

أولًا: التنقص من حكمة الله ﷻ.

فمن لوازم القول بالتفويض -أي تفويض المعنىٰ - التنقص من حكمة الله ﷻ وذلك باعتقاد أنه أنزل كتابًا لم يفهمه رسوله ولا أحد من خلقه، أو أنزله علىٰ قوم ليسوا مؤهلين لفهمه، فهذا مناف لحكمة الله ﷻ ومراده من إنزال الكتب وإرسال الرسل، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [إبراهيم:٤]. «والله جل ذكره يتعالىٰ عن أن يخاطب خطابًا أو يرسل رسالة لا توجب فائدة لمن خوطب أو أرسلت إليه، لأن ذلك

فينا مِن فِعْل أهل النقص والعبث، والله تعالىٰ عن ذلك متعال(١).

فكان من لوازم هذا القول: القدح في حكمة الرب من إنزال الكتب وإرسال الرسل.

ثانيًا: تعطيل الصفات:

لأن اعتبار معاني نصوص الصفات مجهولة بالنسبة للمكلفين يلزم منه تعطيلها، فالمفوض لا يثبت لله معنىٰ معينًا يليق بالله ﷻ، وهو بهذا يفوت عليه معرفة أشرف باب من أبواب العلم، ألا وهو العلم بالله ﷻ وصفاته لأن من في قلبه أدنىٰ حياة وطلب للعلم أو همة في العبادة، يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه(٢).

فالذي يتوقف عن البحث في هذا الباب يجعل الجهل بأسماء الله وصفاته بابًا لليقين وليس كذلك، هذا مع أنه يفوت علىٰ نفسه معاني جميلة في القرآن كرحمة الله ﷻ وحبه لعباده المؤمنين ورضاه عنهم ورؤيتهم له، فكل هذه المعاني بالنسبة للمفوض لا يفهم منها شيئًا وظاهرها لا يليق بالله ﷻ علىٰ حد قوله.

غلق باب التدبر لكتاب الله تعالىٰ وهو مخالف لقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون:٦٨].

---

(١) تفسير الطبري [١/ ١١].

(٢) مجموع الفتاوىٰ [٥/ ٨].

ثالثًا: الطعن في الوحي:

- فقد وصف الله القرآن بأنه مبين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء:١٧٤].

- ووصفه بالتفصيل فقال: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت:٣].

- وسمَّاه فرقانًا فقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان:١].

وهذه الأوصاف للقرآن تجعله في أعلىٰ المقامات من البيان والوضوح، فمن ادعىٰ أن فيه ما لا يفهم ولا سبيل لمعرفة مراد الله ﷻ منه، فهذا طعن في القرآن وفي مقاصده، فلا يكون فرقانًا ولا هدىً ولا شفاء إذا كان لا يحصل به التفريق بين الجهل والعلم، وحال الشخص في معرفة الله قبل الوحي كحاله بعده بل أشد من ذلك، فظاهر الوحي لا يفهم منه معنىً يليق بالله ﷻ. وهذا مِن أشنع ما يوصف به كتاب الله ﷻ!

والمقصد من إنزال القرآن أن يعقله الناس كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف:٢]. فهذا التعليل في إنزال الوحي لا يستقيم مع وصفه بأن ظاهره غير مراد والمراد منه غير معلوم للمخاطبين.

رابعًا: اعتقاد تضارب النصوص:

وهذا لازم يلزم أهل التفويض في نصوص الصفات لأنه وردت آيات من القرآن وأحاديث صحاح تثبت صفات الله ﷻ، فاعتقاد أنه لا يراد من المسلم

التسليم بظاهرها ولا معرفة باطنها يلزم منه اعتقاد تضارب نصوص الوحي، وقد التزم بعض المفوضة هذا القول وصرح به حيث قال: «فالمخالف للمذاهب الأربعة ضال ومضل وربما أداه ذلك للكفر، لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر».

فإذا كان ظاهر الوحي الذي يراد منه البيان والهداية، الأخذ به من أصول الكفر فأين يكون الهدىٰ؟!!

ثم هو مع ذلك مناقض لمقصد القرآن ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه:٢]. قال قتادة: «لا والله ما جعله الله شقيًّا ولكن جعله رحمة ونورًا ودليلًا إلىٰ الجنة»(١)

خامسًا: تجهيل الرسول ﷺ وصحابته والتابعين لهم:

وهذا من أشد اللوازم وأخطرها أن يعتقد المفوض للمعنىٰ أن رسول الله ﷺ وصحابته، جهلوا معاني الوحي، فلا يمكن أن يتكلم رسول الله بكلام لا يفهم معناه، أو فهمه ولم يبلغه وطلب من أصحابه عدم اعتقاد ظاهره، ولم يعين لهم الحق الذي ينبغي أن يعتقدوه «ولازم هذه المقالة: أن يكون ترك الناس بلا رسالة: خيرًا لهم في أصل دينهم. لأن مردهم قبل الرسالة وبعدها واحد وإنما الرسالة زادتهم عمىٰ وضلالة»(٢):

فكيف يجوز علىٰ الله تعالىٰ، ثم علىٰ رسوله ﷺ، ثم علىٰ خير الأمة:

---

(١) تفسير الطبري [١٨/ ٢٦٩].

(٢) مجموع الفتاوىٰ [٥/ ١١].

أنهم يتكلمون دائمًا بما هو إما نص وإما ظاهر في خلاف الحق؟! ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط(١).

وهذا القول لازم لهم لزومًا لا محيد عنه أن رسول الله ﷺ كان معزولًا عن التعليم والإخبار بصفات الله، وأن الناس إن تنازعوا في هذا الباب فالرد إلىٰ الله ورسوله لا فرق بينه وبين الرد إلىٰ ما كانوا عليه قبل الإسلام، لأن ظاهر الكتاب في هذا الباب لا يليق بالله والمشكل منه لم يبينه رسول الله ﷺ ولا علَّمه صحابته ولا أحدًا من علماء الأمة، وهذا من أعظم أبواب الصد عن سبيل الله.

ويتبين مما سبق أن القول بالتفويض -أي تفويض المعنىٰ - قول ليس من الحق في شيء لأنه لو لزم عنه لازم واحد من هذه اللوازم لكان كافيًا في تبيين مخالفته للحق فكيف وهي تلزم عنه جميعًا، وهذه المقولة تجعل المسلم **لا** يهتدي بوحي ولا يطمئن بذكر ولا يصل إلىٰ حلاوة الإيمان، وذلك باعتقاده أن ظواهر النصوص في باب الصفات لا تليق بالله، والمعنىٰ اللائق به منها لم يبينه في كتابه ولا علىٰ لسان رسوله ﷺ.

س ٢٧٥- هل مذهب السلف التفويض؟

يردد هذه العبارة بعض المبتدعة وكذبوا فيما نسبوه إلىٰ السلف، والسلف إنما يفوضون علم الكيفية دون علم المعنىٰ. فمعاني ألفاظ القرآن معلومة بما دلت عليه لغة العرب (٢).

---

(١) مجموع الفتاوىٰ [٥/ ١٦].

(٢) قال العلامة العثيمين رحمه الله في شرح العقيدة السفارينية [١/ ٢٩٥]: وقوله: (نُمرّها =⇦

س ٢٧٦- اذكر بعض الأدلة التي تدل علىٰ أن معاني آيات الصفات معلومة؟

ج -**أولًا**: النصوص الآمرة بتدبر الكتاب كله، فلا يمكن التدبر إلا لما يفهم معناه.

= كما أتت في الذكر)، السلف قالوا في آيات الصفات وأحاديثها: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيف. وهذه العبارة لا تدل علىٰ أن السلف يفوضون المعنىٰ، بل الذي تدل عليه أن السلف يثبتون معنىٰ آيات الصفات وأحاديثها، وتدل العبارة علىٰ هذا من وجهين:

الأول: قولهم: (أَمِرُّوها كما جاءت)، ومن المعلوم أنها جاءت ألفاظًا لمعانٍ، ولم تأت ألفاظًا لغير معنىٰ كالحروف الهجائية أبدًا، فإذا أمررناها كما جاءت فمعنىٰ ذلك أننا نثبت اللفظ والمعنىٰ.

والثاني: قولهم: (بلا كيف) يعني بلا تكييف، وهذه أيضًا تدل علىٰ ثبوت المعنىٰ، لأنه لولا ثبوت أصل المعنىٰ ما احتجنا إلىٰ قول بلا كيف، إذ نفي الكيف عما ليس بموجود لغوٌ من القول، وهذا واضح.

فهم أثبتوا المعنىٰ، ووجه ذلك أن نفي التكييف يدل علىٰ ثبوت أصل المعنىٰ؛ لأنه لولا ثبوت أصل المعنىٰ ما احتيج إلىٰ أن نقول بلا تكييف. فالسلف يثبتون لنصوص الصفات معنىٰ، ووالله لولا إثباتنا للمعنىٰ ما ذقنا طعم هذه النصوص في الصفات وفي الأسماء أبدًا، ولو كنت أقرأ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] كما أقرأ «أ-ب-ج» لما استفدت وما ازداد إيماني ومعرفتي بالله أبدًا.

فلولا أني أعرف أن معنىٰ استوىٰ علا علوًّا يليق بجلاله وعظمته لما استفدت، ولهذا كان دعوىٰ عدم إثبات السلف المعنىٰ لآيات الصفات دعوىٰ باطلة، وقدْحًا عظيمًا في السلف، ومهما كان مصدر هذا القول، فهو خطأ.

فإذا كان السلف يثبتون المعنىٰ بلا تكيف صاروا أسلم وأعلم وأحكم، وهذا هو المطلوب. انتهىٰ.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ﴾ [النساء:٨٢]، وجه الاستدلال من الآية أن الاستفهام في الآية للتوبيخ أي توبيخ من لم يتدبر القرآن وكون من لم يتدبر القرآن موبخًا يدل علىٰ أن القرآن يمكن الوصول إلىٰ معناه إذ لو لم يمكن الوصول إلىٰ معناه لم يكن للتوبيخ معنىٰ، ولفظ القرآن في الآية يشمل القرآن كله بلا استثناء ويدخل في ذلك آيات الصفات بلا خلاف وتدبر القرآن واجب علىٰ التعيين بحسب الاستطاعة

ثانيًا: النصوص الدالة علىٰ أن القرآن عربي مما يدل علىٰ أن معانيه مفهومة بلغة العرب.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣﴾ [فصلت:٣].

ثالثًا: النصوص الدالة علىٰ حسن البيان والإيضاح.

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا﴾ [المائدة:١٥].

رابعًا: النصوص الدالة علىٰ ذم من لا يفهم الكتاب مما يدل علىٰ أن معانيه مفهومة

ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾ [النساء:٧٨].

س ٢٧٧– قال تعالىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧]، **وقال تعالىٰ:** ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر:٢٣]، **وقال تعالىٰ:** ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود:١] **دلت الآية الأولىٰ علىٰ أن القرآن احتوىٰ المحكم والمتشابه ودلت الآية الثانية علىٰ أن القرآن كله متشابه ودلت الآية الثالثة علىٰ أن القرآن كله محكم كيف تجمع بين ذلك؟**

قال الشنقيطي رحمه الله تعالىٰ: وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنَّ مَعْنَىٰ كَوْنِهِ كُلِّهِ مُحْكَمًا، أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ أَيِ الْإِتْقَانِ فِي أَلْفَاظِهِ وَمَعَانِيهِ وَإِعْجَازِهِ، أَخْبَارُهُ صِدْقٌ وَأَحْكَامُهُ عَدْلٌ، لَا تَعْتَرِيهِ وَصْمَةٌ وَلَا عَيْبٌ، لَا فِي الْأَلْفَاظِ وَلَا فِي الْمَعَانِي.

وَمَعْنَىٰ كَوْنِهِ مُتَشَابِهًا، أَنَّ آيَاتِهِ يُشْبِهُ بَعْضُهَا بَعْضًا فِي الْحُسْنِ وَالصِّدْقِ، وَالْإِعْجَازِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ جَمِيعِ الْعُيُوبِ، وَمَعْنَىٰ كَوْنِ بَعْضِهِ مُحْكَمًا وَبَعْضِهِ مُتَشَابِهًا، أَنَّ الْمُحْكَمَ مِنْهُ هُوَ وَاضِحُ الْمَعْنَىٰ لِكُلِّ النَّاسِ كَقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ [الإسراء:٣٢]، ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الإسراء:٣٩].

وَالْمُتَشَابِهُ هُوَ مَا خَفِيَ عِلْمُهُ عَلَىٰ غَيْرِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، بِنَاءً عَلَىٰ أَنَّ

الْوَاوَ فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]، عَاطِفَةٌ أَوْ هُوَ مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِعِلْمِهِ، كَمَعَانِي الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ بِنَاءً عَلَىٰ أَنَّ الْوَاوَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ اسْتِئْنَافِيَّةٌ لَا عَاطِفَةٌ. اهـ(١)

س ٢٧٨- ما حكم الوقف علىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]؟

الوقف متوقف علىٰ العلم بالمراد بالتأويل إن أريد بالتأويل معرفة عاقبة الأمور، وما تنتهي إليه وتؤول، تعيّن الوقوف علىٰ «إِلَّا اللهُ» حيث هو تعالىٰ المتفرد بالعلم بالتأويل بهذا المعنىٰ، وإن أريد بالتأويل: معنىٰ التفسير، ومعرفة معنىٰ الكلام، كان العطف أولىٰ فيكون هذا مدحًا للراسخين في العلم، وأنهم يعلمون كيف ينزلون نصوص الكتاب والسنة محكمها ومتشابهها.

س ٢٧٩- ما الحكمة من كون بعض القرآن متشابهًا؟

الجواب: الحكمة من ذلك ابتلاء العباد واختبارهم ليتبين الصادق في إيمانه **الراسخ** في علمه من الشاك الجاهل الزائغ الذي يتبع ما تشابه منه، ليضرب كتاب الله بعضه ببعض فيضل ويضل.

س ٢٨٠- اذكر أقسام التشابه الواقع في القرآن؟

الجواب: ينقسم التشابه الواقع في القرآن إلىٰ قسمين:

---

(١) دفع إيهام الاضطراب [١/ ٣٨].

١ـ حقيقي.   ٢ـ نسبي.

أما الحقيقي فهو: الذي لا يعلمه إلا الله مثل ما أخبر عن نفسه وعن اليوم الآخر، وهذا النوع الذي لا يعلمه إلا الله ولا يسأل عنه لتعذر الوصول إليه.

أما التشابه النسبي فهو: ما يكون متشابهًا علىٰ بعض الناس دون بعض، فيعلم منه الراسخون في العلم ما يخفىٰ علىٰ غيرهم، إما لنقصٍ في علمهم أو قصور في فهمهم **أو** سوء في قصدهم.

س ٢٨١- اذكر الخلاف في تعريف المتشابه والمحكم؟

الجواب: **اختلف** في ذلك علىٰ خمسة أقوال وهي كما يلي:

١ ـ **قيل**: المحكم من استقل بنفسه وظهر معناه، والمتشابه ما احتاج إلىٰ بيان فيدخل فيه **المجمل** وغيره. وهو قول مجاهد واختيار الإمام أحمد والشافعي.

٢ ـ **وقيل**: **المحكم** هو المعمول به، والمتشابه هو المنسوخ. وهو قول ابن عباس وابن مسعود **وغيرهما**.

٣ ـ **وقيل**: المحكم هو ما **فهمه** العلماء، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه كالغيبيات والحروف المقطعة. وهو قول جابر والثوري ورجحه ابن جرير والقرطبي.

٤ ـ **وقيل**: المحكم ما أحكمه الله وفصله كالمواريث والقصص وغيرها، والمتشابه ما اشتبهت الألفاظ فيه.

٥ ـ **وقيل**: الإحكام والتشابه أمران نسبيان من حيث المعنىٰ يفهم بحسب

تفاوت أفهام الناس. وهو اختيار شيخ الإسلام والله تعالىٰ أعلم.

س ٢٨٢- اذكر أوجه تفسير القرآن؟

ج -قال ابن عباس[1] التفسير علىٰ أربعة أوجه:

الأول: تفسير تعرفه العرب من كلامها.

مثال ذلك: معرفة معنىٰ الكهف والنمارق والسرر والأكواب ونحو ذلك فهذا يرجع فيه للغة العرب إذ القرآن نزل بلغتهم.

الثاني: تفسير لا يعذر أحد بأنه يجهله وعليه فلابد أن يتعلمه ويسأل عنه.

مثال ذلك: ما يجب علىٰ العبد أن يفعله من العبادات كالصلاة وصوم رمضان واجتناب المحرمات ونحو ذلك

الثالث: تفسير تعلمه العلماء.

مثال ذلك: الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد والجمع بين النصوص المتعارضة في الظاهر ونحو ذلك فهذا ومثله لا يعلمه كل أحد ولكن يعلمه العلماء.

الرابع: تفسير لا يعلمه إلا الله تعالىٰ ومن ادعىٰ علمه فهو كاذب.

مثال ذلك: حقائق ما أخبر الله تعالىٰ عن نفسه من الأسماء والصفات وكذلك ما أخبر به عن اليوم الآخر كنعيم الجنة وعذاب النار ونحو ذلك فلا أحد يعلم حقيقة يد الله تعالىٰ ولا حقيقة ساقه سبحانه وتعالىٰ ومن ادعىٰ

---

(١) تفسير الطبري [١/ ٧٥].

علمها فهو كذاب أشر.

س ٢٨٣- القرآن الكريم وكذلك السنة المطهرة خبر وأمر فما تأويل الخبر وتأويل الأمر؟

تأويل الخبر وقوعه في الخارج أي في الواقع دليل ذلك قال تعالىٰ عن نبيه يوسف عليه السلام أنه أخبر أباه يعقوب عليه السلام: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف:٤].

فلما تحققت الرؤيا في الواقع قال عليه السلام: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف:١٠٠].

وأما تأويل الأمر فهو الامتثال له والعمل به مثال ذلك ما رواه الشيخان عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ(١).

قال النووي: (يتأول القرآن) أي يفعل ما أمر به فيه أي في قوله عز وجل ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر:٣] جملة وقعت حالًا عن ضمير يقول، أي يقول متأولًا القرآن أي مبينًا ما هو المراد من قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر:٣] فسبح بحمد ربك واستغفره آتيًا بمقتضاه(٢).

---

(١) أخرجه البخاري [٨١٧]، ومسلم [٤٨٤].

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم [٤/ ٢٠١].

س٢٨٤–ما فائدة الاتفاق بين معاني الغائب مع معاني الشاهد؟

ج ـ فائدة هذا الاتفاق هي: فهم الخطاب، ثم بعد فهم الخطاب، يدل الخطاب علىٰ الفارق المميز بين المعنيين، فمثلًا أخبرنا الله تعالىٰ عما في الجنة من أنواع النعيم ثم بيّن الفارق بينهما كما في قوله: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة:١٧]، وقال في الحديث القدسي «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ** ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة:١٧]»(١).

فهذا المعنىٰ المشترك مفهوم لدينا في الدنيا وأما حقيقة ما أخبر به في الآخرة فهو من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالىٰ.

س ٢٨٥– اذكر أمثلة لطوائف ضلت من جهة المتشابه؟

الجواب: الطائفة الأولىٰ: أهل وحدة الوجود: وهي طائفة ادعت التحقيق والتوحيد والمعرفة لله تعالىٰ، وهم أهل الإلحاد القائلون بوحدة الوجود.

الطائفة الثانية: الجهمية والمعتزلة وبعض الفلاسفة توهموا أنه إذا قيل: الموجودات تشترك في مسمىٰ الوجود لزم التشبيه والتركيب.

الطائفة الثالثة: طائفة من الفلاسفة ظنت أنه إذا كانت الموجودات تشترك في مسمىٰ الوجود لزم أن يكون في الخارج عن الأذهان موجود مشترك كلي

---

(١) أخرجه البخاري [٣٢٤٤]، ومسلم [٢٨٢٤] من حديث أبي هريرة.

أي مطلق عن التقييد فقالوا: بالوجود المطلق.

س ٢٨٦- اذكر مذهب أهل وحدة الوجود وأمثلة لأقوالهم؟

ج ـ **مذهبهم**: اعتقاد اتحاد وجود الخالق بالمخلوق حيث زعموا كون الشيئين شيئًا واحدًا، أي أن يكون وجود الكائنات هو عين وجود الله. (١)

---

(١) قال الإمام الذهبي في رسالته العرش (١/ ٨٩): هم الذين لا يميزون الخالق بصفات تميزه عن المخلوق، ويقولون بأن وجود الخالق هو وجود المخلوق. فعلىٰ سبيل المثال هم يقولون بأن الله هو المتكلم بكل ما يوجد من الكلام وفي ذلك يقول ابن عربي:

ألا كـل قـول في الوجـود كلامـه ... سـواء علينـا نثـره ونظامـه

يعـم بـه أسـماع كـل مكـون ... فمنـه إليـه بـدؤه وختامـه

فيزعمون أنه هو المتكلم علىٰ لسان كل قائل. ولا فرق عندهم بين قول فرعون: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤﴾ [النازعات:٢٤]، و﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القصص:٣٨]، وبين القول الذي يسمعه موسىٰ ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤﴾ [طه:١٤] بل يقولون: إنه الناطق في كل شيء، فلا يتكلم إلا هو، ولا يسمع إلا هو، حتىٰ قول مسيلمة الكذاب، والدجال، وفرعون، يصرحون بأن أقوالهم هي قوله).

وهذا قول أصحاب وحدة الوجود كابن عربي، وابن سبعين وابن الفارض، والعفيف التلمساني.

وأصل مذهبهم: أن كل واحد من وجود الحق، وثبوت الخلق يساوي الآخر ويفتقر إليه وفي هذا يقول ابن عربي:

فيعبـدني وأعبـده... ويحمـدني وأحمـده

ويقول: إن الحق يتصف بجميع صفات العبد المحدثات، وإن المحدث يتصف بجميع صفات الرب، وإنهما شيء واحد إذ لا فرق في الحقيقة بين الوجود والثبوت =⇦

=
فهو الموصوف عندهم بجميع صفات النقص والذم والكفر والفواحش والكذب والجهل، كما هو الموصوف عندهم بصفات المجد والكمال فهو العالم والجاهل، والبصير والأعمىٰ، والمؤمن والكافر، والناكح والمنكوح، والصحيح والمريض، والداعي والمجيب، والمتكلم والمستمع، وهو عندهم هوية العالم ليس له حقيقة مباينة للعالم، وقد يقولون لا هو العالم ولا غيره، وقد يقولون: هو العالم أيضًا وهو غيره، وأمثال هذه المقالات التي يجمع فيها في المعنىٰ بين النقيضين مع سلب النقيضين.

وهؤلاء الاتحادية يجمعون بين النفي العام والإثبات العام فعندهم أن ذاته لا يمكن أن تُرىٰ بحال وليس له اسم ولا صفة ولا نعت، إذ هو الوجود المطلق الذي لا يتعين، وهو من هذه الجهة لا يرىٰ ولا اسم له.

ويقولون: إنه يظهر في الصور كلها، وهذا عندهم هو الوجود الاسمي لا الذاتي، ومن هذه الجهة فهو يُرىٰ في كل شيء، ويتجلىٰ في كل موجود، لكنه لا يمكن أن تُرىٰ نفسه، بل تارة يقولون كما يقول ابن عربي: تُرىٰ الأشياء فيه، وتارة يقولون يُرىٰ هو في الأشياء وهو تجليه في الصور، وتارة يقولون كما يقول ابن سبعين:

عين ما ترىٰ ذات لا ترىٰ... وذات لا ترىٰ عين ما ترىٰ

وهم مضطربون لأن ما جعلوه هو الذات عدم محض، إذ المطلق لا وجود له في الخارج مطلقًا بلا ريب، لم يبق إلا ما سموه مظاهر ومجالي، فيكون الخالق عين المخلوقات لا سواها، وهم معترفون بالحيرة والتناقض مع ما هم فيه من التعطيل والجحود وفي هذا يقول ابن عربي:

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيدًا... وإن قلت بالتشبيه كنت محددًا
وإن قلت بالأمرين كنت مسددًا... وكنت إمامًا في المعارف سيدًا
فمن قال بالإشفاع كان مشركًا... ومن قال بالإفراد كان موحدًا
فإياك والتشبيه إن كنت ثانيًا... وإياك والتنزيه إن كنت مفردًا
فما أنت هو بل أنت هو وتراه... في عين الأمور مسرحا ومقيدًا

وسبب ضلال هذه الطائفة أمران:

١ ـ أن الموجودات تشترك في مسمىٰ الوجود فرأوا أن الوجود واحد.

٢ ـ أنهم لم يفرقوا بين الواحد بالعين. وهو الواحد المعين في الخارج الذي يمنع وجوده الشركة فيه فهو غير قابل للتنوع. والواحد بالنوع وهو الكلي الذهني الذي تشترك فيه الأفراد ويقبل التنوع، فإذا وجد في الخارج كان مختصًّا به.

ومذهبهم هذا مذهب باطل متناقض مخالف لمذهب السلف.

ومن أمثلة أقوالهم ما يلي:

١ ـ **قال ابن عربي الصوفي الملحد:** فالإله المطلق لا يسعه شيء لأنه عين الأشياء وعين نفسه، والشيء لا يقال فيه يسع نفسه ولا يسعها فافهم.

وقال:

العبد رب والرب عبد ... يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك رب ... أو قلت رب أنىٰ يكلف

٢ ـ **ابن سبعين ومن أقواله الشنيعة:** «من سمىٰ نفسه الله قال لك: إن كل شيء وجميع من تنادي أنا».

٣ ـ ابن الفارض ومن أقواله عندما يخاطب إلهه:

كلانا مصل واحد ساجد إلىٰ ... حقيقته بالجمع في كل مسجد

س ٢٨٧- عرف ما يلي: الحلول، والاتحاد، وحدة الوجود، مع بيان أنواعها؟

ج ـ الحلول: قسمان عام وخاص:

أـ فالحلول العام: هو اعتقاد أن الله تعالىٰ في كل شيء، وهو اعتقاد الجهمية الأولىٰ القائلين بأن الله في كل مكان بذاته [(١)]. تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

ب ـ والحلول الخاص: هو اعتقاد أن الله تعالىٰ حلّ في بعض مخلوقاته مع إثبات خالق ومخلوق وَهُوَ قَوْلُ النسطورية [(٢)] مِنْ النَّصَارَىٰ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ يَقُولُ إنَّ اللَّاهُوت-أي الله تعالىٰ-حَلَّ فِي النَّاسُوتِ-أي عيسىٰ عليه السلام- وَتَدَرَّعَ بِهِ كَحَوْلِ الْمَاءِ فِي الْإِنَاءِ وَهَؤُلَاءِ حَقَّقُوا كُفْرَ النَّصَارَىٰ؛ بِسَبَبِ

(١) المخالفين لمنهج السلف في مسألة العلو يقولون بأحد قولين حينما يُسئلون عن علو الله سبحانه وتعالىٰ، فبعضهم يقول: الله في كل مكان، وبعضهم يقول: إن الله تعالىٰ لا داخل العالم ولا خارجه! والحقيقة أن هذين القولين باطلان، أما من يقول: إن الله في كل مكان... فلا شك أن هذا القول ينبت منه الحلول الباطل... وحقيقته في النهاية الانتهاء إلىٰ إنكار وجود الله؛ لأن معنىٰ ذلك أنه سبحانه وتعالىٰ ليس له ذات متميزة... وبهذا استدل الأئمة رحمهم الله تعالىٰ، وبينوا به بطلان مذاهب الحلول.

(٢) هي فرقة من فرق النصارىٰ قالوا إن مريم لم تلد الإله إنما ولدت الإنسان وأن الله لم يلد الإنسان إنما ولد الإله، وموطنها في الموصل والعراق وخراسان، وهم منسوبون إلىٰ نسطور وكان بطريركا في القسطنطينية. «ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (١/ ٤٩)».

مُخَالَطَتِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَكَانَ أَوَّلُهُمْ فِي زَمَنِ الْمَأْمُونِ؛ وَهَذَا قَوْلُ مَنْ وَافَقَ هَؤُلَاءِ النَّصَارَىٰ مِنْ غَالِيَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَغَالِيَةِ الرَّافِضَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّهُ حَلَّ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَئِمَّةِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَغَالِيَةِ النُّسَّاكِ الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالْحُلُولِ فِي الْأَوْلِيَاءِ وَمَنْ يَعْتَقِدُونَ فِي الْوِلَايَةِ أَوْ فِي بَعْضِهِمْ: كَالْحَلَّاجِ[1]

(١) **قال الذهبي رحمه الله: سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١٤/ ٣١٣):**

الحَلاَجُ الحُسَيْنُ بنُ مَنْصُوْرِ بنِ مَحْمِيٍّ هُوَ: الحُسَيْنُ بنُ مَنْصُوْرِ بن مَحْمِيٍّ، أَبُو عَبْدِ اللهِ - وَيُقَالُ: أَبُو مُغِيْثٍ - الفَارِسِيُّ، البيضَاوِيُّ، الصُّوْفِيُّ.

تبرَّأَ مِنْهُ سَائِرُ الصُّوْفِيَّة وَالمَشَايِخ وَالعُلَمَاء لِمَا سترَىٰ مِنْ سوء سِيرتِهِ وَمُروقه، وَمِنْهُم مِنْ نَسَبَهُ إِلَىٰ الحُلول، وَمِنْهُم مَنْ نَسَبَهُ إِلَىٰ الزَّنْدَقَةِ، وَإِلَىٰ الشَّعْبَذَةِ وَالزَّوكرَة، وَقَدْ تَسْتَّر بِهِ طَائِفَةٌ مِنْ ذوِي الضَّلال وَالانحلال، وَانتحلُوهُ وَروَّجُوا بِهِ عَلَىٰ الجُهَّال.

نَسْأَلُ اللهَ العِصْمَةَ فِي الدِّين.

قال عنه ولده: كَانَ يَلْبس المُسوح، وَوقتًا يَلْبس الدُّرَّاعَة وَالعِمَامَة وَالقَبَاء، وَوقتًا يَمْشِي بِخِرْقَتين، فَأَوَّل مَا سَافر مِنْ تُسْتَر إِلَىٰ البَصْرَةِ كَانَ لَهُ ثَمَان عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ عَمْرو المَكِّيّ، فَأَقَامَ مَعَهُ ثَمَانيَةَ عشرَ شَهْرًا، ثُمَّ إِلَىٰ الجُنَيْد، ثُمَّ وَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُنَيْد لأَجل مَسْأَلَة، وَنسبه الجُنَيْد إِلَىٰ أَنَّهُ مُدَّعٍ، فَاسْتوحَش، وَرَجَعَ إِلَىٰ تُسْتَر، فَأَقَامَ سنَة، وَوَقَعَ لَهُ القَبول التَّامّ،

وَقَالَ السُّلَمِيُّ: إِنَّمَا قِيْلَ لَهُ: الحَلاَج لأَنَّه دَخَلَ وَاسطًا إِلَىٰ حلاَج، وَبعثَه فِي شُغل، فَقَالَ: أَنَا مَشْغُوْل بِصَنْعَتِي.

فَقَالَ: اذهبْ أَنْتَ حَتَّىٰ أُعينك، فَلَمَّا رَجَعَ وَجد كُلَّ قُطْنٍ عِنْدَهُ محلوجًا.

قَالَ إِبْرَاهِيْمُ بنُ عُمَرَ بنِ حَنْظَلَةَ الوَاسِطِيُّ السَّمَّاك، عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ:

=⇦

=
دَخَلَ الحُسَيْنُ بنُ مَنْصُوْرٍ وَاسطًا، فَاسْتقبله قَطَّان، فكلَّفه الحُسَيْنُ إِصْلاح شغله وَالرَّجُلُ يتثَاقل فِيْهِ، فَقَالَ: اذهبْ فَإِنِّي أُعينك.

فَذَهَبَ، فَلَمَّا رَجعَ، رَأَىٰ كُلَّ قُطْن عِنْدَهُ محلوجًا مندوفًا، وَكَانَ أَرْبَعَةً وَعِشْرِيْنَ أَلْفَ رَطْل.

وَقِيْلَ: بَلْ لتكلُّمه عَلَىٰ الأَسرَار.

وَقِيْلَ: كَانَ أَبُوْهُ حلاَجًا.

وَقَالَ أَبُو نَصْرٍ السَّرَّاج: صَحِبَ الحَلاَجُ عَمْرو بنَ عُثْمَانَ، وَسرقَ مِنْهُ كتبًا فِيْهَا شَيْءٌ مِنْ علم التصوُّف، فَدَعَا عَلَيْهِ عَمْرو: اللَّهُمَّ اقطَعْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ الوَلِيْدِ: كَانَ المَشَايِخُ يَسْتَثقلُوْنَ كلامَه، وَينَالُوْنَ مِنْهُ لأَنَّه كَانَ يَأْخذ نَفْسَه بِأَشيَاء تُخَالف الشَّريعَة، وَطَرِيْقَة الزُّهَّاد، وَكَانَ يدَّعِي المحبَّة للهِ، وَيظهر مِنْهُ مَا يخَالف دعوَاهُ.

قُلْتُ: وَلا ريبَ أَنَّ اتِّبَاع الرَّسُول ﷺ علمٌ لمحبَّة الله لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١].

قَالَ ابْنُ النَّدِيْم: قَرَأْتُ بخَطِّ عُبَيْدِ اللهِ بنِ أَحْمَدَ بنِ أَبِي طَاهِرٍ: كَانَ الحَلاَج مشعبذًا محتَالًا، يتعَاطَىٰ التصرُّف، وَيدَّعِي كُلَّ علم، وَكَانَ صِفْرًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ يَعْرِف فِي الكيمِيَاء، وَكَانَ مِقْدَامًا جسورًا عَلَىٰ السَّلاطين، مرتكبًا لِلْعظَائِم، يروم إِقلاب الدُّول، وَيدَّعِي عِنْد أَصْحَابه الإِلهيَّة، وَيَقُوْلُ بالحُلول، وَيُظهر التَّشَيُّع لِلْمُلُوْك، وَمَذَاهِبَ الصُّوْفِيَّة لِلْعَامَّة، وَفِي تضَاعِيف ذَلِكَ يَدَّعِي أَنَّ الإِلهيَّة حلَّت فِيْهِ، تَعَالَىٰ الله وَتَقَدَّسَ عَمَّا يَقُوْلُ.

قَالَ التَّنُوْخِيّ: أَخْبَرَنَا أَبِي، قَالَ: مِنْ مخَاريق الحَلاَج أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا وَمَعَهُ مَنْ يَتَنَمَّس عَلَيْهِ وَيَهُوسُهُ، قَدِمَ قَبْل ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابه الَّذِيْنَ يَكْشِفُ لَهُم الأَمْر، ثُمَّ
=

=
يمضي إِلَىٰ الصَّحرَاء، فَيَدْفِنُ فِيهَا كَعْكًا، وَسُكَّرًا، وَسَوِيقًا، وَفَاكِهَةً يَابسَة، وَيُعَلِّمُ عَلَىٰ مَوَاضِعهَا بِحجر، فَإِذَا خَرَجَ القَوْم وَتَعِبُوا قَالَ أَصْحَابُهُ: نريدُ السَّاعَة كَذَا وَكَذَا. فينفردُ وَيُرِي أَنَّهُ يدعُو، ثُمَّ يَجِيْءُ إِلَىٰ المَوْضِعِ فَيُخْرِجُ الدَّفين الْمَطْلُوب مِنْهُ.
أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ الجَمُّ الغَفير، وَأَخبرُونِي قَالُوا: رُبَّمَا خَرَجَ إِلَىٰ بِسَاتينِ البَلَد، فيقدِّم مَنْ يَدْفِنُ الفَالوذَجَ الحَارَّ فِي الرُّقَاق، وَالسَّمك السُّخن فِي الرُّقَاق، فَإِذَا خَرَجَ طلبَ مِنْهُ الرَّجُل – فِي الحَال – الَّذِي دَفنه، فيُخْرِجه هُوَ.
وَعَنْ عُثْمَانَ بنِ مُعَاوِيَةَ – قَيِّم جَامِعِ الدِّيْنَوَرِ – قَالَ:
بَاتَ الحُسَيْنُ بنُ مَنْصُوْرٍ فِي هَذَا الجَامِعِ وَمَعهُ جَمَاعَةٌ، فَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنْهُم، فَقَالَ: يَا شَيْخُ! مَا تَقُوْلُ فِيْمَا قَالَ فِرْعَوْنُ؟
قَالَ: كَلِمَةَ حَقٍّ.
قَالَ: فَمَا تَقُوْلُ فِيْمَا قَالَ مُوْسَىٰ عليه السلام؟
قَالَ: كَلِمَةُ حَقٍّ؛ لأَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ جَرَتَا فِي الأَبَدِ كَمَا أُجْرِيَتَا فِي الأَزَلِ.
وَعَنِ الحُسَيْنِ، قَالَ: الكُفْرُ وَالإِيْمَانُ يَفْتَرِقَانِ مِنْ حَيْثُ الاسْمُ، فَأَمَّا مِنْ حَيْثُ الحَقِيْقَةُ، فَلا فَرْقَ بَيْنَهُمَا.
عَنْ جُنْدُبِ بنِ زَاذَانَ – تِلْمِيْذِ الحُسَيْنِ – قَالَ:
كَتَبَ الحُسَيْنُ إِلَيَّ: بِسْمِ اللهِ المتجلِّي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ لِمَنْ يشَاءُ، وَالسَّلامُ عَلَيْكَ يَا وَلدِي، سَتَرَ اللهُ عَنْكَ ظَاهِرَ الشَّرِيعَةِ، وَكَشَفَ لَكَ حَقِيْقَةَ الكُفْرِ، فَإِنَّ ظَاهِرَ الشَّرِيعَةِ كُفْرٌ، وَحَقِيْقَةَ. الكُفْرِ مَعْرِفَةٌ جَلِيَّةٌ، وَإِنِّيْ أُوصِيكَ أَنْ لا تَغتَرَّ بِاللهِ، وَلا تَأْيَسْ مِنْهُ، وَلا تَرْغَبْ فِي مَحَبَّتِه، وَلا تَرضَىٰ أَنْ تَكُونَ غَيْرَ مُحِبٍّ، وَلا تَقُلْ بِإِثبَاتِه، وَلا تَمِلْ إِلَىٰ نَفيِهِ، وَإِيَّاكَ وَالتَّوحِيدَ، وَالسَّلامَ.
وَعَنْهُ، قَالَ: مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الإِيْمَانِ وَالكُفْرِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ لَمْ يُفرِّقْ بَيْنَ المُؤْمِنِ
=

=
وَالكَافِرِ، فَقَدْ كَفَرَ.

وَعَنْهُ قَالَ: مَا وَحَّدَ اللهَ غَيْرُ اللهِ.

وسُئل شيخ الإسلام ﵀ عن الحلاج فقال: الفتاوىٰ الكبرىٰ لابن تيمية (٣/ ٤٨٠)

الْحَلَّاجُ قُتِلَ عَلَىٰ الزَّنْدَقَةِ، الَّتِي ثَبَتَتْ عَلَيْهِ بِإِقْرَارِهِ، وَبِغَيْرِ إِقْرَارِهِ؛ وَالْأَمْرُ الَّذِي ثَبَتَ عَلَيْهِ لِمَا يُوجِبُ الْقَتْلَ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ قُتِلَ بِغَيْرِ حَقٍّ فَهُوَ إِمَّا مُنَافِقٌ مُلْحِدٌ، وَإِمَّا جَاهِلٌ ضَالٌّ. وَالَّذِي قُتِلَ بِهِ مَا اسْتَفَاضَ عَنْهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ، وَبَعْضُهُ يُوجِبُ قَتْلَهُ؛ فَضْلًا عَنْ جَمِيعِهِ. وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُتَّقِينَ؛ بَلْ كَانَ لَهُ عِبَادَاتٌ وَرِيَاضَاتٌ وَمُجَاهَدَاتٌ: بَعْضُهَا شَيْطَانِيٌّ، وَبَعْضُهَا نَفْسَانِيٌّ، وَبَعْضُهَا مُوَافِقٌ لِلشَّرِيعَةِ مِنْ وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ. فَلَبَّسَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ.

وَكَانَ قَدْ ذَهَبَ إِلَىٰ بِلَادِ الْهِنْدِ، وَتَعَلَّمَ أَنْوَاعًا مِنْ السِّحْرِ، وَصَنَّفَ كِتَابًا فِي السِّحْرِ مَعْرُوفًا، وَهُوَ مَوْجُودٌ إِلَىٰ الْيَوْمِ، وَكَانَ لَهُ أَقْوَالٌ شَيْطَانِيَّةٌ، وَمَخَارِيقُ بُهْتَانِيَّةٌ. وَقَدْ جَمَعَ الْعُلَمَاءُ أَخْبَارَهُ فِي كُتُبٍ كَثِيرَةٍ أَرَّخُوهَا الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِهِ، وَالَّذِينَ نَقَلُوا عَنْهُمْ مِثْلُ أَبِي عَلِيٍّ الْحُطِّيِّ ذَكَرَهُ فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ «وَالْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْخَطِيبُ ذَكَرَ لَهُ تَرْجَمَةً كَبِيرَةً فِي تَارِيخِ بَغْدَادَ» وَأَبُو يُوسُفَ الْقَزْوِينِيُّ صَنَّفَ مُجَلَّدًا فِي أَخْبَارِهِ، وَأَبُو الْفَرَجِ بْنُ الْجَوْزِيِّ لَهُ فِيهِ مُصَنَّفٌ سَمَّاهُ «رَفْعُ اللَّجَاجِ فِي أَخْبَارِ الْحَلَّاجِ».

وَبَسَطَ ذِكْرَهُ فِي تَارِيخِهِ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ» أَنَّ كَثِيرًا مِنْ الْمَشَايِخِ ذَمُّوهُ وَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ، وَلَمْ يَعُدُّوهُ مِنْ مَشَايِخِ الطَّرِيقِ؛ وَأَكْثَرُهُمْ حَطَّ عَلَيْهِ. وَمِمَّنْ ذَمَّهُ وَحَطَّ عَلَيْهِ أَبُو الْقَاسِمِ الْجُنَيْدُ؛ وَلَمْ يُقْتَلْ فِي حَيَاةِ الْجُنَيْدِ؛ بَلْ قُتِلَ بَعْدَ مَوْتِ الْجُنَيْدِ؛ فَإِنَّ الْجُنَيْدَ تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ.

وَالْحَلَّاجُ قُتِلَ سَنَةَ بِضْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَقَدِمُوا بِهِ إِلَىٰ بَغْدَادَ رَاكِبًا عَلَىٰ جَمَلٍ يُنَادَىٰ =

وَيُونُسَ (١) وَالْحَاكِم ....

= عَلَيْهِ: هَذَا دَاعِي الْقَرَامِطَةِ، وَأَقَامَ فِي الْحَبْسِ مُدَّةً حَتَّىٰ وُجِدَ مِنْ كَلَامِهِ الْكُفْرُ وَالزَّنْدَقَةُ، وَاعْتَرَفَ بِهِ: مِثْلُ أَنَّهُ ذَكَرَ فِي كِتَابٍ لَهُ: مَنْ فَاتَهُ الْحَجُّ فَإِنَّهُ يَبْنِي فِي دَارِهِ بَيْتًا وَيَطُوفُ بِهِ، كَمَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، وَيَتَصَدَّقُ عَلَىٰ ثَلَاثِينَ يَتِيمًا بِصَدَقَةٍ ذَكَرَهَا، وَقَدْ أَجْزَأَهُ ذَلِكَ عَنْ الْحَجِّ. فَقَالُوا لَهُ: أَنْتَ قُلْت هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالُوا لَهُ: مِنْ أَيْنَ لَك هَذَا؟ قَالَ ذَكَرَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي «كِتَابِ الصَّلَاةِ» فَقَالَ لَهُ الْقَاضِي أَبُو عُمَرَ: تَكْذِبُ يَا زِنْدِيقُ، أَنَا قَرَأْت هَذَا الْكِتَابَ وَلَيْسَ هَذَا فِيهِ، فَطَلَبَ مِنْهُمْ الْوَزِيرُ أَنْ يَشْهَدُوا بِمَا سَمِعُوهُ، وَيُفْتُوا بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ، فَاتَّفَقُوا عَلَىٰ وُجُوبِ قَتْلِهِ. ا هـ....

(١) **قال الذهبي** ؒ: هو يُوْنُسُ بنُ يُوْسُفَ بنِ مُسَاعِدٍ الشَّيْبَانِيُّ المُخَارِقِيُّ الجَزَرِيُّ، القُنَيِّيُّ (قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ دَارَا)، الزَّاهِدُ، أَحَدُ الأَعْلامِ، شَيْخُ اليُونُسِيَّةِ، أُولِي الزَّعَارَةِ، وَالشَّطْحِ، وَالخَوَاثَةِ (استرخاء الطبن)، وَخِفَّةِ العَقْلِ. كَانَ ذَا كَشْفٍ وَحَالٍ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ كَبِيْرُ عِلْمٍ، وَلَهُ شطحٌ وَشعرٌ ملحُوْنٌ، يَنظمُهُ عَلَىٰ لِسَانِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَبَعْضُهُ كَأَنَّهُ كَذِبٌ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِسِرِّهِ، فَلا يغترُّ المُسْلِمُ بكشفٍ وَلا بحَالٍ وَلا بِإِخبَارٍ عَنْ مُغَيَّبٍ، فَابْنُ صَائِدٍ (الذي كان علىٰ عهد رسول الله)، وإِخْوَانُهُ الكهنَةُ لَهُم خَوَارِقُ، وَالرُّهبَانُ فِيهِم مَنْ قَدْ تمزَّقَ جوعًا وَخلوَةً وَمرَاقبَةً عَلَىٰ غَيْرِ أَسَاسٍ وَلا توحيدٍ، فَصفَتْ كُدُورَاتُ أَنْفُسِهِم، وَكَاشفُوا، وَفَشَرُوا، وَلا قُدْوَةَ إِلاَّ فِي أَهْلِ الصَّفْوَةِ، وَأَربَابِ الوِلايَةِ المنوطَةِ بِالعِلْمِ وَالسُّنَنِ، فنسأَلُ اللهَ إِيْمَانَ المُتَّقِيْنَ، وَتَأَلُّهَ المخلصينَ، فَكَثِيْرٌ مِنَ المَشَايِخِ نَتوقَّفُ فِي أَمرِهِم حَتَّىٰ يَتبرهَنُ لَنَا أَمرُهُم، وَبِاللهِ الاسْتِعَانَةُ. تُوُفِّيَ الشَّيْخُ يُوْنُسُ: بِالقُنَيَّةِ، سَنَة تِسْعَ عَشْرَةَ وَسِتِّ مائَةٍ. ا هـ.. [سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٢٢/ ١٧٨)].

وَنَحْوِ هَؤُلَاءِ(١)، وجاء بعدهم طوائف من المعتزلة والجهمية سلكوا مسلك حلول الذات الإلهية في من يشاء من البشر (٢)، وكاعتقاد طوائف من الصوفية أن الله يحل في بعض مشايخهم.

الاتحاد: قسمان عام وخاص:

أ-الاتحاد العام: هو اعتقاد اتحاد وجود الخالق بالمخلوق. (٣)

---

(١) مجموع الفتاوىٰ [٢/ ١٧١].

(٢) وقد نزغ بذلك بعض أهل الضلال من حلولية الجهمية، والصوفية كما جاء ذلك في «فصوص ابن عربي»، و«فتوحاته المكية»، وممن ذهب إلىٰ ذلك -أيضًا-: ابن سبعين، والحلاج، وغيرهم من أرباب أهل الحلول والاتحاد؛ ولهذا يروىٰ عن بعضهم أنه قال: ما في الجبة إلا أنا، وما في الجبة إلا الله -تعالىٰ الله عن ذلك-. والتفت أحدهم إلىٰ تلاميذه، وقال: لا إله إلا أنا. فاعبدون. -تعالىٰ الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-؛ لأنه يزعم أن الله حال في ذاته. «ينظر: شرح الفتوىٰ الحموية، د. حمد ابن عبد المحسن بن أحمد التويجري (ص ٣٩٤)».

(٣) **قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوىٰ** (٢/ ١٧٢): وَهُوَ قَوْلُ هَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ عَيْنُ وُجُودِ الْكَائِنَاتِ وَهَؤُلَاءِ أَكْفَرُ مِنْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ وَجْهَيْنِ: مِنْ جِهَةِ أَنَّ أُولَئِكَ قَالُوا إنَّ الرَّبَّ يَتَّحِدُ بِعَبْدِهِ الَّذِي قَرَّبَهُ وَاصْطَفَاهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُونَا مُتَّحِدَيْنِ وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: مَا زَالَ الرَّبُّ هُوَ الْعَبْدُ وَغَيْرُهُ مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَ هُوَ غَيْرَهُ. وَالثَّانِي مِنْ جِهَةِ أَنَّ أُولَئِكَ خَصُّوا ذَلِكَ بِمَنْ عَظَّمُوهُ كَالْمَسِيحِ وَهَؤُلَاءِ جَعَلُوا ذَلِكَ سَارِيًا فِي الْكِلَابِ وَالْخَنَازِيرِ وَالْأَقْذَارِ وَالْأَوْسَاخِ وَإِذَا كَانَ اللهُ تَعَالَىٰ قَدْ قَالَ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:٧٢] الْآيَةَ. فَكَيْفَ بِمَنْ قَالَ: إنَّ اللهَ هُوَ الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ وَالصِّبْيَانُ وَالْمَجَانِينُ وَالْأَنْجَاسُ =

=

والأنتان وَكُلُّ شَيْءٍ وَإِذَا كَانَ اللهُ قَدْ رَدَّ قَوْلَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ لَمَّا قَالُوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨]، وَقَالَ لَهُمْ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة:١٨] الْآيَةَ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَزْعُمُ أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ هُمْ أَعْيَانُ وُجُودِ الرَّبِّ الْخَالِقِ لَيْسُوا غَيْرَهُ وَلَا سِوَاهُ؟ وَلَا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُعَذِّبَ اللهُ إِلَّا نَفْسَهُ؟ وَأَنَّ كُلَّ نَاطِقٍ فِي الْكَوْنِ فَهُوَ عَيْنُ السَّامِعِ؟ كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا**» وَأَنَّ النَّاكِحَ عَيْنُ الْمَنْكُوحِ حَتَّىٰ قَالَ شَاعِرُهُمْ:

وَتَلْتَذُّ إِنْ مَرَّتْ عَلَىٰ جَسَدِي يَدِي... لِأَنِّي فِي التَّحْقِيقِ لَسْت سِوَاكُمْ

وَاعْلَمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَمَّا كَانَ كُفْرُهُمْ - فِي قَوْلِهِمْ: إنَّ اللهَ هُوَ مَخْلُوقَاتُهُ كُلُّهَا - أَعْظَمَ مِنْ كُفْرِ النَّصَارَىٰ بِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]، وَكَانَ النَّصَارَىٰ ضُلَّالًا أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ مَذْهَبَهُمْ فِي التَّوْحِيدِ إذْ هُوَ شَيْءٌ مُتَخَيَّلٌ لَا يُعْلَمُ وَلَا يُعْقَلُ حَيْثُ يَجْعَلُونَ الرَّبَّ جَوْهَرًا وَاحِدًا ثُمَّ يَجْعَلُونَهُ ثَلَاثَةَ جَوَاهِرَ وَيَتَأَوَّلُونَ ذَلِكَ بِتَعَدُّدِ الْخَوَاصِّ وَالْأَشْخَاصِ الَّتِي هِيَ الْأَقَانِيمُ وَالْخَوَاصُّ عِنْدَهُمْ لَيْسَتْ جَوَاهِرَ فَيَتَنَاقَضُونَ مَعَ كُفْرِهِمْ. كَذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْمَلَاحِدَةُ الِاتِّحَادِيَّةُ ضُلَّالٌ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ قَوْلَ رُءُوسِهِمْ وَلَا يَفْقَهُونَهُ وَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالنَّصَارَىٰ كُلَّمَا كَانَ الشَّيْخُ أَحْمَقَ وَأَجْهَلَ كَانَ بِاللهِ أَعْرَفَ وَعِنْدَهُمْ أَعْظَمَ. وَلَهُمْ حَظٌّ مِنْ عِبَادَةِ الرَّبِّ الَّذِي كَفَرُوا بِهِ كَالنَّصَارَىٰ هَذَا مَا دَامَ أَحَدُهُمْ فِي الْحِجَابِ فَإِذَا ارْتَفَعَ الْحِجَابُ عَنْ قَلْبِهِ وَعَرَفَ أَنَّهُ هُوَ: فَهُوَ بِالْخِيَارِ بَيْنَ أَنْ يُسْقِطَ عَنْ نَفْسِهِ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَيَبْقَىٰ سُدًى يَفْعَلُ مَا أَحَبَّ وَبَيْنَ أَنْ يَقُومَ بِمَرْتَبَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ لِحِفْظِ الْمَرَاتِبِ؛ وَلِيَقْتَدِيَ بِهِ النَّاسُ الْمَحْجُوبُونَ وَهُمْ غَالِبُ الْخَلْقِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا كَذَلِكَ إذْ عَدُّوهُمْ كَامِلِينَ. انتهىٰ من مجموع الفتاوىٰ.

ب-**الِاتِّحَادُ الْخَاصُّ**: هو اعتقاد أن الله تعالىٰ اتحد ببعض مخلوقاته وَهُوَ قَوْلُ يَعْقُوبِيَّةِ النَّصَارَىٰ وَهُمْ أَخْبَثُ قَوْلًا وَهُمْ السُّودَانُ وَالْقِبْطُ يَقُولُونَ: إنَّ اللَّاهُوتَ وَالنَّاسُوتَ اخْتَلَطَا وَامْتَزَجَا كَاخْتِلَاطِ اللَّبَنِ بِالْمَاءِ وَهُوَ قَوْلُ مَنْ وَافَقَ هَؤُلَاءِ مِنْ غَالِيَةِ. الْمُنْتَسِبِينَ إلَىٰ الْإِسْلَامِ. (١)(٢)

---

(١) دين النصارىٰ أساسه أن الإله هو الأب والابن وروح القدس، ثم اختلفوا في معنىٰ هذا الكلام، فبعضهم قال: إن الأب والابن والروح القدس عبارة عن صفات، مثل: أن تكون طويلًا، وأبيض، وسمينًا -مثلًا-أو نحيفًا، فهذه ثلاث صفات وأنت واحد.

فبعضهم قال: إن الأب والابن وروح القدس عبارة عن ثلاث صفات في إله واحد، وهذا قول أكثر النصارىٰ، وهو قول اليعقوبية خاصة، ويقصد بالسودان نصارىٰ السودان، وبالقبط النصارىٰ الموجودين في مصر، فقولهم هو أن اللاهوت -ويقصدون به الله سبحانه وتعالىٰ-، والناسوت -ويقصدون به الجسد الإنساني، وهو عيسىٰ عليه السلام اختلطا هذا الاختلاط مثل اختلاط الماء مع اللبن، فهل تستطيع أن تفرق بين الماء واللبن؟! فلو أخذت نصف كأس ماء ووضعت عليه نصف كأس لبن ومزجتهما سيخرج لك شيء ثالث ليس بماء ولا لبن، فلا تستطيع أن تقول: إنه ماء مائة في المائة، ولا تستطيع أن تقول: إنه لبن مائة في المائة، فهم يرون أن الله اختلط بالمسيح عيسىٰ ابن مريم اختلاطًا لا يمكن معه التفريق بينهما.

ولا شك في أن هذا القول من أخبث الأقوال.

(٢) **قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٤٨١)**

«وَبِالْجُمْلَةِ فَلَا خِلَافَ بَيْنِ الْأُمَّةِ أَنَّ مَنْ قَالَ بِحُلُولِ اللهِ فِي الْبَشَرِ وَاتِّحَادِهِ بِهِ وَأَنَّ الْبَشَرَ يَكُونُ إلَهًا وَهَذَا مِنْ الْآلِهَةِ: فَهُوَ كَافِرٌ مُبَاحُ الدَّمِ وَعَلَىٰ هَذَا قُتِلَ الْحَلَّاجُ».

وقال أيضًا: «ليس هناك ثمة كفر أعظم من هذا الكفر، ولا إلحاد أعظم من هذا الإلحاد؛ لأن هذا الكلام، أو هذا الاعتقاد يلزم عليه. أنه ليس هناك ثمة شرك علىٰ =⇦

وحدة الوجود: هو كون الشيئين شيئًا واحدًا، أي أن يكون وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالىٰ. وهو اعتقاد اتحاد وجود الخالق بالمخلوق.

ﮋ◊ﮊ

=

وجه الأرض، فكل ما عبد من دون الله فهو عبادة لله علىٰ حد قول هؤلاء، فالذين عبدوا العجل قالوا: ما عبدوا إلا الله، الذين عبدوا الأصنام، الذين عبدوا عزير، الذين عبدوا المسيح، الذين عبدوا الأشجار، والذين عبدوا الأحجار، وأي شرك أعظم من هذا الشرك؟ وأي كفر أعظم من هذا الكفر؟ يقول: وقد نزغ بذلك بعض أهل الضلال فزعموا أن الله -تعالىٰ-في كل شيء بنفسه كائنًا كما هو في العرش. يزعمون أن الله فوق العرش وفي كل مكان، في هذا المسجد، في السوق، في السيارة؛ حتىٰ في الحشوش - تعالىٰ الله عن ذلك -». نقلًا عن شرح الفتوىٰ الحموية، د. حمد التويجري (١/ ٣٩٤).

فصل

[القاعدة السادسة: بيان الضابط الذي تُعرف به الطرق الصحيحة والباطلة في النفي والإثبات]

س٢٨٨ – بيِّن معاني المفردات الآتية مع التمثيل: الترادف ـ الاشتراك اللفظي ـ التواطؤ ـ التباين؟

ج ـ **الترادف**: اختلاف اللفظ واتحاد المعنىٰ. كالأسد والليث والهزبر كلها دالة علىٰ مسمىٰ واحد.

الاشتراك اللفظي: اتحاد اللفظ واختلاف المعنىٰ كالعين تستعمل للعين الجارية وللجاسوس وعين الشمس وعين الركبة والعين الباصرة وغيرها.

التواطؤ: اتفاق اللفظ والمعنىٰ ـ نور الشمس ونور القمر.

التباين: اختلاف اللفظ والمعنىٰ مثل السماء والأرض.

س ٢٨٩– كيف رد منكرو الصفات علىٰ اليهود في وصفهم الله تعالىٰ بهذه النقائص؟

قالوا: إن إثبات هذه الصفات يلزم منه التجسيم والأجسام متماثلة والله ليس كمثله شيء وعليه ننفىٰ هذه الأشياء عن الله تعالىٰ.

س ٢٩٠– هل رد منكرو الصفات علىٰ اليهود صحيح؟

ليس بصحيح ووجه ذلك أن إثبات الصفات لا يلزم منه التجسيم ولا

التحيز.

س ٢٩١- إذا ما الرد الصحيح علىٰ ما قاله اليهود في حق الله تعالىٰ؟

نقول أن انتفاء هذه النقائص «الرمد -البكاء - وعيادة الملائكة له» عن الله تعالىٰ أبين وأظهر من انتفاء التحيز والتجسيم لأن وصفه بهذه النقائص أظهر فسادًا من وصفه بالتحيز والتجسيم علىٰ فرض صحة إلزامهم بأن إثبات الصفات يلزم منه التحيز والتجسيم.

ووجه آخر أن وصف الله بالجسم إن أراد بالجسم أن الله تعالىٰ قائم بنفسه وله من صفات الكمال ما يليق به فهذا حق وكذلك إن أراد بالتحيز المنحاز عن خلقه البائن منهم فهذا أيضًا حق أما القول بأن الله تعالىٰ بكىٰ علىٰ الطوفان حتىٰ رمد فهذا ليس فيه تفصيل لأنه كله نقص.

س ٢٩٢- فإن قال قائل من اليهود إن إثبات هذه الصفات لله تعالىٰ لا يلزم منه التجسيم ولا التحيز عندنا فما الرد عليهم؟

الرد أن هذه صفات نقص بكل وجه لا يصلح فيها التفصيل والله ﻷ منزه عن كل نقص.

قال العلامة العثيمين[1]: [وإذا كانت الصفة نقصًا لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله].

وذلك مثل الجهل والعجز والموت والصمم والعي ونحو ذلك، كل هذه

(١) شرح القواعد المثلىٰ [١/ ١٩].

صفات نقص يجب نفيها عن الله. ولهذا لما وصفه اليهود بصفات النقص عاقبهم الله ﷻ، فعندما قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤]، قال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]، ولما وصفوه بالفقر وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١]، قال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران:١٨١].

فعاقبهم الله ﷻ بأن جعل مصيرهم العذاب المحرق، والله ﷻ قد نزه نفسه عن النقائص والعيوب جميعًا

س ٢٩٣– ما الذي يلزم منكرو الصفات من خلال ردهم علىٰ اليهود؟

يلزم من ذلك أننا نستدل بالأخفىٰ علىٰ الأظهر ووجه ذلك أن انتفاء الرمد والبكاء عن الله تعالىٰ أظهر وأبين من انتفاء التحيز والتجسيم وهذا الإلزام لا مفر منه وهو معلوم البطلان بصريح المعقول

قال شيخ الإسلام: فلا يجوز أن يُستدل علىٰ الأظهر الأبين بالأخفىٰ، كما لا يُفعل مثل ذلك في الحدود(١).

س٢٩٤ – ما الذي ترتب علىٰ رد منكري الصفات علىٰ اليهود؟

ترتب علىٰ ذلك نفي صفات الكمال الثابتة لله تعالىٰ بحجة أن إثباتها يلزم منه التجسيم فقالوا أن إثبات الوجه لله تعالىٰ والاستواء يلزم منه التجسيم

(١) التدمرية [١/ ١٣٣].

فينفى، والقاعدة في ذلك أن كل طريقة لا تميز بين ما يجب لله تعالىٰ وما يمتنع عنه فليست طريقة سليمة.

فباب الأسماء والصفات من الأمور الغيبية التي لا تدرك بالعقل، فلا يستقل العقل بمعرفة ما يجب لله ﷻ وما يمتنع عليه.

س ٢٩٥- هل كل ما ثبت من كمال للمخلوق ثبت لله تعالىٰ؟

لا. فقد يكون كمالًا للمخلوق ولا يُعد كمالًا لله تعالىٰ.

مثال ذلك النوم والأكل والشرب والنكاح في المخلوق كمال لأن الذي لا ينام به عيب وهذه الأشياء نقص في حق الله تعالىٰ.

س ٢٩٦- هل كل نقص للمخلوق يُعد نقصًا لله تعالىٰ؟

لا فقد يكون هذا الذي يعد نقصًا للمخلوق كمالًا في حق الله تعالىٰ مثال ذلك التكبر نقص في حق المخلوق وكمال في حق الخالق.

س ٢٩٧- ماذا لو كان الكمال في المخلوق وثبت في أصله للخالق؟

الله ﷻ أولىٰ بهذا الكمال علىٰ الإطلاق مثال ذلك السمع كمال للمخلوق ولكن للخالق الكمال المطلق وكذلك أيضًا إن كان نقصًا ينزه عنه المخلوق وثبت أنه نقص لله تعالىٰ فالله تعالىٰ أولىٰ بالتنزيه مثال ذلك العمىٰ والصمم الله تعالىٰ أشد تنزها.

فإن قال قائل: فهل في المخلوق كمال مطلق؟ قيل: المقصود هو ليس ما في المخلوق، وإنما المقصود الصفة إذا كانت مجردة، فإن الكلام إذا ذكر مطلقًا مجردًا فهو كمال مطلق، بخلاف الولد، فإنه إذا ذكر مجردًا فإنه يكون

نقصًا؛ بل الولد لا يمكن أن يكون إلا أمرًا إضافيًّا، فإذا قيل: الابن؛ لزم من وجوده وجود الأب.

إذًا: لا ينبغي دخول هذا الإشكال علىٰ هذه القاعدة، وهي أن كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه وثبت للخالق فهو أولىٰ به.

وهذه القاعدة فيها إشارة من الفقه، وهي أنه إذا قيل: إن كل كمال ثبت للمخلوق، فالمقصود هنا: الكمال المطلق، وإن كان المخلوق لا يتحقق فيه ما هو من الكمال المطلق، فإن النقص في هذا الكمال المطلق إنما دخل من حيث الإضافة، بمعنىٰ: أنه لا يرد علىٰ هذا أن يقول قائل: إن وجود الولد كمال في المخلوق، والرجل الذي له ولد أكمل من العقيم عند الناس.

فلا يرد هذا الأمر؛ لأن هذا نقص؛ وذلك لأن صفة الولد فرع عن الحاجة، وكذلك الأكل والشرب، فإن عدمه يكون عن علة، فهي إذًا صفة نقص، وإنما المقصود: الكمال المطلق؛ كالكلام، والسمع، والبصر[1].

س ٢٩٨- ما المراد بقول شيخ الإسلام الدليل لا ينعكس؟

المراد من ذلك لا يلزم من عدم الدليل المعين عدم المدلول إذ يمكن أن يكون الشيء ثابتًا في نفس الأمر وإن لم يرد به دليل من السمع ما دام أنه لم يرد دليل معين علىٰ نفيه.

س ٢٩٩- نريد مزيدًا من التوضيح لما سبق؟

هذا في كثير من مسائل العلم توجد بعض المسائل لها عدة أدلة فإذا انتفىٰ

(١) شرح القواعد السبع من التدمرية (٢١/ ٨).

عنها دليل واحد من هذه الأدلة ثبتت بالدليل الآخر.

س ٣٠٠- هل يكفي الاعتماد في النفي علىٰ مجرد عدم ورود السمع، ولماذا؟

الجواب: لا يكفي الاعتماد في النفي علىٰ مجرد عدم ورود السمع بنفيه ووجه ذلك أن هناك لوازمًا عقلية تتوافق مع الأدلة النقلية، فتثبت بمجموعها كمال الصفات لله، وخلاصة الأمر: أن كل ما نافىٰ صفات الكمال الثابتة لله فهو منزه عنه؛ لأن ثبوت أحد الضدين يستلزم نفي الآخر؛ كالنقص والعيب والمماثلة للخلق. وهذه هي القاعدة العامة في التنزيه.

س ٣٠١- هل ورد السمع بنفي كل النقائص عن الله تعالىٰ بأسمائها الخاصة؟

لا لم يرد السمع بذلك ولا يلزم من عدم ورود السمع بها ألا تنفىٰ عن الله تعالىٰ بل يجب أن تنفىٰ عن الله تعالىٰ لأنه ﷻ منزه عن كل نقص بدلالة العقل والسمع.

س ٣٠٢- ما الصواب فيمن قال ما جاء في السمع إثباته أثبته وما جاء في السمع نفيه نفيته؟

هذا الكلام ليس بسديد بل هو خطأ ووجه ذلك أن يقال هل لما لم يرد نفيها ليست منتفية؟ الجواب لا يجوز أن يقال ذلك لأن عدم الدليل المعين لا يلزم من عدمه عدم المدلول الذي دل عليه الدليل المنتفي إذ يمكن أن يكون الشيء ثابتًا في نفس الأمر وإن لم يرد به دليل من السمع ما دام أنه لم

يرد دليل معين علىٰ نفيه بعينه.

س ٣٠٣- اذكر مثالًا لتوضيح ما سبق؟

الحزن والبكاء والرمد والأمعاء والبطن ونحو ذلك لم يرد السمع بنفيها ومع ذلك فهي تنفىٰ عن الله تعالىٰ ووجه ذلك أنها صفات نقص علىٰ الإطلاق والله تعالىٰ منزه عن كل نقص بدلالة العقل والسمع.

س ٣٠٤- هل من الممكن أن يرد السمع بما لا يقتضي كمالًا في حق الله تعالىٰ؟

هذا من المستحيل لذاته.

المستحيل لذاته كالجمع بين النقيضين مثل القعود والوقوف في وقت واحد وفي مكان واحد من شخص واحد فهذا غير واقع في الشريعة.

س٣٠٥ - هناك صفات تستر نقصًا اذكر مثالًا وهل مثلها يثبت لله تعالىٰ؟

اللباس يستر نقصًا عند المخلوق لأن الأصل في المخلوق النقص قال تعالىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ ﴾ [الأعراف:٢٦]. ومثل هذه الصفات لا يجوز إثباتها لله تعالىٰ لأنه سبحانه كامل بذاته.

س٣٠٦ - بيِّن كيف جاء نفي النقص عن الله تعالىٰ؟

جاء علىٰ وجهين:

الأول: نفي عام لكل نقص قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الروم:٢٧]، ويدخل في هذا الوجه كل ما ورد به السمع من صفات الكمال لله تعالىٰ فإنه مستلزم لنفي ضده من صفات النقص فالقاعدة العامة أن إثبات أحد الضدين مستلزم لنفي ضده وما يستلزم ضده

مثال ذلك: وصف نفسه بأنه حي قيوم فيلزم من ذلك أنه سبحانه منزه عن السِّنة والنوم والعجز والضعف.

الثاني: نفي خاص لبعض النقائص قال تعالىٰ: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ ﴾ [الإخلاص:٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨ ﴾ [ق:٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام:١٠١]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٤ ﴾ [يونس:٤٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [ق:٣٨]، وقال ﷻ: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨].

وفي الصحيحين عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا بَيْنَ ظَهْرَانَيِ النَّاسِ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ، عَيْنِ الْيُمْنَىٰ كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**»(١).

(١) أخرجه البخاري [٤٤٠٢]، ومسلم [١٦٩].

س ٣٠٧- ما ضابط النفي الصحيح عن الله تعالىٰ؟

ضابط النفي الصحيح عن الله تعالىٰ هو:

أولًا: نفي كل صفة عيب كالعمىٰ والصمم والخرس والنوم والموت ونحو ذلك.

ثانيًا: نفي كل نقص في كماله كنقص في حياته أو علمه أو قدرته أو عزته أو حكمته، أو نحو ذلك.

ثالثًا: نفي مماثلته للمخلوقين كأن يجعل علمه كعلم المخلوق، أو وجهه كوجه المخلوق أو استواءه علىٰ عرشه كاستواء المخلوق، ونحو ذلك.

س٣٠٨ - اذكر الأدلة علىٰ أنواع النفي الثلاثة؟

دليل الأول: قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل:٦٠]، فإن ثبوت المثل الأعلىٰ وهو الوصف الأعلىٰ يستلزم انتفاء كل صفة عيب.

دليل الثاني: قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق:٣٨]، فنفىٰ عن نفسه التعب بعد خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام

دليل الثالث: قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

س ٣٠٩- ما ضابط صفة العيب؟

صفة العيب أحد أمرين:

١ـ كل ما يضاد الكمال الذي وصف الله به نفسه فإذا قال: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى:١١] كان ضده نقصًا ـ كالصمم والعمىٰ.

٢ـ إذا نفىٰ عن نفسه نقصًا دل علىٰ عدم اتصافه بما هو من لوازم ذلك النقص فمثلًا: نفي الصاحبة والولد قال تعالىٰ: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام:١٠١]، دليل علىٰ عدم اتصافه بالشهوة ونحوها من اللوازم وكذلك نفىٰ عن نفسه الأكل قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام:١٤] دليل علىٰ عدم اتصافه بالبطن والأمعاء ونحوها من اللوازم.

س ٣١٠– ماذا عن الأشياء التي لا تقتضي النقص ولم ينص عليها؟

إذا كان ذلك يقتضي كمالًا وهو غير وارد فإننا لا ننفيه عن الله تعالىٰ ولكننا نتوقف في إثباته ونستفصل عن معناه لأنه قد يقتضي كمالًا بحسب مفهوم شخص معين ولكنه في الواقع لا يقتضي كمالًا والقاعدة العامة والتي دل عليها العقل والنقل أن الله تعالىٰ متصف بكل كمال منزه عن كل نقص.

والأصل في نفي الصفات الإجمال. والأصل في الإثبات التفصيل. وقد يفصل النفي أحيانًا لأمور منها:

(١) **للرد علىٰ المفترين – كما قال العلامة العثيمين**، كما في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

(٢) **أو يأتي من أجل دفع توهم نقص في مقام من المقامات** كقوله: ﴿وَمَا

مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ق:٣٨]، لما ذكر خلقه للسماوات والأرض في ستة أيام، ففي ذلك تأكيد لكمال قدرته - سبحانه وتعالىٰ -، وأنه لا يلحقه كلال ولا إعياء مع عظيم فعله، ومثله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥] فنفي السنة والنوم متضمن لكمال الحياة والقيام.

س ٣١١- كيف نعرف مراد المتكلم من كلامه؟

قال شيخ الإسلام[١] الواجب علىٰ من أراد أن يعرف مراد المتكلم أن يرجع إلىٰ لغته وعادته التي يخاطب بها لا نفسر مراده بما اعتاده هو من الخطاب فما أكثر ما دخل من الغلط في ذلك علىٰ من لا يكون خبيرًا بمقصود المتكلم ولغته.

كما أصاب كثيرًا من الناس في قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء:٢] فإنهم ظنوا أن المحدث والقديم في لغة العرب التي نزل بها القرآن هو المحدث والقديم في اصطلاح المتكلمين هو ما لا أول لوجوده وما لم يسبقه عدم فكل ما كان بعد العدم فهو عندهم محدث وكل ما كان لوجوده ابتداء فهو عندهم محدث.

س ٣١٢- ما معنىٰ القديم في اصطلاح المتكلمين؟

الجواب: القديم في اصطلاح المتكلمين هو الذي لا أول لوجوده، أو الشيء الذي لم يسبق بعدم.

(١) الصفدية [٢/ ٨٤].

س ٣١٣- ما معنىٰ القديم في لغة العرب؟

قال شيخ الإسلام[١] وأما اللغة التي نزل بها القرآن فالقديم فيها خلاف المحدث وهما من الأمور النسبية فالشيء المتقدم علىٰ غيره قديم بالنسبة إلىٰ ذلك المحدث والمتأخر محدث بالنسبة إلىٰ ذلك القديم وإن كانا كلاهما محدثين بالنسبة إلىٰ من تقدمهما وقديمين بالنسبة إلىٰ من تقدماه ولم يوجد في لغة القرآن لفظ القديم مستعملًا إلا فيما يقدم علىٰ غيره وإن كان موجودًا بعد عدمه لكن ما لم يزل موجودًا هو أحق بالقدم والمقصود أنه مستعمل في القرآن فيما تقدم علىٰ غيره كقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [يس:٣٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف:٩٥]، وقوله: ﴿وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴿١١﴾﴾ [الأحقاف:١١]، وقوله عن إبراهيم: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الشعراء:٧٥-٧٦] فالمحدث يقابل هذا القديم.

وكان القرآن ينزل شيئًا فشيئًا فما تقدم نزوله فهو متقدم علىٰ ما تأخر نزوله وما تأخر نزوله محدث بالنسبة إلىٰ ذلك المتقدم ولهذا قال: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ﴾ [الأنبياء:٢] فدل أن الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث بالنسبة لغيره من القرآن. ا هـ كلام شيخ الإسلام.

وعليه فإطلاق القديم علىٰ الأول الذي لم يسبق بعدم إطلاق صحيح،

(١) الصفدية [٢/ ٨٤].

لكن لا يحصر لفظ القديم علىٰ هذا المعنىٰ وحده.

قال الشيخ صالح آل الشيخ[(١)]: القديم هو الذي صار متقدمًا علىٰ غيره، وسيعقبه غيرُه، وقد سبقه غيره، كما قال ﷻ: ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يس:٣٩]، وكقول الحق ﷻ: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ [الأحقاف:١١]، وأشباه ذلك.

والقِدَمْ أو التَقَدُّمْ أو القَدَمْ في اشتقاق هذه المادة في اللغة راجعة إلىٰ ما تقدم علىٰ غيره، وهذا في اللغة.

ومعلوم أنَّ اللغة موضوعة للأشياء المحسوسة التي رآها، أو عرفها العرب، ولهذا دخل في اسم القديم المخلوقات.

وإذا كان كذلك فإنَّ القديم لا يوصف الله به.

س ٣١٤- ما أخص وصف الإله عند المعتزلة؟

أخص وصف الإله عندهم القِدَم فمن أثبت لله صفة قديمة فقد أثبت له مِثلًا قديمًا ويسمونه ممثلًا بهذا الاعتبار ومن هنا نشأ القول بأن إثبات الصفات يلزم منه تعدد القدماء.

س ٣١٥- ما أخص وصف الإله عند أهل السنة؟

الجواب: أخصّ وصفه حقيقة ما لا يتصف به غيره، مثل كونه رب العالمين، وأنه بكل شيء عليم، وأنه علىٰ كل شيء قدير، وأنه إلهٌ واحد،

(١) شرح الطحاوية [١/ ٣١].

ونحو ذلك.

س ٣١٦– ما المراد بتعدد القدماء؟

هذه المقولة قالها المعتزلة لينفوا عن الله تعالىٰ الصفات التي ثبتت له بالدليل فقالوا من المعلوم الثابت عقلًا ونقلًا وفطرة أن الله واحد فرد، قديم أزلي، وعلىٰ ذلك جميع المسلمين فإذا وصفناه بصفات عديدة، كصفة العلم والسمع والبصر والكلام، وقلنا كلها قديمة أزلية، لزم تعدد القدماء؟

س ٣١٧– شبهة تعدد القدماء مبنية علىٰ مقدمتين اذكرهما؟

المقدمة الأولىٰ: أن القِدَم أخصُّ أوصاف الإله.

المقدمة الثانية: أن إثبات الصفات القديمة لله تعالىٰ التي ورد بها النص يلزم منه تعدد القدماء أي الآلهة.

س ٣١٨– ما الرد علىٰ هذه الفرية المقيتة؟

الجواب: يلزم تعدد القدماء لو قلنا بتعدد الذوات، أما تعدد الصفات لذات واحدة فلا يلزم ذلك، وليس فيه محذور ووجه ذلك أن الصفة لا تنفك عن الموصوف مثال ذلك الله ﷻ موصوف بالرحمة والغضب والعلم والكلام ونحوها مما ثبت به النص وصفاته أولية أزلية أبدية ولا يتصور عاقل قط وجود ذات مجردة عن الصفات في الخارج وكذلك لا يتصور عاقل قط أن الرحمة – مثلًا – أو الكلام منفصل عن الله تعالىٰ حتىٰ يقال أن إثبات الصفات يلزم منه تعدد القدماء.

قال شيخ الإسلام: والعجيب أن هؤلاء المعتزلة – وهم أرباب الكلام

والبحث في المعقولات - لم تستوعب عقولهم أن الذات لا يمكن أن تنفك عن صفاتها، ومن ثم فلا شبهة ولا تعدد. انتهىٰ كلام شيخ الإسلام .

وأيضًا أن الصفة ليست مِثلًا (بكسر الميم) ولا ندًّا للموصوف في اللغة العربية وعلىٰ هذا فلا يدخل إثبات الصفات في الأمثال والأنداد المنفية عن الله تعالىٰ.

س ٣١٩- هل يلزم من تعدد الصفات لذات واحدة تعدد الذوات؟

لا يلزم من تعدد الصفات لذات واحدة تعدد الذوات مثال ذلك إذا قلت مثلًا: «فلان سميع بصير، عالم فقيه، لغوي نحْوي» فهل معنىٰ هذا أن الإنسان صار عددًا من الأشخاص،؟ الجواب لا وعليه فلا يلزم من تعدد الصفات تعدد الموصوف.

يقول أحدهم - وهو أبو الحسين الخياط - في كتابه «الانتصار علىٰ ابن الراوندي»: إذا قلنا: إن الله هو السميع وله سمع فلا يخلو هذا السمع من أمرين: إما أن يكون محدثًا أو يكون قديمًا، فإذا كان محدثًا فيلزم حدوث الحوادث في ذاته تعالىٰ، وإذا كان قديمًا فليزم تعدد القدماء، حيث إن الإله قديم وصفته قديمة.

وهذا كلام باطل ساقط لاقط: فإن الموصوف في الدنيا يوصف بعدة صفات وهو واحد، أي: الإنسان في الدنيا يوصف بأن له يد وعين، وأنه يسمع ويرىٰ، ويذكر له صفات كثيرة متعددة مع أنه واحد، فلا يتصور أن الإله إذا قلنا: إن له صفات وأن له سمع وبصر وعلم وحكمة وإرادة أنه يلزم من كل صفة من هذه الصفات أن تكون إلهًا مستقلًا، هذا خطأ وضلال وانحراف.

س ٣٢٠- هل وجود الشيء في الخارج هو عين ماهيته؟

وجود كل شيء في الخارج «أي الواقع» هو عين ماهيته وأن وجوده في الخارج زائد علىٰ وجوده في الذهن.

ووجه ذلك أن الوجود الذهني وجود علمي ولا يلزم من كون الشيء موجودا في الذهن أن يوجد في الخارج بل قد يوجد في الخارج وقد لا يوجد.

❧◈☙

فصل

[القاعدة السابعة: دلالة العقل على كثير مما دل عليه السمع]

س ٣٢١- اذكر نص القاعدة السابعة؟

الجواب: إن كثيرًا مما دل عليه السمع من صفات الله تعالىٰ يُعلم بالعقل أيضًا.

س ٣٢٢- دل منطوق القاعدة علىٰ أن صفات الله تعالىٰ باعتبار دلالة العقل عليها قسمان اذكرهما؟

القسم الأول: صفات دل عليها السمع فقط.

القسم الثاني: صفات دل عليه السمع والعقل.

س ٣٢٣- مثل لكل قسم؟

القسم الأول: صفة الوجه والساق والرجل واليدين والعينين والاستواء علىٰ العرش والنزول إلىٰ السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير من الليل ونحوها مما لا مجال للعقل فيه فهذه الصفات وأمثالها ما علمناه إلا بالسمع [أي الأدلة].

القسم الثاني: صفة العلو والسمع والبصر والحياة والقدرة والكلام ونحوها فهذه وأمثالها دل عليها السمع والعقل.

س ٣٢٤- علىٰ أي شيء تدور القاعدة السابعة؟

تدور علىٰ مسألتين:

الأولىٰ: دلالة العقل علىٰ كثير مما دل عليه النقل.

الثانية: مناقشة المعطلة في شبهة التقابل إذ علىٰ أثرها أنكروا الصفات.

والمراد بالتقابل: أن كل كمال ثبت للمخلوق لا نقص فيه بوجه من الوجوه فالخالق أولىٰ به.

س ٣٢٥- علىٰ من يرد شيخ الإسلام بهذه القاعدة؟

الجواب: يرد شيخ الإسلام بهذه القاعدة علىٰ عامة المعطلة في دعواهم أن الصفات لا يدل عليها العقل، فالأشعرية مثلًا نفت جميع الصفات ما عدا سبع زعموا أنها دل عليها العقل وهي «القدرة -الإرادة -العلم -الحياة- السمع -البصر -الكلام».

س ٣٢٦- قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ [الحج:٥] **اشتملت الآيات علىٰ دليلين عقليين علىٰ البعث اذكرهما؟**

الأول: خلق الإنسان من تراب ثم من نطفة وما بعدها من الأطوار.

الثاني: إحياء الأرض بعد موتها.

س ٣٢٧- قول نبي الله إبراهيم ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢﴾ [مريم:٤٢] **دليل عقلي على بطلان عبادة الأصنام وضح ذلك؟**

وجه ذلك أن الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئًا لعجزه وضعفه لا يصلح أن يكون إلهًا يُعبد.

س ٣٢٨- أرشد السمع العقل إلى معرفة وحدانية الله وقدرته بدلالات كثيرة اذكر بعضها؟

من هذه الدلالات:

١ ـ دلالة الآيات العيانية كالسموات والأرض والجبال والأنهار والشمس والقمر، كما قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠].

٢ـ وكذلك دلالة الأنفس كما قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١].

٣ـ وأرشد العقل إلى معرفة علمه وبأحكامه للمخلوقات قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨].

٤ـ ودل ـ سبحانه ـ على صدق نبوة أنبيائه ببيان معجزاتهم، ونصر الله لهم،

وتمكينه للدين الذي جاؤوا به.

س ٣٢٩– أرشد السمع العقل بطرق عقلية علىٰ إمكانية المعاد والبعث اذكرها؟

من هذه الطرق:

١-الواقع المشاهد المحسوس كما في حق الرجل الذي مَرَّ علىٰ قرية وهي خاوية علىٰ عروشها قال تعالىٰ: ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة:٢٥٩].

٢-وقوع النظير، فالنشأة الأولىٰ، تشبه البعث وإن لم تكن مطابقة له من كل وجه كما في قوله تعالىٰ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

٣-وقوع ما هو أبلغ منه، فخلق السموات والأرض أعظم من خلق الناس كما قال تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر:٥٧].

س ٣٣٠– في أي شيء يُعمِل السلف العقل؟

الجواب: يُعمِلونه في عالم الشهادة، لا في عالم الغيب إلا علىٰ سبيل الإجمال دون التفصيل، ولا يثبتون بالعقل حكمًا شرعيًّا.

س ٣٣١ – للعقل مع الشرع حالتان باعتبار موافقته ومخالفته لما جاء به الشرع؟

الحالة الأولىٰ: أن يدل العقل علىٰ ما دل عليه الشرع فيكون شاهدًا أو مؤيدًا ومصدقًا، فيحتجون حينئذٍ بدلالة العقل علىٰ من خالف الشرع، وفي

القرآن من هذا النوع شيء كثير كأدلة التوحيد والنبوة والمعاد، فتلك الأدلة هي عقلية شرعية.

الحالة الثانية: أن لا يدل علىٰ ما دل عليه الشرع لا نفيًا ولا إثباتًا بمعنىٰ لا يدرك العقل ما جاء به السمع فيعجز عن الحكم عليه بنفي أو إثبات، فيبقىٰ العقل حائرًا، والواجب عليه والحالة كذلك التسليم لما جاء به السمع. فحكم العقل في الحالتين جواز ما جاء به الشرع. أما أن يدل العقل علىٰ خلاف ما جاء به الشرع فيكون معارضًا له، فهذا ما لا يكون مع صحة النقل، ولهذا قال أهل السنة: إن العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح، وقالوا إن الرسل جاؤوا بمحارات العقول لا بمحالات العقول أي أن الرسل لا يخبرون بما يحيله العقل، ولكن يخبرون بما يجيزه العقل ويحار فيه وهذا هو تحديد موقف أهل السنة من العقل مع الشرع.

س ٣٣٢- اذكر مكانة العقل عند أهل السنة؟

الجواب: للعقل عند أهل السنة مكانته اللائقة به، وهم في ذلك وسط بين طرفين

الطرف الأول: من جعل العقل أصلًا كليًّا أوليًّا، يستغني بنفسه عن الشرع.

الطرف الثاني: من أعرض عن العقل، وذمه وعابه، وخالف صريحه، وقدح في الدلائل العقلية مطلقًا.

والوسط في ذلك:

أ- أن العقل شرط في معرفة العلوم، وكمال وصلاح الأعمال، لذلك كانت سلامة العقل شرطًا في التكليف فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، وقد أمر الله باستماع القرآن وتدبره بالعقول ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [النساء:٨٢]، ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]. فالعقل هو المدرك لحجة الله علىٰ خلقه

ب- أن العقل لا يستقل بنفسه، بل هو محتاج إلىٰ الشرع الذي عرفنا ما لم يكن لعقولنا سبيل إلىٰ استقلالها بإدراكه أبدًا كتفاصيل اليوم الآخر ونحوها، ووجه ذلك أن العقل غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كقوة البصر التي في العين إذا اتصل به نور الشمس والنار.

وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن إدراكها.

قال الشاطبي(١) ﵀: قَدْ عُلِمَ بِالتَّجَارِبِ وَالْخِبْرَةِ السَّارِيَةِ فِي الْعَالَمِ مِنْ أَوَّلِ الدُّنْيَا إِلَىٰ الْيَوْمِ أَنَّ الْعُقُولَ غَيْرُ مُسْتَقِلَّةٍ بِمَصَالِحِهَا، اسْتِجْلَابًا لَهَا، أَوْ مَفَاسِدِهَا، اسْتِدْفَاعًا لَهَا. لِأَنَّهَا إِمَّا دُنْيَوِيَّةٌ أَوْ أُخْرَوِيَّةٌ.

فَأَمَّا الدُّنْيَوِيَّةُ؛ فَلَا يُسْتَقَلُّ بِاسْتِدْرَاكِهَا عَلَىٰ التَّفْصِيلِ أَلْبَتَّةَ، لَا فِي ابْتِدَاءِ وَضْعِهَا أَوَّلًا، وَلَا فِي اسْتِدْرَاكِ مَا عَسَىٰ أَنْ يَعْرِضَ فِي طَرِيقِهَا، إِمَّا فِي السَّوَابِقِ، وَإِمَّا فِي اللَّوَاحِقِ، لِأَنَّ وَضْعَهَا أَوَّلًا لَمْ يَكُنْ إِلَّا بِتَعْلِيمِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ آدَمَ ﵇ لَمَّا أُنْزِلَ إِلَىٰ الْأَرْضِ عَلِمَ كَيْفَ يَسْتَجْلِبُ مَصَالِحَ دُنْيَاهُ، إِذْ لَمْ

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦١).

يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ مَعْلُومِهِ أَوَّلًا، إِلَّا عَلَىٰ قَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ تَحْتَ مُقْتَضَىٰ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١]، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ تَعْلِيمًا غَيْرَ عَقْلِيٍّ، ثُمَّ تَوَارَثَتْهُ ذُرِّيَّتُهُ كَذَلِكَ فِي الْجُمْلَةِ، لَكِنْ فَرَّعَتِ الْعُقُولُ مِنْ أُصُولِهَا تَفْرِيعًا تَتَوَهَّمُ اسْتِقْلَالَهَا بِهِ، وَدَخَلَ فِي الْأُصُولِ الدَّوَاخِلُ حَسْبَمَا أَظْهَرَتْ ذَلِكَ أَزْمِنَةُ الْفَتَرَاتِ، إِذْ لَمْ تَجْرِ مَصَالِحُ الْفَتَرَاتِ عَلَىٰ اسْتِقَامَةٍ؛ لِوُجُودِ الْفِتَنِ وَالْهَرْجِ، وَظُهُورِ أَوْجُهِ الْفَسَادِ. فَلَوْلَا أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَىٰ الْخَلْقِ بِبَعْثَةِ الْأَنْبِيَاءِ، لَمْ تَسْتَقِمْ لَهُمْ حَيَاةٌ، وَلَا جَرَتْ أَحْوَالُهُمْ عَلَىٰ كَمَالِ مَصَالِحِهِمْ، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالنَّظَرِ فِي أَخْبَارِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

وَأَمَّا الْمَصَالِحُ الْأُخْرَوِيَّةُ، فَأَبْعَدُ عَنْ مَصَالِحِ الْمَعْقُولِ مِنْ جِهَةِ وَضْعِ أَسْبَابِهَا، وَهِيَ الْعِبَادَاتُ مَثَلًا؛ فَإِنَّ الْعَقْلَ لَا يَشْعُرُ بِهَا عَلَىٰ الْجُمْلَةِ، فَضْلًا عَنِ الْعِلْمِ بِهَا عَلَىٰ التَّفْصِيلِ.

ج: أن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به دال علىٰ صدق الرسول ﷺ دلالة عامة مطلقة، فالعقل مع الشرع كالعامي مع المفتي، فإن العامي إذا علم مفتيًا بعينه ودل غيره عليه وبيَّن له أنه عالم مفتٍ، ثم اختلف العامي الدال علىٰ المفتي مع مستفت وجب علىٰ المستفتي هذا أن يقدم قول المفتي علىٰ قول هذا العامي، فإذا قال له العامي: أنا الأصل في علمك بأنه مفتٍ فإذا قدمت قوله علىٰ قولي عند التعارض، قدحت في الأصل الذي به علمت أنه مفتٍ، قال له المستفتي: أنت لما شهدت لي بأنه مفتٍ ودللتني علىٰ ذلك، شهدت بوجوب تقليده دون تقليدك، وموافقتي لك في قولك إنه مفتٍ، لا يستلزم أن أوافقك في جميع أقوالك، وخطؤك فيما خالفت فيه المفتي الذي

هو أعلم منك، لا يستلزم خطأك في علمك بأنه مفتٍ.

هذا مع أن المفتي يجوز عليه الخطأ، أما الرسول ﷺ فإنه معصوم في خبره عن الله تعالىٰ لا يجوز عليه الخطأ، فتقديم قول المعصوم علىٰ ما يخالفه من استدلال عقلي، أولىٰ من تقديم المستفتي قول المفتي علىٰ قول الذي يخالفه(١).

وإذا كان الأمر كذلك فإذا علم الإنسان بالعقل أن هذا رسول الله ﷺ، وعلم أنه أخبر بشيء ووجد في عقله ما ينازعه في خبره، كان عقله يوجب عليه أن يسلم في موارد النزاع إلىٰ من هو أعلم به منه.

قال شيخ الإسلام(٢): إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع، لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به، والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف علىٰ كل ما يخبر به العقل.

د- أن الشرع دل علىٰ الأدلة العقلية وبيَّنها ونبَّه عليها وذلك كالأمثال المضروبة التي يذكرها الله في كتابه، التي قال فيها: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ [الروم:٥٨]، فإن الأمثال المضروبة هي الأقيسة العقلية فمن ذلك إثبات التوحيد بقوله تعالىٰ: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [لقمان:١١]، وإثبات النبوة بقوله تعالىٰ: ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ

(١) درء تعارض العقل مع النقل [١/ ١٣٨].
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٣٨).

أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يونس:١٦]، وإثبات البعث بقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس:٧٩].

والناس في الأدلة العقلية التي بينها القرآن وأرشد إليها الرسول ﷺ علىٰ طرفين، فمنهم من يذهل عن هذه الأدلة ويقدح في الأدلة العقلية مطلقًا؛ لأنه قد صار في ذهنه أنها هي الكلام المبتدع الذي أحدثه المتكلمون.

ومنهم من يعرض عن تدبر القرآن وطلب الدلائل اليقينية العقلية منه؛ لأنه قد صار في ذهنه أن القرآن إنما يدل بطريق الخبر فقط.

والذي عليه أهل العلم والإيمان أن الأدلة العقلية التي بينها الله ورسوله ﷺ أجَلُّ الأدلة العقلية وأكملها وأفضلها.

هـ- أن العقل لا يمكن أن يعارض الكتاب والسنة، فالعقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح أبدًا، فلا يصح أن يقال: إن العقل يخالف النقل.

فالذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل فمحال أن يرسل إليه ما يفسده بل يرسل إليه ما يزكيه وينميه.

ومن ادَّعىٰ أن العقل يخالف النقل فهذا لا يخلو من أمور:

أولها: أن ما ظنه معقولًا ليس معقولًا، بل هو شبهات توهم أنه عقل صريح وليس كذلك.

ثانيها: أن ما ظنه سمعًا ليس سمعًا صحيحًا مقبولًا، إما لعدم صحة نسبته إلىٰ قائله أو لعدم فهم المراد منه علىٰ الوجه الصحيح.

ثالثها: أنه لم يفرق بين ما يحيله العقل وما لا يدركه، فإن الشرع يأتي بما يعجز العقل عن إدراكه، لكنه لا يأتي بما يعلم العقل امتناعه.

س ٣٣٣- الأمثلة في القرآن هي أقيسة عقلية اذكر مثالًا؟

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت:٣٩].

فبيَّن الله تعالىٰ في هذه الآية قدرته علىٰ إحياء الموتىٰ بمثل مشاهد محسوس وهو أن الأرض تكون يابسة هامدة جرداء ليس عليها شيء فينزل عليها الماء من السماء فإذا هي رابية تهتز تنبت النبات فمن أحياها بعد موتها قادر علىٰ إحياء الموتىٰ إنه علىٰ كل شيء قدير.

س ٣٣٤- ما معنىٰ الأصول العقلية عند المتكلمين؟

المعنىٰ بذلك القواعد العقلانية التي يقرر بها الغيب ومن خلالها يعلم ما يجب إثباته لله تعالىٰ ونفيه عن الله تعالىٰ وإثبات البعث، وإثبات بعض مسائل الغيب الأخرىٰ التي يرون أن العقل يثبتها.

س ٣٣٥- لماذا أطلق عليها المتكلمون الأصول العقلية؟

لأنهم زعموا أنها لا تثبت ولا تعلم إلا بالعقل ووجه كونها لا تعلم إلا بالعقل يقولون لأن هذه ثبتت بخبر النبي ﷺ والأنبياء لا يعلم أنهم أنبياء إلا بعد دلالة العقل علىٰ نبوتهم.

س ٣٣٦- اذكر بعض الأمثلة من أصولهم العقلية؟

منها [التحسين والتقبيح] فقالوا أن العقل يحسن أن يرسل الله تعالىٰ

الرسل حتىٰ يبينوا للناس، ويقبح أن لا يبعث الله تعالىٰ الرسل فجعلوا بعثة الأنبياء ثابتة بالعقل.

ومن أصولهم أيضًا أن العلم بالصانع وهو الله تعالىٰ لا يمكن إلا بإثبات حدوثه «أي حدوث العالم»، وإثبات حدوثه - أي حدوث العالم - لا يمكن إلا بحدوث الأجسام يعني لا نعرف أن العالم حادث إلا بحدوث الأجسام، وحدوثها - أي حدوث الأجسام - يُعلم إما بحدوث الصفات - أي لا نعلم بحدوث الأجسام بعد وجودها إلا إذا وجدت فيها صفات كأن يكون طويلًا بعد أن كان قصيرًا وذكيًّا بعد أن كان بليدًا وهذا من التناقض -، وإما بحدوث الأفعال القائمة بها «المراد من ذلك أن الشخص المعين لما فعل بعض الأفعال كأن يقوم من النوم فيصلي دل ذلك علىٰ أنه جسم ومن ثم فهو حادث».

س ٣٣٧- من أصولهم العقلية أيضًا لإثبات النبوة نفي أفعال الرب ونفي صفاته وضح ذلك؟

نعم قالوا ذلك وهذا عين الضلال ووجه ذلك أنهم قالوا إذا قلنا: بأن الله ﷻ له أفعال، فالفعل حادث بزعمهم، وعلىٰ هذا فإن الله ﷻ حدث فيه حادثات، فاتصف بصفات الناقص وهو المخلوق، ومن هنا نفوا الأفعال وكذلك نفوا الصفات.

س ٣٣٨- بيِّن وجه الصواب في ثبوت الفعل لله تعالىٰ؟

الصواب -الذي ما عداه باطل- هو أن أفعال الله ﷻ راجعة إلىٰ أسمائه وصفاته الثابتة، لا إلىٰ مفردات الأفعال، وأوضح مثال لذلك: صفة الكلام لله

ﷻ، وهي صفة ثابتة له ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء:١٦٤]، لكن مفردات الكلام هي تحت مشيئته، ومفردات الكلام ليست هي صفة الكلام، وإنما هي فعله علىٰ ضوء صفته الأصلية، وكذلك بقية الأفعال، فكل الأفعال مفرداتها هي كمال لله ﷻ، ولا يعني: أنها حادثة، وإنما هي ناتجة عن صفاته الثابتة له، فمثلًا: صفة الخلق منبثقة عن كونه ﷻ هو الخالق، حتىٰ قبل أن يوجد الخلق، وبعد أن يوجد الخلق، فهو متصف بصفة الخلق منذ الأبد وإلىٰ الأزل وإلىٰ ما لا نهاية، وكونه يخلق متىٰ شاء لا يعني أنه حدثت له صفة الخلق كما يزعمون، بل هذا راجع إلىٰ المشيئة، فمتىٰ ما شاء خلق، ومتىٰ ما شاء تكلم، وكذلك بقية الصفات الفعلية.

قال شيخ الإسلام(١): كَذَلِكَ كَونه «خَالِقًا» و «رازقًا» و «محسنًا» و «عادلًا» فَإِن هَذِه أَفعَال فعلهَا بمشيئته وَقدرته إِذْ كَانَ يخلق بمشيئته ويرزق بمشيئته. ويعدل بمشيئته وَيحسن بمشيئته. وَالَّذِي عَلَيْهِ «جَمَاهِير الْمُسلمين» من السّلف. وَالْخلف أَن الْخلق غير الْمَخْلُوق؛ فالخلق فعل الْخَالِق والمخلوق مَفْعُوله.

وَلِهَذَا كَانَ النَّبِي ﷺ يستعيذ بِأَفْعَال الرب وَصِفَاته كَمَا فِي قَوْله ﷺ «**اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ**»(٢)، فاستعاذ بمعافاته كَمَا

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية (٢/ ١٩).

(٢) أخرجه مسلم [٤٨٦].

استعاذ بِرِضَاهُ.

س ٣٣٩- بين الخطأ في طريقة المتكلمين في أصولهم العقلية؟

أنهم زعموا أن العلم برسالة الرسول لا يكون إلا بطريق معين وهو العقل وكذلك في صفات الرب وهذا خطأ منهم لأن طرق الأدلة أكثر وأوسع من المدلول فجعلوا العقل هو المصدر، وأنه حاكم علىٰ الوحي، ومن هنا وقع الخلل، ولذلك أهل السنة والجماعة يوافقونهم علىٰ أن العقل يقرر الأصول، وأن العقل يوافق النص، وأن العقل هو الذي يفهم الأقيسة والأمثال المضروبة في القرآن، لكنهم لا يجعلونه الدليل الوحيد، أو المصدر، وإنما هو خادم للمصدر، ووسيلة لفهم كلام الله وكلام رسوله الله ﷺ، والوصول بهذه الوسيلة إلىٰ فهم الحق وفقهه.

س٣٤٠ - أهل السنة ذموا المتكلمين في قولهم بالأصول العقلية بين وجه الذم؟

وجه الذم أنهم - أي المتكلمين - جعلوا الأصول العقلية مصدر التلقي الوحيد وجعلوا السمع تابعًا له.

س ٣٤١- ما الحكم إذا وجد سمع لم يفهم؟

يجب علىٰ من لا يفهم نصًّا أن يرد هذا النص إلىٰ عالم، برهان ذلك ما رواه الإمام أحمد من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمًا يَتَدَارَءُونَ فِي الْقُرْآنِ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا ضَرَبُوا كِتَابَ اللهِ ﷻ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ وَإِنَّمَا كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَلَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ**

بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا بِهِ، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ إِلَىٰ عَالِمِهِ»(١) ولم يقل: ردوه إلىٰ العقول لأن العقول متناهية محدودة.

[من رسالة العقل والنقل]: بيان أن العقول لها حد تقف عنده:

وَبِاتِّفَاقِ عُقَلَاءِ الْبَشَرِيَّةِ، فَإِنَّ هَذِهِ الْحَوَاسَّ الْخَمْسَ مَحْدُودَةُ الْمَدَارِكِ.

فَنَجِدُ عُلَمَاءَ التَّجَارِبِ يُجْرُونَ التَّجَارِبَ لِيَعْرِفُوا مَدَىٰ إِمْكَانِيَّةِ الْحَوَاسِّ الْخَمْسَةِ، فَهَلْ هِيَ مُطْلَقَةٌ أَمْ مُقَيَّدَةٌ؟ وَمَدَارِكُهَا مَحْدُودَةٌ أَمْ لَا؟ فَقَامُوا بِتَجَارِبَ أَدَّتْ إِلَىٰ أَنَّ رُسُلَ الْعَقْلِ مَحْدُودَةُ الْمَدَارِكِ.

الْعَتَبَةُ الْمُطْلَقَةُ: هِيَ أَصْغَرُ كَمِّيَّةٍ مِنَ الْمُؤَثِّرِ يُمْكِنُ أَنْ تُوَلِّدَ إِحْسَاسًا.

فَقَامَ الْعُلَمَاءُ بِعَمَلِ تَجَارِبَ لِمَعْرِفَةِ مَدَىٰ إِدْرَاكِ الْحَوَاسِّ لِلْمُؤَثِّرَاتِ الْخَارِجِيَّةِ.

وَالَّذِي نَهْدِفُ إِلَيْهِ: أَنْ نَصِلَ إِلَىٰ أَنَّ مَدَارِكَ الْعَقْلِ مَحْدُودَةٌ، وَبِالتَّالِي أَيُّ قُصُورٍ لِلْعَقْلِ سَيَكُونُ مِنْ خِلَالِ الرُّسُلِ الْخَارِجِيَّةِ، وَالرُّسُلُ الْخَارِجِيَّةُ مَدَارِكُهَا مَحْدُودَةٌ؛ إِذًا الْعَقْلُ تَصَوُّرُهُ مَحْدُودٌ.

وبالاستقراء وجد العلماء ما يلي:

أَوَّلًا: الْبَصَرُ: وَجَدُوا أَنَّ الْبَصَرَ يُدْرِكُ شَمْعَةً مُضِيئَةً فِي لَيْلٍ مُظْلِمٍ، وَفِي جَوٍّ صَحْوٍ عَلَىٰ بُعْدِ ثَلَاثِينَ مِيلًا (٢).

---

(١) أخرجه أحمد [٦٧٤١] بسند حسن.

(٢) الميل الواحد = كيلو متر ونصف تقريبًا.

ثَانِيًا: السَّمْعُ: وَجَدُوا أَنَّ الْأُذُنَ تَسْمَعُ دَقَّةَ السَّاعَةِ عَلَىٰ بُعْدِ ثَلَاثِينَ قَدَمٍ فِي هُدُوءٍ تَامٍّ.

ثَالِثًا: التَّذَوُّقُ: وَجَدُوا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَذَوَّقَ طَعْمَ السُّكَّرِ النَّاتِجِ مِنْ مِلْعَقَةٍ صَغِيرَةٍ فِي جَالُونَيْنِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا زَادَ الْمَاءُ عَنْ ذَلِكَ لَا يَجِدُ طَعْمَ السُّكَّرِ.

رَابِعًا: الشَّمُّ: قَالُوا: يُدْرِكُ الْإِنْسَانُ رَائِحَةَ الْعِطْرِ مِنْ قَطْرَةٍ وَاحِدَةٍ وُضِعَتْ فِي غُرْفَةٍ مُغْلَقَةٍ مِسَاحَتُهَا ٣ × ٤م.

خَامِسًا: اللَّمْسُ: قَالُوا: يَحُسُّ جِلْدُ الْإِنْسَانِ بِجَنَاحِ ذُبَابَةٍ تَسْقُطُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي مِسَاحَةٍ وَاحِدٍ سَنْتِيمِتْرٍ (١سم).

س ٣٤٢- هل الأدلة العقلية هي الأدلة الوحيدة على إثبات النبوة؟

الجواب: لا، فهناك قرائن الأحوال بمعنىٰ: أن الله ﷻ فطر النبي ﷺ وجبله علىٰ محاسن الأخلاق، والبعد عن الرذائل، وجبله علىٰ القيام بأمور وتصرفات وأعمال -من أقواله وأفعاله وأحواله- تدل علىٰ نبوته بدون استدلالات عقلية، وكثير من الذين أسلموا استدلوا علىٰ نبوة النبي ﷺ بقرائن الأحوال، يعني: مجمل ما كان عليه أحواله في سيرته مع الناس، وفي سيرته مع ربه ﷻ، وما يلاحظون من تصرفاته في مواقفه تجاه الأحداث والأشياء، فهذه حاله التي كان عليها، وهي تسمىٰ قرائن الأحوال التي دلت علىٰ نبوته قال حسان بن ثابت:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

س ٣٤٣- هل القرآن آية علىٰ النبوة من جهة إعجازه فقط؟

القرآن آية علىٰ النبوة ليس بكونه معجزًا فقط بل من حيث أحكامه وحكمه وأسراره وأخباره ونظمه.

س ٣٤٤- ايهما الأصل السمع أم العقل؟

الجواب: السمع هو الأصل لأنه كلام الله العليم الخبير سبحانه، وكلام رسوله ﷺ، الذي لا ينطق عن الهوىٰ وعليه إذا حدث تعارض فرضًا – وهذا لا يكون- يقدم السمع علىٰ العقل.

س ٣٤٥- هل رؤية الله تعالىٰ ثابتة بالسمع أم بالعقل؟

لا شك أنها ثابتة بالسمع وبالعقل فإمكانيتها ثابتة بالعقل ووجوبها ثابت بالسمع لأنه لولا أن الله تعالىٰ أخبرنا بأنه يُرىٰ في الآخرة ما علمنا بذلك أما إمكان الرؤية لله تعالىٰ فثابت بالعقل.

قال شيخ الإسلام(١): فَالصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأَئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ يُرَىٰ فِي الْآخِرَةِ بِالْأَبْصَارِ عِيَانًا وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا بِعَيْنِهِ؛ لَكِنْ يُرَىٰ فِي الْمَنَامِ [هذا في حق النبي ﷺ فقط] وَيَحْصُلُ لِلْقُلُوبِ - مِنْ الْمُكَاشَفَاتِ وَالْمُشَاهَدَاتِ - مَا يُنَاسِبُ حَالَهَا. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ تَقْوَىٰ مُشَاهَدَةُ قَلْبِهِ حَتَّىٰ يَظُنَّ أَنَّهُ رَأَىٰ ذَلِكَ بِعَيْنِهِ؛ وَهُوَ غالط وَمُشَاهَدَاتُ الْقُلُوبِ تَحْصُلُ بِحَسَبِ إيمَانِ الْعَبْدِ وَمَعْرِفَتِهِ فِي صُورَةٍ مِثَالِيَّةٍ كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

(١) مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٣٣٧).

س ٣٤٦- كيف يمكن إثبات رؤية الله تعالىٰ بالعقل؟

اتفق العقلاء علىٰ أن كل قائم بنفسه يمكن أن يُرىٰ والمعدوم هو الذي لا يمكن أن يُرىٰ.

ويقال أيضًا: أن الأنبياء عليهم السلام لا يطلبون من الله ما هو مستحيل. فلما طلبها موسىٰ عليه السلام من ربه دل ذلك علىٰ إمكانية ذلك، فرؤية الله ممكنة لكنها غير واقعة في الدنيا.

س ٣٤٧- ما هي شروط حدوث الرؤية لكل قائم بنفسه؟

الشرط الأول: وجود المرئي.

الشرط الثاني: مشيئة الله تعالىٰ.

س٣٤٨- أي العبارتين أصح كل موجود تصح رؤيته أو كل قائم بنفسه يمكن رؤيته؟

الصواب: أن كل قائم بنفسه يمكن رؤيته.

س ٣٤٩- مثِّل لما سبق؟

الإنسان فيه علم وقدرة وقوة وهذه موجودة نستدل علىٰ وجودها بآثارها ومع وجودها لا نراها، لكن كل قائم بنفسه يمكن أن يُرىٰ بالشرطين السابقين...

❊

فصل

[الأصل الثاني: توحيد العبادة الواجب في شرع الله وقدره اعتقادًا]

س ٣٥٠- الدين هو التوحيد يتكون من أصلين اذكرهما؟

الأصل الأول: هو التوحيد المتعلق بالله ﷻ، أي: الخبر عن الله المتعلق بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

الأصل الثاني: هو التوحيد في العبادة أي إفراد الله تعالىٰ بكل أنواع العبادة التي أمر بها وبينها الرسول ﷺ بالقول أو بالفعل أو بالتقرير أو بهم جميعًا.

س ٣٥١- ما العلاقة بين الأصلين؟

الأصل الثاني لازم الأصل الأول ولابد فيقال للعباد: قد عرفتكم كمال الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، وما يجب له من الحق، إذًا فالتزموا لازم هذه المعرفة، وهو أن تعبدوا الله وحده، وأنه وحده سبحانه المستحق للعبادة، وهو الذي يجب أن يخضع له العباد قدرًا وشرعًا.

س ٣٥٢- ما المراد بالشرع؟

الجواب: الشرع: هو الإيمان بأنه تعالىٰ شرع الشرائع وأرسل الرسل وخلق الخلق لعبادته.

س٣٥٣- ما الواجب في الشرع اعتقادًا وعملًا؟

الجواب: الواجب في الشرع اعتقادًا وعملًا ما يلي:

أولًا ـ الواجب في الشرع اعتقادًا؛ يتضمن ما يلي:

١) الإيمان بأنه سبحانه شرع الشرائع وأمر العباد ونهاهم، ليطيعوا أمره ويجتنبوا نهيه فقد خلقهم ليعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، قال تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] فحيث كان متفردًا بالخلق والبدء والإعادة ولا يشركه في ذلك أحد، فهو الذي يستحق أن يُفرد بالعبادة دون سواه كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة:٢١].

٢) أن الله ﷻ خلق الخلق جميعًا لغاية واحدة؛ لعبادته وحده لا شريك له قال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

قال الشيخ السعدي ﵀: «هذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالىٰ، فإن تمام العبادة، متوقف علىٰ المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفةً لربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم» (١).

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨١٣).

٣) وأنه أرسل رسله وأنزل كتبه لتحقيق عبوديته، ودليل ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [النحل:٣٦]، وقال: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف:٤٥].

٤) وأن من يطع الرسول فقد أطاع الله لِأَنَّ الرَّسُولَ يَأْمُرُ بِمَا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَيَنْهَىٰ عَمَّا يَنْهَىٰ اللهُ عَنْهُ، وَيُحِبُّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَيُبْغِضُ مَا يُبْغِضُهُ اللهُ، وَيُوَالِي أَوْلِيَاءَ اللهِ، وَيُعَادِي أَعْدَاءَ اللهِ.

فَمَنْ بَايَعَهُ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَإِنَّمَا بَايَعَ اللهَ عَلَىٰ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَمَنْ أَطَاعَهُ فَإِنَّمَا أَطَاعَ اللهَ: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء:٨٠]، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤]، ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١]، وَقَدْ أَوْجَبَ السَّعَادَةَ لِمَنْ أَطَاعَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩]، وَعَلَّقَ السَّعَادَةَ وَالشَّقَاوَةَ بِطَاعَتِهِ وَمَعْصِيَتِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [النساء:١٣]، ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ

حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٤]، ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجن:٢٣]، فَطَاعَةُ الرَّسُولِ فِيمَا أَمَرَنَا بِهِ هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَعْتَمِدَهُ، وَهُوَ سَبَبُ السَّعَادَةِ، كَمَا أَنَّ تَرْكَ ذَلِكَ سَبَبُ الشَّقَاوَةِ(١)

ثانيًا: الواجب في الشرع عملًا؛ ما يلي:

١) عبادة الله سبحانه وتعالىٰ مع الإخلاص في الدين والموافقة للسنة وهذان الأمران مجتمعان لا ينفك أحدهما عن الآخر.

فالإخلاص: أن يكون مراد العبد بجميع أقواله وأعماله الظاهرة والباطنة ابتغاء وجه الله تعالىٰ، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الليل:١٩-٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإنسان:٩]، وغيرها من الآيات.

والمتابعة: أي متابعة النبي ﷺ فيأتي بالعبادة كما أتىٰ بها ﷺ.

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ عَائِشَةَ ڤ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ**».

وفي لفظ آخر عند مسلم عَنْ عَائِشَة ڤ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ**

(١) مجموع الفتاوىٰ [٢٢/ ٣٢١].

عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» (١).

يقول ابن رجب الحنبلي: وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ كَالْمِيزَانِ لِلْأَعْمَالِ فِي ظَاهِرِهَا كَمَا أَنَّ حَدِيثَ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» مِيزَانٌ لِلْأَعْمَالِ فِي بَاطِنِهَا، فَكَمَا أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَىٰ فَلَيْسَ لِعَامِلِهِ فِيهِ ثَوَابٌ، فَكَذَلِكَ كُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَمْرُ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَىٰ عَامِلِهِ، وَكُلُّ مَنْ أَحْدَثَ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ. (٢)

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]، قَالَ: (أَخْلَصَهُ وَأَصْوَبَهُ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّىٰ يَكُوْنَ خَالِصًا صَوَابًا. وَالخَالِصُ إِذَا كَانَ للهِ وَالصَّوَابُ إِذَا كَانَ عَلَىٰ السُّنَّةِ). (٣)

وَذَلِكَ تَحْقِيق قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(٤) رحمه الله: وَالْعِبَادَاتُ مَبْنَاهَا عَلَىٰ أَصْلَيْنِ:

---

(١) رواهما البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).
(٢) جامع العلوم والحكم ١/ ١٧٦.
(٣) رَوَاهُ الأَصْبَهَانِيُّ فِي الحِلْيَةِ (٩٥/ ٨).
(٤) (دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ٢/ ٢٠١)

أَحَدُهُمَا: أَنْ لَا يُعْبَدَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ -لَا نَعْبُدُ مِنْ دُونِهِ شَيْئًا: لَا مَلَكًا وَلَا نَبِيًّا وَلَا صَالِحًا وَلَا شَيْئًا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَالثَّانِي أَنْ نَعْبُدَهُ بِمَا أَمَرَنَا بِهِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ -لَا نَعْبُدُهُ بِبِدَعٍ لَمْ يُشَرِّعْهَا اللهُ وَرَسُولُه.

ومعنىٰ كلام شيخ الإسلام ابن تيمية ﷫: أي أن العبادات التي فرضها الله علىٰ الخلائق مبنية علىٰ أمرين ألا نصرف أي نوع من هذه العبادات لغير الله لا لصنم ولا لملك ولا لنبي ولا لأي شخص (والمراد بهذا الأصل هو الإخلاص) فهذا أولًا.

وأن نؤدي تلك العبادات بالكيفية والطريقة التي بيَّنها لنا عن طريق رسوله ﷺ ولا نؤدي تلك العبادات عن طريق البدع والأهواء (العقول) (والمراد بهذا الأصل هو المتابعة للنبي ﷺ) وهذا ثانيًا.

فالإخلاص في العمل مقتضىٰ لا إله إلا الله والمتابعة في العمل مقتضىٰ محمد رسول الله.

٢) الاستغفار بعد العبادة كما قال تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٥٥﴾ [غافر:٥٥]، أي: اصبر أيها الرسول فإن وعد الله حق ليس مشكوكًا فيه حتىٰ يصعب عليك الصبر، واستغفر لذنبك المانع لك من تحصيل فوزك وسعادتك فأمر الله نبيه بالصبر الذي يحصل فيه المحبوب، وبالاستغفار الذي فيه دفع المحظور، ولهذا كان من المشروع أن تختتم جميع العبادات بالاستغفار؛

فكان النبي ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران:١٧]، فقاموا الليل ثم ختموه بالاستغفار سَحَرًا، وآخر سورة نزلت كاملة في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ١-٣] فأمر بالاستغفار بعد تمام تعبده، وفي الحديث الصحيح أنه كان ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي**» يتأول القرآن وعليه فالمؤمن مأمور بأن يفعل ما أمر به ويترك ما نهىٰ عنه ويصبر علىٰ ما قدر عليه.

س ٣٥٤- روىٰ مسلم من حديث أَبِي بُرْدَةَ، عَنِ الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَىٰ قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ» ما معنىٰ ليغان علىٰ قلبي؟

قال أبو الفرج الجوزي في كشف المشكل(١) يحْتَمل مَعْنيين: أَحدهمَا أَن معرفَة الله ﷻ عِنْد النبي كل لَحْظَة تزيد لما يستفيده من الْعلم بِهِ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ فِي صعُود دَائِم، فَكَأَن النَّبِي ﷺ كَانَ كلما ارْتقىٰ عَن مقَام بِمَا يستفيده من الْعلم بِالله ﷻ حِين قَالَ لَهُ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤] يرىٰ ذَلِك الَّذِي كَانَ فِيهِ نقصا وغطاء، فيستغفر من الْحَالة الأولىٰ، وَمن هَذَا الْمَعْنىٰ قيل: حَسَنَات الْأَبْرَار ذنُوب المقربين

(١) كشف المشكل [٤/ ٢٣١].

ثمَّ رَأَيْت ابْن عقيل قد ذكر مثل ذَلِك فَقَالَ: كَانَ يترقىٰ ﷺ من حَال إِلَىٰ حَال، فَتَصِير الْحَالة الأولىٰ بِالْإِضَافَة إِلَىٰ الثَّانِيَة من التَّقْصِير كالذنب فَيَقَع الاسْتِغْفَار لما يَبْدُو لَهُ من عَظمَة الرب، وتتلاشىٰ الْحَال الأولىٰ بِمَا يَتَجَدَّد من الْحَال الثَّانِيَة.

وَالْمعْنَىٰ الثَّانِي: أَن التغطية علىٰ قلبه كَانَت لتقوية الطَّبْع علىٰ مَا يلاقي، فَيصير بِمَثَابَة النّوم الَّذِي تستريح فِيهِ الْأَعْضَاء من تَعب الْيَقَظَة، وَذَلِكَ أَن الطَّاعَة علىٰ الْحَقَائِق ومواصلة الْوَحْي تضعف قلبه وتوهن بدنه، وَقد أَشَارَ ﷻ إِلَىٰ هَذَا فِي قَوْله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل:٥]، وَقَوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١]، فلولا أَنه كَانَ يتعَاهَد بالغفلة لما عَاشَ بدنه لثقل مَا يعرض لَهُ. وَشَاهد هَذَا مَا يلْحقهُ من البرحاء والعرق عِنْد الْوَحْي، وَقد كَانَ ﷺ يتَعَرَّض لهَذِهِ التغطية بِأَسْبَاب يلطف فِيهَا طبعه كالمزاح ومسابقة عَائِشَة، وتخير المستحسنات، وكل ذَلِك ليعادل عِنْده من قُوَّة الْيَقَظَة.

فَإِن قيل: علىٰ هَذَا فَكيف يتَعَرَّض بِشَيْء ثمَّ يسْتَغْفر مِنْهُ؟ قُلْنَا: لِأَنَّهُ يرىٰ تِلْكَ الْحَالة بِالْإِضَافَة إِلَىٰ الْجد تقصيرا، إِلَّا أَن الْحَاجة تَدْعُو إِلَيْهَا، فَتكون بِمَثَابَة زمن الْأكل وَالنَّوْم وَالْغَائِط. انتهىٰ.

قال النووي: قَالَ الْقَاضِي قِيلَ الْمُرَادُ الْفَتَرَاتُ وَالْغَفَلَاتُ عَنِ الذِّكْرِ الَّذِي كَانَ شَأْنُهُ الدَّوَامَ عَلَيْهِ فَإِذَا فترَ عَنْهُ أَوْ غَفَلَ عَدَّ ذَلِكَ ذَنْبًا وَاسْتَغْفَرَ مِنْهُ.

قَالَ: وَقِيلَ: هُوَ هَمُّهُ بِسَبَبِ أُمَّتِهِ وَمَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِهَا بَعْدَهُ فَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ.

وَقِيلَ: سَبَبُهُ اشْتِغَالُهُ بِالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ أُمَّتِهِ وَأُمُورِهِمْ وَمُحَارَبَةُ الْعَدُوِّ وَمُدَارَاتُهُ وَتَأْلِيفُ الْمُؤَلَّفَةِ وَنَحْوُ ذَلِكَ فَيَشْتَغِلُ بذلك من عظيم مقامه فيراه ذنبا بالنسبة إلىٰ عَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ وَأَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَهِيَ نُزُولٌ عَنْ عَالِي دَرَجَتِهِ وَرَفِيعِ مَقَامِهِ مِنْ حُضُورِهِ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ وَمُشَاهَدَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ وَفَرَاغِهِ مِمَّا سِوَاهُ فَيَسْتَغْفِرُ لِذَلِكَ.

وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْغَيْنَ هُوَ السَّكِينَةُ الَّتِي تَغْشَىٰ قَلْبَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ فانزل السكينة عليهم وَيَكُونُ اسْتِغْفَارُهُ إِظْهَارًا لِلْعُبُودِيَّةِ وَالِافْتِقَارِ وَمُلَازَمَةِ الْخُشُوعِ وَشُكْرًا لِمَا أَوْلَاهُ وَقَدْ قَالَ الْمُحَاسِبِيُّ خَوْفُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ خَوْفُ إِعْظَامٍ وَإِنْ كَانُوا آمِنِينَ عَذَابَ اللهِ تَعَالَىٰ.

وَقِيلَ: يُحْتَمَلُ أَنَّ هَذَا الْغَيْنَ حَالُ خَشْيَةٍ وَإِعْظَامٍ يَغْشَىٰ الْقَلْبَ وَيَكُونُ اسْتِغْفَارُهُ شُكْرًا كَمَا سَبَقَ.

وَقِيلَ: هُوَ شَيْءٌ يَعْتَرِي الْقُلُوبَ الصَّافِيَةَ مِمَّا تَتَحَدَّثُ بِهِ النَّفْسُ فيهوشها والله أعلم.

س ٣٥٥- اذكر الفاظ الاستغفار؟

للاستغفار صيغ متعددة منها:

- أستغفر الله.
- ومنها: طلب المغفرة بصيغة الدعاء (اللهم اغفر لي).
- ومنها: بذكر اسم الله الغفور.
- ومنها: الاعتراف بالذنب كقول نبي الله يونس ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ

سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٧].

وقد جمعت هذه الصيغ فيما رواه الشيخان عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه: أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاتِي، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**»(١).

س ٣٥٦- اذكر بعض الحكم من مجيء الاستغفار بعد الفراغ من بعض العبادات؟

من هذه الحكم توقُّع النقص والتقصير فيجتهد العبد في العبادة وأيضًا الاستغفار بعد العبادة دليل على تواضع العبد لربه.

قال السعدي(٢) عند قول الله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة:١٩٩].

لما كانت [هذه] الإفاضة، يقصد بها ما ذكر، والمذكورات آخر المناسك، أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره، فالاستغفار للخلل الواقع من العبد، في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذكر الله شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة.

وهكذا ينبغي للعبد، كلما فرغ من عبادة، أن يستغفر الله عن التقصير،

(١) أخرجه البخاري [٨٣٤]، ومسلم [٢٧٠٥].
(٢) تفسير السعدي [١/ ٩٢].

ويشكره علىٰ التوفيق، لا كمن يرىٰ أنه قد أكمل العبادة، ومنَّ بها علىٰ ربه، وجعلت له محلًّا ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت، ورد الفعل، كما أن الأول، حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال آخر. اهـ.

وقال ابن تيمية(١): الِاسْتِغْفَارُ يُخْرِجُ الْعَبْدَ مِنْ الْفِعْلِ الْمَكْرُوهِ، إلَىٰ الْفِعْلِ الْمَحْبُوبِ مِنْ الْعَمَلِ النَّاقِصِ إلَىٰ الْعَمَلِ التَّامِّ وَيَرْفَعُ الْعَبْدَ مِنْ الْمَقَامِ الْأَدْنَىٰ إلَىٰ الْأَعْلَىٰ مِنْهُ وَالْأَكْمَلِ؛ فَإِنَّ الْعَابِدَ لِلَّهِ وَالْعَارِفَ بِاللهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَلْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ بَلْ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ يَزْدَادُ عِلْمًا بِاللهِ. وَبَصِيرَةً فِي دِينِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ بِحَيْثُ يَجِدُ ذَلِكَ فِي طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَنَوْمِهِ وَيَقَظَتِهِ وَقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَيَرَىٰ تَقْصِيرَهُ فِي حُضُورِ قَلْبِهِ فِي الْمَقَامَاتِ الْعَالِيَةِ وَإِعْطَائِهَا حَقَّهَا فَهُوَ يَحْتَاجُ إلَىٰ الِاسْتِغْفَارِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ؛ بَلْ هُوَ مُضْطَرٌّ إلَيْهِ دَائِمًا فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ فِي الغوائب وَالْمَشَاهِدِ لِمَا فِيهِ مِنْ الْمَصَالِحِ وَجَلْبِ الْخَيْرَاتِ وَدَفْعِ الْمَضَرَّاتِ وَطَلَبِ الزِّيَادَةِ فِي الْقُوَّةِ فِي الْأَعْمَالِ الْقَلْبِيَّةِ وَالْبَدَنِيَّةِ الْيَقِينِيَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ... اهـ.

س ٣٥٧-علىٰ من يرد شيخ الإسلام بالأصل الثاني في الرسالة وهو توحيد الشرع والقَدَرِ؟

الجواب: يرد شيخ الإسلام بهذا الأصل علىٰ طائفتين:

أـ المنحرفين في الشرع وهم المتصوفة.

ب ـ المنحرفين في القدر من القدرية والجبرية والصوفية.

س ٣٥٨- يدور الأصل الثاني في الرسالة علىٰ محورين اذكرهما؟

---

(١) مجموع الفتاوىٰ [١١/ ٦٩٦].

المحور الأول: الإيمان بربوبية الله تعالىٰ الشاملة، وأنه خالق كل شيء، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

المحور الثاني: الإيمان بأنه خلق الخلق لعبادته وشرع لهم الشرائع.

س٣٥٩ – قوله تعالىٰ: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف:٤٥] **هل أدرك النبي ﷺ أحدًا حتىٰ يؤمر بسؤاله؟**

لم يدرك النبيُّ ﷺ أحدًا من الأنبياء وعليه فالكلام ليس علىٰ ظاهره بل المراد اسأل أحبارهم ورهبانهم المنصفين منهم وأتباعهم وكذلك بالنظر في كتبهم ورسالاتهم.

وقد استشكل العلماء ذلك إذ كيف يأمره الله بسؤالهم مع الانقطاع الزمني الظاهر بينه وبينهم، فكانت تفسيراتهم علىٰ عدة أقوال:

القول الأول: المقصود أمره بسؤال الرسل والأنبياء الذين صلىٰ بهم ليلة الإسراء.

نقل هذا ابن جرير الطبري[١] في «تفسيره» عن ابن عباس، وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم، وعزاه القرطبي إلىٰ سعيد بن جبير وقتادة وغيرهم من التابعين ثم قال في «الجامع لأحكام القرآن»[٢]: «هذا هو الصحيح في تفسير هذه الآية» انتهىٰ.

---

(١) تفسير الطبري [٢١/ ٦١١].
(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/ ٩٥).

القول الثاني: المقصود أن يسأل الأمم التي أُرسل إليها الأنبياء من قبله، وليس سؤال الرسل أنفسهم.

قال ابن كثير(١): «قوله: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف:٤٥].

أي: جميع الرسل دعوا إلىٰ ما دعوت الناس إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد، كقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

قال مجاهد: في قراءة عبد الله بن مسعود: «واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا»، وهكذا حكاه قتادة والضحاك والسدي عن ابن مسعود، وهذا كأنه تفسير لا تلاوة» انتهىٰ.

قال ابن جرير الطبري(٢): «وَأَوْلَىٰ الْقَوْلَيْنِ بِالصَّوَابِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: عُنِيَ بِهِ: سَلْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: سَلِ الرُّسُلَ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: سَلِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ وَبِكِتَابِهِمْ؟

قِيلَ: جَازَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ وَبِكُتُبِهِمْ أَهْلُ بَلَاغٍ عَنْهُمْ مَا أَتَوْهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ، فَالْخَبَرُ عَنْهُمْ وَعَمَّا جَاءُوا بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ إِذَا صَحَّ بِمَعْنَىٰ

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/ ٢٣٠).
(٢) تفسير الطبري (٢١/ ٦١٢-٦١٣).

خَبَرِهِمْ، وَالْمَسْأَلَةُ عَمَّا جَاءُوا بِهِ بِمَعْنَىٰ مَسْأَلَتِهِمْ إِذَا كَانَ الْمَسْئُولُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِمْ وَالصِّدْقِ عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ نَظِيرُ أَمْرِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ إِيَّانَا بِرَدِّ مَا تَنَازَعْنَا فِيهِ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ، يَقُولُ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَعْنَىٰ ذَلِكَ: فَرُدُّوهُ إِلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، لِأَنَّ الرَّدَّ إِلَىٰ ذَلِكَ رَدٌّ إِلَىٰ اللهِ وَالرَّسُولِ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف:٤٥]، إِنَّمَا مَعْنَاهُ: فَاسْأَلْ كُتُبَ الَّذِينَ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الرُّسُلِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ صِحَّةَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِنَا، فَاسْتَغْنَىٰ بِذِكْرِ الرُّسُلِ مِنْ ذُكْرِ الْكُتُبِ، إِذْ كَانَ مَعْلُومًا مَا مَعْنَاهُ» انتهىٰ.

وهناك أقوال أخرىٰ غير قوية يمكن مراجعتها في «تفسير القرطبي»[(١)] .

والله أعلم.

س ٣٦٠- اذكر أنواع التوحيد عند المتكلمين؟

التوحيد عند المتكلمين ثلاثة أنواع فيقولون: الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

يقول الرازي - وكان من أئمة المتكلمين في كتابه المطالب العالية -:
«اعلم أنه -تعالىٰ -واحد في ذاته، وواحد في صفاته، وواحد في أفعاله، أما أنه واحد في ذاته، فلأن ذاته منزهة عن جهات التركيبات، لا من التركيبات المقدارية الحسية كما في الجسم، ولا من التركيبات العقلية كما في النوع

(١) (١٦/٩٦).

المركب من الجنس والفصل، وأما أنه واحد في صفاته فهو أنه ليس في الوجود موجود آخر يساويه في الوجود بالذات، وفي العلم بكل المعلومات، وفي القدرة علىٰ كل الممكنات، وفي الغنىٰ عن كل ما سواه. وأما أنه واحد في أفعاله فهو أنه ليس في الوجود موجود يكون مبدئًا لجميع الممكنات إما بواسطة أو بغير واسطة إلا هو(١).

يقول الشهرستاني: «وأمَّا التوحيد فقد قال أهل السنة [يعني الأشاعرة] وجميع الصفاتية: إن الله تعالىٰ واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته الأزلية لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له»(٢).

وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث: وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد وهذا النوع الثالث عندهم هو توحيد الربوبية عند أهل السنة.

هكذا يقرر المتكلمون أنواع التوحيد، فيجعلون توحيد الربوبية -الذي لم يوجد فيه نزاع بين الأنبياء وأممهم -هو أهم أقسام التوحيد وأوجبها معرفة، مع أن الله تعالىٰ أخبر في كتابة الكريم أن كفار قريش وغيرهم عند بعثة المصطفىٰ ﷺ، كانوا يعرفون توحيد الربوبية ويعتقدون أن الله هو الخالق لكل شيء، فإذا وجه لأحدهم سؤال: ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ [العنكبوت:٦١]، ﴿مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [لقمان:٢٥]،

(١) المطالب العالية [٣/ ٢٥٧ - ٢٥٨]، وانظر: التفسير الكبير للرازي [٤/ ١٧٢].
(٢) الملل والنحل (١/ ٤٢).

﴿ مَنْ خَلَقَهُمْ ﴾ [الزخرف:٨٧]، فإنه على الفور يجيب: ﴿ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف:٨٧] هو الذي خلقهما وخالقهم. وكانوا يعرفون أن معنى لا إله إلا الله نفي ألوهية أي كائن كان، لا أصنامهم ولا غيرها مع الله تعالى، ولهذا وقفوا في وجوه رسلهم شعارهم: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾ [ص:٥]، ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٥- ٣٦] فكانوا في فهمهم وهم على شركهم أحسن من فهم علماء الكلام -وهم يدعون الإسلام -حينما قرروا أن معنى لا إله إلا الله: لا قادر على الاختراع والخلق والإيجاد إلا الله، وهو معنى باطل يرده كتاب الله، ومع إقرارهم [أي المشركين] قاتلهم الرسول ﷺ واستحل أموالهم ودماءهم وسبى نساءهم وذراريهم.

س ٣٦١- ما مدى موافقة توحيد المتكلمين للحق؟

توحيدهم فيه قصور ومن حققه لا يصير بذلك التوحيد مسلمًا.

س ٣٦٢- ما وجه الغلط والقصور عند المتكلمين في مفهوم التوحيد؟

غلط أهل الكلام في توحيدهم من ثلاثة وجوه:

١-ظنهم أن هذا التوحيد-**الربوبية**-هو المطلوب من المكلفين وهو المقصود من دعوة الرسل وهذا ليس هو التوحيد الذي بعث الله به الرسل، والإقرار بهذا وحده لا ينفع صاحبه، لأن هذا أقرّ به المشركون وصناديد الكفرة، ولم يخرجهم من الكفر، ولم يدخلهم في الإسلام، فهذا غلطٌ عظيم، فمن اعتقد هذا الاعتقاد ما زاد على اعتقاد أبي جهل وأبي لهب، فالذي عليه

الآن بعض المثقّفين هو تقرير توحيد الربوبية فقط، ولا يتطرقون إلىٰ توحيد الألوهية، وهذا غلط عظيم في مسمّىٰ التوحيد.

٢ – ظنهم أن هذا التوحيد هو معنىٰ لا إله إلا الله وفسروا الإلهية بالقدرة علىٰ الاختراع.

٣ – أهملوا ذكر توحيد العبادة وغفلوا عنه.

س ٣٦٣– بناءً علىٰ ما سبق فما معنىٰ لا إله إلا الله عند المتكلمين؟

معناها لا خالق إلا الله أو لا قادر علىٰ الاختراع إلا الله.

قال الشهرستاني: «إن أخص وصف الإله هو القدرة علىٰ الاختراع فلا يشاركه فيه غيره، ومن أثبت فيه شركة فقد أثبت إلهين»(١).

وقال البغدادي: «واختلف أصحابنا - يعني الأشاعرة - في معنىٰ الإله، فمنهم من قال: إنه مشتق من الإلهية وهي قدرته علىٰ اختراع الأعيان. وهو اختيار أبي الحسن الأشعري(٢).

يقول الشهرستاني: «قال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: إذا كان الخالق علىٰ الحقيقة هو الباري تعالىٰ، لا يشركه في الخلق غيره، فأخص وصفه تعالىٰ هو: القدرة علىٰ الاختراع، قال: وهذا هو تفسير اسمه تعالىٰ: الله»(٣).

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام [١/ ٩١].
(٢) أصول الدين [١/ ١٢٣].
(٣) الملل والنحل (١/ ١٠٠)، وذكره في نهاية الإقدام [١/ ٩١].

وهذا التفسير الذي ذهبوا اليه من أبطل الباطل وتفسير مبتدع يقول الشَّيْخ سُلَيْمَان بن عبد الله فِي شرح كتاب التَّوْحِيد(١): -فإن قيل: قد تبين معنىٰ الإله والإلهية، فما الجواب عن قول من قال: بأن معنىٰ الإله القادر علىٰ الاختراع ونحو هذه العبارة؟

قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أن هذا قول مبتدع لا يعرف أحد قاله من العلماء ولا من أئمة اللغة، وكلام العلماء وأئمة اللغة علىٰ أن الإله فعال بمعنىٰ مفعول أي معبود، إله بمعنىٰ مألوه أي معبود؛ لأن الإلهة بمعنىٰ العبادة والألوهة بمعنىٰ العبودية، وأصلها من أَلَهَ يَأْلهُ إِلهَةً وألوهة؛ إذا عَبَد مع الحب والخوف والرجاء؛ إذا عبد عابد ما يعبده خائفًا راجيًا محبًّا فإنه يكون قد ألهه قال رؤبة ابن العجاج:

لله درّ الغانيات المُدّهِ... سبّحن واسترجعن من تألهِ

يعني من عبادتي، والتأله هو العبادة (لا إله) معناها لا معبود فتفسير الإله بمعنىٰ المعبود هو التفسير الحق؛ لأن ذلك الذي يقتضيه لسان العرب، وعليه فيكون تفسير هؤلاء للإله بأنه القادر علىٰ الاختراع تفسيرًا وقولًا باطلًا.

الثاني: علىٰ تقدير تسليمه، فهو تفسير باللازم للإله الحق، فإن اللازم له أن يكون خالقًا قادرًا علىٰ الاختراع، ومتىٰ لم يكن كذلك، فليس بإله حق وإن سمي إلهًا، وليس مراده أن من عرف أن الإله هو القادر علىٰ الاختراع،

(١) تيسير العزيز الحميد [١/ ٥٩] بتصرف.

فقد دخل في الإسلام وأتىٰ بتحقيق المرام من مفتاح دار السلام، فإن هذا لا يقوله أحد، لأنه يستلزم أن يكون كفار العرب مسلمين، ولو قدر أن بعض المتأخرين أرادوا ذلك فهو مخطئ يرد عليه بالدلائل السمعية والعقلية. انتهىٰ.

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في رده علىٰ المفهوم الخاطئ لأهل الكلام تجاه المراد بالتوحيد(١): وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء أنهم إذا أثبتوا ذلك فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا فيه فقد فنوا في غاية التوحيد...إلىٰ أن قال:

فإذا فسر المفسر (الإله) بمعنىٰ القادر علىٰ الاختراع، واعتقد أن هذا المعنىٰ هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد -ما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية -وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله الله ﷺ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع ذلك مشركين.. انتهىٰ.

س ٣٦٤- إذًا فما التوحيد الذي دعا إليه الرسول ﷺ؟

دعا الرسول ﷺ وغيره من الأنبياء عليهم السلام إلىٰ توحيد العبادة بمعنىٰ إفراد

(١) فتح المجيد [١/ ١٢].

الله تعالىٰ بكل أنواع العبادة والكفر بكل ما يعبد من دون الله تعالىٰ.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله(١): وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها، وهو معنىٰ قول: لا إله إلا الله. فإن الإله هو المألوه المعبود بالمحبة، والخشية، والإجلال، والتعظيم، وجميع أنواع العبادة، ولأجل هذا التوحيد خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه افترق الناس إلىٰ مؤمنين وكفار، وسعداء أهل الجنة وأشقياء أهل النار. قال الله تعالىٰ: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾ [البقرة:٢١]. فهذا أول أمر في القرآن. وقال تعالىٰ: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ** ﴾ [المؤمنون:٢٣]. فهذه دعوة أول رسول بعد حدوث الشرك.

وقال هود لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود:٥٠]. وقال صالح لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود:٦١]. وقال شعيب لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود:٨٤]. وقال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ

(١) تيسير العزيز الحميد [١/ ٢٠] بتصرف.

﴿٤٥﴾ [الزخرف:٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال (هرقل) لأبي سفيان ـ لما سأله عن النبي ﷺ ما يقول لكم؟ ـ قال: يقول: «**اعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم**»(١).

وقال النبي ﷺ لمعاذ: «**إنك تأتي قومًا أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**»(٢). وفي رواية: «**أن يوحدوا الله**».

وهذا التوحيد هو أول واجب علىٰ المكلف، لا النظر ولا القصد إلىٰ النظر ولا الشك في الله، كما هي أقوال لِمَن لم يدر ما بعث الله به رسول الله ﷺ من معاني الكتاب والحكمة، فهو أول واجب وآخر واجب، وأوّل ما يدخل به الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال ﷺ: «**مَنْ كان آخر كلامه (لا إله إلا الله) دخل الجنة**». حديث صحيح. وقال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله**» متفق عليه.

وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح وأبدأ فيه وأعاد، وضرب لذلك الأمثال، بحيث إن كل سورة في القرآن فيها الدلالة علىٰ هذا التوحيد، ويسمىٰ هذا النوع:

١- **توحيد الإلهية**؛ لأنه مبني علىٰ إخلاص التأله، وهو أشد المحبة لله وحده، وذلك يستلزم إخلاص العبادة.

(١) أخرجه البخاري [٧].

(٢) أخرجه البخاري [١٣٩٥].

٢- **وتوحيد العبادة** لذلك.

٣- **وتوحيد الإرادة،** لأنه مبني علىٰ إرادة وجه الله بالأعمال.

٤- **وتوحيد القصد،** لأنه مبني علىٰ إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده.

٥- **وتوحيد العمل،** لأنه مبني علىٰ إخلاص العمل لله وحده. قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر:٢]، وقال: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝١٢﴾ [الزمر:١١، ١٢]. ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ...﴾ [الزمر:١٤، ١٥] - إلىٰ أن قال: - فكل هذه السور في الدعاء إلىٰ هذا التوحيد، والأمر به، والجواب عن الشبهات والمعارضات، وذكر ما أعد الله لأهله من النعيم المقيم، وما أعد لِمَن خالفه من العذاب الأليم. وكل سورة في القرآن بل كل آية في القرآن، فهي داعية إلىٰ هذا التوحيد، شاهدة به، متضمنة له...انتهىٰ

س ٣٦٥ -ما الذي يدل عليه معنىٰ الرب والإله في لغة العرب؟

الجواب: يدل الأول علىٰ الإحاطة والخلق والإيجاد والتربية، والثاني يدل علىٰ المعبود بحق أو باطل.

س ٣٦٦- ماذا أراد المتكلمون من قولهم إن الله واحد في صفاته لا شبيه له؟

قال العلامة العثيمين رحمه الله[(١)]: إن أرادوا به إثبات صفات الله تعالىٰ علىٰ الوجه اللائق به من غير أن يماثله أحد فيما يختص به فهذا حق، وهو مذهب السلف لكن عامة المتكلمين لا يريدون ذلك.

وإن أرادوا به نفي أن يكون شيء من المخلوقات مماثلًا له من كل وجه، فهذا لغو لا حاجة إليه فهو كقول القائل: السماء فوقنا والأرض تحتنا، لأن مماثلة الخالق للمخلوق من كل وجه معلوم الانتفاء، - بل الامتناع - بضرورة العقل، والسمع، وإجماع العقلاء؛ ولهذا لم يثبت أحد من الأمم أحدًا مماثلًا لله تعالىٰ من كل وجه، وغاية من شبه به شيئًا أن يشبهه به في بعض الأمور.

- وإن أرادوا به نفي أن يكون بين صفات الخالق والمخلوق قدر مشترك مع تميز كل منهما بما يختص به - وهذا مرادهم - فهو باطل، لأنه قد علم بضرورة العقل أن كل موجودين قائمين بأنفسهما لابد من قدر مشترك بينهما مع تميز كل واحد منهما بما يختص به، كاتفاقهما في مسمىٰ الوجود والذات والقيام بالنفس... ونحو ذلك، ونفي هذا القدر تعطيل محض.

والقول بهذا المراد لا يمنع نفي ما يجب لله تعالىٰ من صفات الكمال عند من يرىٰ أن إثبات ذلك يستلزم التشبيه، فقد سبق أن أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة وغيرهم أدخلوا نفي الصفات في مسمىٰ التوحيد وقالوا: من أثبت لله علمًا أو قدرة ونحو ذلك فهو مشبه غير موحد، وزاد عليهم غلاة الفلاسفة والقرامطة فأدخلوا فيه نفي الأسماء وقالوا: من قال إن الله عليم

(١) تقريب التدمرية [١/ ١٢٠].

قدير... ونحو ذلك فهو مشبه غير موحد، وزاد عليهم غلاة الغلاة فقالوا: إن الله لا يوصف بما يتضمن إثباتًا أو نفيًا، فمن نفي عنه صفة، أو أثبت له صفة فهو مشبه غير موحد!...انتهىٰ.

س ٣٦٧- اذكر الفرق المختلفة في معنىٰ لا إله إلا الله؟

اختلف المُقرُّون بلا إله إلا الله في معناها إلىٰ أربع فرق:

الفرقة الأولىٰ قالت: معناها لا معبود إلا الله، وبناءً علىٰ ذلك فإنهم ألَّهوا كل معبود من دون الله، قالوا: لأن الله أخبر في كتابه بأنه قضىٰ وقدَّر أن لا يُعبد إلا هو فقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]؛ فمِنْ أَمْحَلِ المُحال أن يُعبد إلا الله، فالمعبود عندهم هو الله حقًّا، فالعِجْلُ هو الله، وفرعون هو الله حقًّا، والبقر هو الله، والكواكب هي آلهة حقًّا، والأصنام آلهة حقًّا، وهذا هو مذهب أهل الحلول والاتحاد وأوقعهم في ذلك الكفر أنهم جعلوا القضاء في الآية كونيًّا فلم يفرقوا بين القضاء الشرعي وبين القضاء الكوني فقوله تعالىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] هذا قضاء شرعي قد يقع وقد لا يقع.

والفرقة الثانية قالت: معناها لا موجود إلا الله، فليس لله تعالىٰ وجود سوىٰ هذا العالم المرئي، وهؤلاء هم أصحاب وحدة الوجود فليس في الكون إلا الله ولكن ظهر في صور مختلفة قال قائلهم:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا ... وما الله إلا راهب في كنيسة

تعالىٰ الله عن قول الكافرين علوًّا كبيرًا .

والفرقة الثالثة قالت: إن معنىٰ لا إله إلا الله هو القدرة علىٰ الاختراع،

وأن من اعتقد أن الله هو وحده القادر علىٰ الاختراع؛ فقد حقق معنىٰ لا إله إلا الله، وهذا هو مذهب أهل الكلام.

والفرقة الرابعة: هم أهل السنة والجماعة؛ فإنهم هم الذين يوحّدون الله تعالىٰ حقًّا بأقوالهم وأفعالهم امتثالًا لأمره تعالىٰ لنبيه محمد ﷺ الوارد في قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، وهم الذين يفسرون لا إله إلا الله بقوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾ [الفاتحة:٥]، وبقوله تعالىٰ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود:١٢٣]، وبقوله تعالىٰ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨]، وبقوله تعالىٰ: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر:٢-٣] إلىٰ غير ذلك من الآيات التي تمنع التوكل أو الاعتماد علىٰ غيره تعالىٰ، فأهل السنة والجماعة لا يدعون إلا الله، ولا يستغيثون إلا بالله، ولا ينذرون إلا لله، ولا يحلفون إلا بالله، وهم الذين يخشونه ولا يخشون أحدًا سواه.

فلا إله إلا الله عندهم معناها لا معبود بحق إلا الله.

وهناك فرقة خامسة: فسروا معنىٰ لا إله إلا الله بـ [لا حاكم إلا الله] فقد خالف سيد قطب في تفسير (لا إله إلا الله) علماء التوحيد والتفسير والفقه واللغة المعتبرين، وتابع المودودي في هذه النظرة كما في كتابه [المصطلحات الأربعة في القرآن] بأن الإله هو الحاكم المتسلط، والمودودي في نظريته هذه تابع الفيلسوف الألماني (هيجل) في «الحكومة الكلية».

يقول سيد: إن الأمر المستيقن في هذا الدين: أنه لا يمكن أن يقوم في الضمير عقيدة، ولا في واقع الحياة دينًا؛ إلا أن يشهد الناس أن لا إله إلا الله؛ أي: لا حاكمية إلا لله، حاكمية تتمثل في قضائه وقدره كما تتمثل في شرعه وأمره [(١)].

ويقول في تفسير قوله تعالىٰ في سورة القصص: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ ﴾ [القصص:٧٠]: أي: فلا شريك له في الخلق والاختيار[(٢)].

ويقول سيد قطب: فلقد كانوا (أي: العرب) يعرفون من لغتهم معنىٰ (إله) ومعنىٰ (لا إله إلا الله) ... كانوا يعرفون أن الألوهية تعني الحاكمية العليا[(٣)].

وقال أيضًا: (لا إله إلا الله)؛ كما كان يدركها العربي العارف بمدلولات لغته: لا حاكمية إلا لله، ولا شريعة إلا من الله، ولا سلطان لأحد علىٰ أحد؛ لأن السلطان كله لله[(٤)].

إن هذا الذي ينسبه سيد إلىٰ العرب من أن الألوهية تعني الحاكمية لا يعرفه العرب ولا علماء اللغة ولا غيرهم، بل الإله عند العرب هو المعبود الذي يُتقرَّب إليه بالعبادة يُلازمها الخضوع والذل والحب والخوف، وليس معناه عندهم الذي يُتحاكم إليه.

وإليك كلام أئمة التفسير ليتبين لك ضلال هذا الضال الأثيم.

---

(١) العدالة الاجتماعية: (ص ١٨٢/ الطبعة الثانية عشرة).
(٢) ظلال القرآن (٥/ ٢٧٠٧).
(٣) ظلال القرآن (٢/ ١٠٠٥).
(٤) ظلال القرآن (٢/ ١٠٠٦).

يقول الطبري رحمه الله: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ يقول تعالىٰ ذكره: وربك يا محمد، المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا معبود تجوز عبادته غيره ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ ﴾ يعني: في الدنيا ﴿وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ يقول: وله القضاء بين خلقه ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص:٧٠] يقول: وإليه تردون من بعد مماتكم، فيقضي بينكم بالحقّ (١).

يقول ابن كثير رحمه الله: وَقَوْلُهُ: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أَيْ: هُوَ الْمُنْفَرِدُ بِالْإِلَهِيَّةِ، فَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ، كَمَا لَا رَبَّ يَخْلُقُ وَيَخْتَارُ سِوَاهُ ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ﴾ أَيْ: فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ هُوَ الْمَحْمُودُ عَلَيْهِ، لِعَدْلِهِ وَحِكْمَتِهِ ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ ﴾ أَيِ: الَّذِي لَا مُعَقِّبَ لَهُ، لِقَهْرِهِ وَغَلَبَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحِمَتِهِ، ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [القصص:٧٠] أَيْ: جَمِيعُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُجَازِي كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ، مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ فِي سائر الأعمال (٢).

س ٣٦٨- اذكر معتقد أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم؟

قال الطحاوي مبينًا عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم [وإنَّ القرآنَ كَلامُ الله، منْهُ بَدَا بلا كَيْفِيَّة قَوْلًا، وأنْزلَه علىٰ رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقهُ المؤمنون علىٰ ذلك حقًّا، وأَيْقَنُوا أنَّه كلامُ الله تعالىٰ بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلام البَرِيَّةِ، فمن سمِعَهُ فزَعَمَ أَنَّهُ كلامُ البشرِ، فَقَدْ كَفَرَ، وقد ذمَّهُ الله وعابَهُ

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٩/ ٦١٢).
(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٦/ ٢٥١).

وأوعَدهُ بسَقَر، حيث قال تعالىٰ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ [المدثر:٢٦]، فَلَمَّا أَوْعَدَ اللهُ بِسَقَرٍ لمنْ قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر:٢٥]، عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولُ خالقِ البَشرِ، ولا يُشْبِهُ قولَ البشر][1].

وقال أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَرْخِيُّ الشَّافِعِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ (الْفُصُولَ فِي الْأُصُولِ)[2]: سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا مَنْصُورٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْإِمَامَ أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ اللهِ بْنَ أَحْمَدَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الشَّيْخَ أَبَا حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِنِيَّ، يَقُولُ: مَذْهَبِي، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ، وَفُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَالْقُرْآنُ حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام مَسْمُوعًا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَالنَّبِيُّ ﷺ سَمِعَهُ مِنْ جِبْرِيلَ، وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم سَمِعُوهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ. قَالَ وَهُوَ الَّذِي نَتْلُوهُ نَحْنُ بِأَلْسِنَتِنَا وَفِيمَا بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، وَمَا فِي صُدُورِنَا مَسْمُوعًا وَمَكْتُوبًا وَمَحْفُوظًا وَمَقْرُوءًا، وَكُلُّ حَرْفٍ مِنْهُ كَالْبَاءِ وَالتَّاءِ كَلَامُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَمَنْ قَالَ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ عَلَيْهِ لَعَائِنُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ...انتهىٰ.

س ٣٦٩- ماذا أراد المتكلمون من قولهم إن الله واحد في ذاته لا قسيم له؟

قال العلامة العثيمين رحمه الله[3]:

- فإن أرادوا به أن الله تعال لا يتجزأ ولا يتفرق ولا يكون مركبًا من أجزاء

---

(١) الطحاوية [١/ ٤٠].

(٢) مجموع الفتاوىٰ [١٢/ ١٦٠].

(٣) تقريب التدمرية [١/ ١٢٠].

فهذا حق، فإن الله تعالىٰ أحد صمد، لم يلد ولم يكن له كفوًا أحد.

- وإن أرادوا به مع ذلك نفي ما وصف به نفسه كعلوه واستوائه علىٰ عرشه، ووجهه، ويديه ونحو ذلك -وهذا مرادهم- (حيث زعموا أنه لو كان الله موصوفًا باليد لكان يقبل التقسيم ومن ثم قالوا لا قسيم له لنفي الصفات الخبرية عن الله تعالىٰ ومنها صفة اليد) فهذا باطل، لأن الله تعالىٰ قد أثبت لنفسه من صفات الكمال من هذا وغيره ما هو أهل له. وتوحيده فيها إثباتها له علىٰ الوجه اللائق به بدون تمثيل لا أن تُنفىٰ عنه بنوع من التحريف والتعطيل.

س ٣٧٠- توحيد العبادة له مفاهيم أخرىٰ اذكرها؟

يسمىٰ هذا الأصل توحيد العمل؛ لأنه هو عمل القلوب والجوارح تجاه الرب ﷻ، وما يجب أن يعمله العباد في حق ربهم ﷻ، فهو توحيد عمل، حتىٰ المحبة والرجاء والخوف واليقين والإنابة والإحسان وغير ذلك هي أعمال قلوب، فيتوجه بها إلىٰ الله ﷻ وحده، فلذلك يسمىٰ: توحيد العمل.

ويسمَّىٰ: توحيد القصد والإرادة؛ لأنه مبني علىٰ إخلاص القصد في جميع العبادات، بإرادة وجه الله تعالىٰ.

بإفراده سبحانه في قصدك وطلبك وصلاتك وصومك، وسائر عباداتك، لا تقصد بها إلا وجهه جل وعلا، وهكذا صدقاتك، وسائر أعمالك التي تتقرب بها، لا تقصد بها إلا وجهه جل وعلا، فلا تدعو إلا إياه، ولا تنذر إلا له، ولا تتقرب بأنواع القربات إلا له سبحانه، ولا تطلب شفاء المرضىٰ والنصر علىٰ الأعداء إلا منه ﷻ، توحده في كل ذلك.

ويسمَّىٰ: بالتوحيد الطلبي الإرادي؛ لتضمنه الطلب، والدعاء من العبد لله، وسمي بذلك لأن توحيد العبادة هو التوجه والطلب إلىٰ الله ﷻ بالعبادات من قبل العباد، ولأن الله ﷻ أيضًا طالب العباد به.

ويسمَّىٰ توحيد الإلهية؛ لأنه مبني علىٰ التعبد والتأله، وهو المحبة والانجذاب إلىٰ الله ﷻ، والانطراح إليه سبحانه، والخضوع له، والتوجه إليه بأنواع العبادة القلبية واللسانية وعبادة الجوارح، وعليه لابد أن يكون علىٰ شرع، ومعنىٰ التأله: التعبد، والتعبد أيضًا لا يكون إلا علىٰ ما جاء به الرسول، فلذلك سمي توحيد الإلهية.

ويسمَّىٰ بتوحيد العبادة؛ باعتبار إضافته إلىٰ الموحِّد وهو العبد، ولتضمنه إخلاص العبادة لله وحده.

س ٣٧١- قول شيخ الإسلام في القدر: هو تقدير الله تعالىٰ لما كان وما يكون أزلًا وأبدًا اشرح ذلك؟

قال العثيمين رحمه الله: هو تقدير الله تعالىٰ لما كان وما يكون أزلًا وأبدًا والأزل يكون في الماضي والأبد يكون في المستقبل ومعلوم أن الله تعالىٰ قد قدَّر كل شيء، فقدَّر كل ما كان في الأزل وما يكون في الأبد ولم يقدر ذلك أحد مع الله تعالىٰ بل هو المنفرد بالتقدير.

س ٣٧٢- عرِّف القدر؟

بادئ ذي بدء قال الطحاوي[1] وَأَصْلُ الْقَدَرِ سِرُّ اللهِ تَعَالَىٰ فِي خَلْقِهِ لَمْ

(١) الطحاوية [١/ ٤٩].

يَطَّلِعْ عَلَىٰ ذَلِكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَالتَّعَمُّقُ وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ ذَرِيعَةُ الْخِذْلَانِ وَسُلَّمُ الْحِرْمَانِ وَدَرَجَةُ الطُّغْيَانِ فَالْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ ذَلِكَ نَظَرًا وَفِكْرًا وَوَسْوَسَةً فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ طَوَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَنْ أَنَامِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْ مَرَامِهِ كَمَا قال الله تَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء:٢٣] فَمَنْ سَأَلَ لِمَ فَعَلَ؟ فَقَدْ رَدَّ حُكْمَ الْكِتَابِ وَمَنْ رَدَّ حُكْمَ الكتاب كان من الكافرين.

وقال النووي(١): قالَ الْإِمَامُ أَبُو الْمُظَفَّرِ السَّمْعَانِيُّ سَبِيلُ مَعْرِفَةِ هَذَا الْبَابِ [أي القضاء والقدر] التَّوْقِيفُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ دُونَ مَحْضِ الْقِيَاسِ وَمُجَرَّدِ الْعُقُولِ فَمَنْ عَدَلَ عَنِ التَّوْقِيفِ فِيهِ ضَلَّ وَتَاهَ فِي بِحَارِ الْحَيْرَةِ وَلَمْ يَبْلُغْ شِفَاءَ النَّفْسِ وَلَا يَصِلْ إِلَىٰ مَا يَطْمَئِنُّ بِهِ الْقَلْبُ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ أَسْرَارِ اللهِ تَعَالَىٰ الَّتِي ضُرِبَتْ مِنْ دُونِهَا الْأَسْتَارُ اختص اللهُ بِهِ وَحَجَبَهُ عَنْ عُقُولِ الْخَلْقِ وَمَعَارِفِهِمْ لِمَا عَلِمَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَوَاجِبُنَا أَنْ نَقِفَ حَيْثُ حَدَّ لَنَا وَلَا نَتَجَاوَزَهُ وَقَدْ طَوَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عِلْمَ الْقَدَرِ عَلَىٰ الْعَالَمِ فَلَمْ يعلمه نبي مرسل ولا ملك مُقَرَّبٌ وَقِيلَ إِنَّ سِرَّ الْقَدَرِ يَنْكَشِفُ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَا يَنْكَشِفُ قَبْلَ دُخُولِهَا وَاللهُ أَعْلَمُ.

وقال أيضًا: وجماع هَذَا الْبَاب [أي القضاء والقدر] أَن يعلم أَن الله تَعَالَىٰ طوىٰ عَن الْعَالم علم مَا قَضَاهُ وَقدره علىٰ عباده، فَلم يطلع عَلَيْهِ نَبيًّا مُرْسلًا، وَلَا ملكًا مقربًا، لِأَنَّهُ خلقهمْ ليتعبدهم، ويمتحنهم. قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا

(١) شرح النووي علىٰ مسلم [١٦/ ١٩٦].

خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]. وَقد نقلنا عَن عَليّ رضي الله عنه: أَنه خلقهمْ ليأمرهم بِالْعبَادَة.

فَلَو كشف لَهُم عَن سر مَا قضىٰ وَقدر لَهُم وَعَلَيْهِم فِي عواقب أُمُورهم لافتتنوا، وفتروا عَن الْعَمَل، واتكلوا علىٰ مصير الْأَمر فِي الْعَاقِبَة فَيكون قصاراهم «أي نهايتهم» عِنْد ذَلِك أَمن أَو قنوط. وَفِي ذَلِك بطلَان الْعِبَادَة وَسُقُوط الْخَوْف والرجاء. فلطف الله سُبْحَانَهُ بعباده وحجب عَنْهُم علم الْقَضَاء وَالْقدر، وعلقهم بَين الْخَوْف والرجاء، والطمع والوجل: ليبلو سَعْيهمْ واجتهادهم، وليميز الله الْخَبيث من الطّيب. وَلله الْحجَّة الْبَالِغَة.

قال الآجري في الشريعة(١): أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ سَائِلًا سَأَلَ عَنْ مَذْهَبِنَا فِي الْقَدَرِ؟ فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نُخْبِرَهُ بِمَذْهَبِنَا أَنَّا نَنْصَحُ لِلسَّائِلِ، وَنُعَلِّمُهُ أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِالْمُسْلِمِينَ التَّنْقِيرُ وَالْبَحْثُ عَنِ الْقَدَرِ؛ لِأَنَّ الْقَدَرَ سِرٌّ مِنْ سِرِّ اللهِ عز وجل، بَلِ الْإِيمَانُ بِمَا جَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَاجِبٌ عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ، ثُمَّ لَا يَأْمَنُ الْعَبْدُ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ الْقَدَرِ فَيُكَذِّبُ بِمَقَادِيرِ اللهِ الْجَارِيَةِ عَلَىٰ الْعِبَادِ، فَيَضِلُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ.

تعريف القدر:

القدر في اللغة: مصدر قدرت الشيء أقدره إذا أحطت بمقداره.

والقدر في الشرع: هو ما قدره الله تعالىٰ في الأزل، أن يكون في خلقه بناء علىٰ علمه السابق.

---

(١) الشريعة [٢/ ٧٠٢].

وقال ابن عباس[١]: الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ، فَمَنْ وَحَّدَ اللهَ وَآمَنَ بِالْقَدَرِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا وَمَنْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَىٰ، وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ، نَقَضَ التَّوْحِيدَ.

وقال زيد بن أسلم[٢]: الْقَدَرُ قَدَّرَهُ اللهُ ﷻ، فَمَنْ كَذَّبَ بِالْقَدَرِ، فَقَدْ جَحَدَ قُدْرَةَ اللهِ ﷻ.

قال ابن القيم[٣]: وقال الإمام أحمد: القدر قدرة الله واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدًّا وقال هذا يدل علىٰ دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين وهو كما قال أبو الوفاء: فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب علىٰ خلق أعمال العباد وكتابها وتقديرها.

وللشافعي أربعة أبيات يقول عنها ابن عبد البر إنها من أثبت ما نسب إليه، ومن أحسن ما قيل في القدر نظمًا:

فما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

خلقتَ العباد علىٰ ما علمتَ ... ففي العلم يجري الفتىٰ والمسن

علىٰ ذا مننتَ وهذا خذلتَ ... وهذا أعنتَ وذا لن تُعن

فمنهم شقي ومنهم سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة [٤٥٦].

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة [٤٨٢].

(٣) شفاء العليل [١/ ٢٨].

وقال ابن قيم في النونية(١):

فحقيقة القدر الذي حار الورىٰ ... في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد ... لما حكاه عن الرضا الرباني

قال الإمام شفا القلوب بلفظة ... ذات اختصار وهي ذات بيان

وعليه فالقدر في الاصطلاح: «ما سبق به العلم، وجرىٰ به القلم مما هو كائن إلىٰ الأبد، وأنه ﷻ قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالىٰ، وعلىٰ صفات مخصوصة، فهي تقع علىٰ حسب ما قدرها.

س ٣٧٣- دل التعريف السابق للقدر علىٰ أن القدر يشتمل علىٰ أمرين اذكرهما؟

الجواب: **الأول**: علم الله الأزلي الذي حكم فيه بوجود ما شاء أن يوجده، وحدد صفات المخلوقات التي يريد إيجادها، وقد كتب كل ذلك في اللوح المحفوظ بكلماته، فالأرض والسماء أحجامهما وأبعادهما وطريقة تكوينهما وما بينهما وما فيهما كل ذلك مدون عِلْمُهُ في اللوح المحفوظ تدوينًا دقيقًا وافيًا.

والثاني: إيجاد ما قدر الله إيجاده علىٰ النحو الذي سبق به علمه وجرىٰ به قلمه، فيأتي الواقع المشهود مطابقًا للعلم السابق المكتوب.

---

(١) نونية ابن القيم [١/ ٣٦]

س ٣٧٤- عرف القضاء؟

القضاء لغة: الحكم والفصل.

وشرعًا: هو ما قضىٰ به الله سبحانه وتعالىٰ في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير.

وقال ابن حجر(١) قَالَ الْكَرْمَانِيُّ: الْمُرَادُ بِالْقَدَرِ حُكْمُ اللهِ، وَقَالُوا – أَيِ الْعُلَمَاءُ: الْقَضَاءُ هُوَ الْحُكْمُ الْكُلِّيُّ الْإِجْمَالِيُّ فِي الْأَزَلِ وَالْقَدَرُ جُزْئِيَّاتُ ذَلِكَ الْحُكْمِ وَتَفَاصِيلُهُ.

س٣٧٥- ما الفرق بين القضاء والقدر؟

ج: **القدر**: هو تقدير لشيء قبل قضائه. والقضاء هو الفراغ من الشيء. ومن الشواهد التي ذكرها أبو حاتم للتفريق بين القضاء والقدر أن القدر منزلة تقدير الخياط للثوب فهو قبل أن يفصله يقدره فيزيد وينقص فإذا فصله فقد قضاه وفرغ منه وفاته التقدير. وعلىٰ هذا يكون القدر سابقًا للقضاء.

قال ابن الأثير: فالقَضاء والقَدَر أَمْرَانِ مُتَلازِمان لَا يَنْفَك أحدُهما عَنِ الآخَر، لِأَنَّ أحدَهُما بمَنْزلة الْأَسَاسِ وَهُوَ القَدَر، والآخَرَ بِمَنْزِلَةِ البِناء وَهُوَ القَضاء، فَمَنْ رَامَ الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا، فَقَدْ رَامَ هَدْم البِناء ونَقْضَه(٢).

والقضاء والقدر إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنىٰ فأصبح لكل منهما

(١) فتح الباري [٢/ ٤٧٧].
(٢) النهاية في غريب الحديث [٤/ ٧٨].

معنىٰ يخصه، وإذا افترقا في الذكر دخل أحدهما في معنىٰ الآخر. ذكر ذلك بعض أهل العلم.

قال العلامة العثيمين(١) رحمه الله: اختلف العلماء في الفرق بينهما، فمنهم من قال: إن القدر: «تقدير الله في الأزل»، والقضاء: «حكم الله بالشيء عند وقوعه»، فإذا قدر الله - تعالىٰ - أن يكون الشيء المعين في وقته فهذا قدر، فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاء، وهذا كثير في القرآن الكريم مثل قوله- تعالىٰ -: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ﴾ [يوسف:٤١]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر:٢٠]، وما أشبه ذلك. فالقدر تقدير الله - تعالىٰ - الشيء في الأزل، والقضاء قضاؤه به عند وقوعه.

ومنهم من قال: إنهما بمعنىٰ واحد.

والراجح: أنهما إن قُرنا جميعًا فبينهما فرق كما سبق، وإن أفرد أحدهما عن الآخر فهما بمعنىٰ واحد، والله أعلم». انتهىٰ.

وقال رحمه الله: القضاء والقدر الصحيح أنهما من هذا النوع، يعني أن القضاء إذا أفرد شمل القدر. والقدر إذا أفرد شمل القضاء، لكن إذا اجتمعا فالقضاء: «ما يقضيه الله في خلقه من إيجاد، أو إعدام، أو تغيير»، والقدر: «ما قدره الله -تعالىٰ - في الأزل». هذا هو الفرق بينهما، فيكون القدر سابقًا، والقضاء لاحقًا». انتهىٰ.

(١) مجموع وفتاوىٰ ابن عثيمين [٢/ ٧٩].

قال العلامة الفوزان(١): ولا بد للمسلم من الإيمان بالقدر العام وتفاصيله، فمن جحد شيئًا منها؛ لم يكن مؤمنًا بالقدر، ومن لم يؤمن بالقدر؛ فقد جحد ركنًا من أركان الإيمان؛ كما عليه الفرقة القدرية الضالة التي تنكر القدر، وهم في هذا الإنكار علىٰ قسمين:

القسم الأول: القدرية الغلاة، ينكرون علم الله بالأشياء قبل كونها، وينكرون كتابته لها في اللوح المحفوظ، ويقولون: إن الله أمر ونهىٰ، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه؛ فالأمر آنف - أي: مستأنف - لم يسبق في علم الله وتقديره، وهذه الفرقة قد انقرضت أو كادت.

القسم الثاني: تقر بالعلم، ولكنها تنفي دخول أفعال العباد في القدر، وتزعم أنها مخلوقة لهم استقلالًا، لم يخلقها الله ولم يردها، وهذا مذهب المعتزلة.

وقابلتهم طائفة غلت في إثبات القدر حتىٰ سلبوا العبد قدرته واختياره، وقالوا: إن العبد مجبر علىٰ فعله، ولذلك سموا بالجبرية.

وكلا المذهبين باطل؛ لأدلة كثيرة؛ منها قوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير:٢٨-٢٩]؛ لأن قوله تعالىٰ: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [التكوير:٢٨]: يرد علىٰ الجبرية؛ لأن الله أثبت للعباد مشيئة، وهم يقولون: إنهم مجبورون لا مشيئة لهم.

---

(١) الإرشاد إلىٰ صحيح الاعتقاد والرد علىٰ أهل الشرك والإلحاد [١/ ٢٩٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير:٢٩]؛ فيه الرد علىٰ القدرية القائلين بأن مشيئة العبد مستقلة بإيجاد الفعل من غير توقف علىٰ مشيئة الله، وهذا قول باطل؛ لأن الله علَّق مشيئة العبد علىٰ مشيئته - سبحانه - ربطها بها، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في هذه القضية، فلم يفرِّطوا تفريط القدرية النفاة، ولم يُفْرِطوا إفراط الغلاة.

س ٣٧٦- اذكر أركان الإيمان بالقدر ودليل كل ركن؟

الجواب: الإيمان بالقدر يقوم علىٰ أربعة أركان، من أقرَّ بها جميعًا فإن إيمانه بالقدر يكون مكتملًا، ومن انتقص واحدًا منها أو أكثر فقد اختل إيمانه بالقدر، وهذه الأركان الأربعة هي:

الأول: الإيمان بعلم الله بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات وإحاطته بذلك علمًا فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون. وقد دل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق:١٢]. وقال ﷻ: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الحشر:٢٢]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه:٩٨].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»(١).

(١) أخرجه البخاري [١٣٨٣]، ومسلم [٢٦٦٠].

فنصوص الكتاب العزيز والسنة الصحيحة متضافرة علىٰ إثبات علم الله تعالىٰ المحيط بكل شيء ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك:١٤] فمن جحد هذه المرتبة فهو كافر مرتد عن دين الإسلام.

الثاني: الإيمان بأن الله كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، فما يجري شيء إلا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ، ليس هناك شيء يجري وهو غير مكتوب، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحديد:٢٢] يعني اللوح المحفوظ، كتب الله فيه مقادير كل شيء، قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]. وقال تعالىٰ: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس:١٢].

ومن السنة: عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**»(١).

فمن جحد الكتابة، وقال: الله يعلم كل شيء، لكنه لم يكتب في اللوح المحفوظ شيئًا، هذا كافر مرتد عن دين الإسلام.

الثالث: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته التامة، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

---

(١) أخرجه مسلم [٢٦٥٣].

فمشيئة الله النافذة: هي أن الله سبحانه يشاء الشيء ويريده، فما من شيء يحدث إلا وقد شاءه الله وأراده كما في اللوح المحفوظ، وكما علمه سبحانه وتعالىٰ، يشاء كل شيء في وقته، ويريد كل شيء في وقت حدوثه، لا يقع شيء بدون مشيئة الله، أو بدون إرادة الله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢]. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير:٢٩].

وأخرج الشيخان من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمْ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ اللهَ صَانِعٌ مَا شَاءَ، لا مُكْرِهَ لَهُ**»(١).

فمن قال: إن الأشياء تحدث بدون أن يشاءها الله أو يريدها فهذا كافر.

الرابع: الخلق والإيجاد، فالله خالق كل شيء، إذا شاءه وأراده خلقه سبحانه وتعالىٰ وأوجده، فكل شيء هو مخلوق لله سبحانه وتعالىٰ، وهو من خلق الله، وهو فعل العباد وكسب العباد. فهو سبحانه خالق لكل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه. قال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر:٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٦].

وروىٰ البخاري في صحيحه من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم [٢٦٧٩]، والبخاري [٢٦٧٩].

«**كَانَ اللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»(١).

فهذه الأركان الأربعة لا بد من الإيمان بها، وإلا لم يكن الإنسان مؤمنًا بالقدر مرتبة العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق والإيجاد، كل هذه لا بد من الإيمان بها، فمن جحد شيئًا منها فإنه كافر مرتد عن دين الإسلام؛ لأنه جحد ركنًا من أركان الإيمان، وهو الإيمان بالقدر.

وجمعت في قول الناظم:

علمٌ كتابة مولانا مشيئته ... وخلقه وهو إيجادٌ وتكوينٌ

س ٣٧٧- ما ضابط الخلق؟

الخلق هو الإيجاد من العدم أو الإيجاد بعد العدم.

والخلق يأتي على ثلاثة معاني:

المعنىٰ الأول: التقدير، بمعنىٰ أن كل ما خلقه الله قدره، والله جل وعلا إذا قدر خلق، ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤﴾ [المؤمنون:١٤]، ثم إن من الممكن أن يكون التقدير بمعنىٰ الدراسة، والتي يسمونها دراسة جدوىٰ.

فالله جل وعلا يقدر وهو أحسن المقدرين؛ لأن الله إذا قدر شيئًا أخرجه لحيز الوجود لأنه قادر ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾

(١) أخرجه البخاري [٣١٩١].

[يس:٨٢]، أما العباد فقد يقدرون ويخططون لكنهم لا يستطيعون التنفيذ، ولذلك قال: (لأنت تفري ما خلقت) يعني: تخرجه لحيز الوجود، والبعض يخلق ولا يفري، يعني: يقدر ولا يخرج ما قدره إلىٰ حيز الوجود.

هذا المعنىٰ الأول.

والمعنىٰ الثاني: الإيجاد من العدم، وهذا ينفرد به الله جل وعلا، ولا يشترك فيه مع الله أحد، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد:١٦]، أي: أوجدهم من عدم ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ①﴾ [الإنسان:١]، فالله جل وعلا هو الذي خلقه من عدم.

المعنىٰ الثالث: التحويل من صورة إلىٰ صورة، بمعنىٰ: أنه إذا كانت الصورة خشبة فتحول إلىٰ باب، وهذه يشترك فيها البشر، فيسمىٰ المحول خالقًا لهذا الباب، وكذلك الحديد لو حُوِّل إلىٰ سيارة، فهل هذا الخشب أو الحديد أنزله البشر من السماء؟ **الجواب**: لا.

قال العلامة العثيمين ﵀[(١)]: إن الخلق هو الإيجاد، وهذا خاص بالله تعالىٰ، أما تحويل الشيء من صورة إلىٰ أخرىٰ، فإنه ليس بخلق حقيقة، وإن سمي خلقًا باعتبار التكوين، لكنه في الواقع ليس بخلق تام، فمثلًا: هذا النجار صنع من الخشب بابًا، فيقال: خلق بابًا، لكن مادة هذه الصناعة الذي خلقها هو الله ﷻ، لا يستطيع الناس كلهم مهما بلغوا في القدرة أن يخلقوا عُودَ أراك أبدًا، ولا أن يخلقوا ذرة ولا أن يخلقوا ذبابًا». انتهىٰ.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية [١/ ٢٢].

س ٣٧٨- قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠] **تضمنت هذه الآية مراتب القدر الأربع وضح ذلك؟**

الجواب: نعم فقوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:٧٠]، هذه المرتبة الأولىٰ مرتبة العلم.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحج:٧٠] هذه المرتبة الثانية مرتبة الكتابة.

والمرتبة الثالثة والرابعة: «المشيئة والخلق» تضمنتها عبارة واحدة، وهي قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، أي: يسير في تقديره، ويسير في خلقه، يسير علىٰ الله تقدير المقادير، ويسير علىٰ الله خلق المخلوقات، فاجتمعت المرتبتان الأخيرتان من القدر في هذه العبارة.

وعليه فالعلم والكتابة والمشيئة والخلق قد اجتمعت في هذه الآية بشكل بين وواضح.

س٣٧٩-كتب الله تعالىٰ كل شيء عن كل شيء في اللوح المحفوظ ما وجه تسميته محفوظ؟

سُمِّي بذلك لأنه محفوظ عن التغيير فلا يتغير فيه شيء قال تعالىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩].

س ٣٨٠- قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [الرعد:٣٩] **أين يقع المحو إذًا؟**

يقع المحو في صحف الملائكة فقط.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد:٣٩] وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي قدر الله فيه الأمور علىٰ ما هي عليه. ففي كتب الملائكة يزيد العمر وينقص، وكذلك الرزق بحسب الأسباب، فإن الملائكة يكتبون له رزقًا وأجلًا، فإذا وَصَلَ رَحِمَهُ زِيدَ له في الرزق والأجل، وإلا فإنه ينقص له منهما. والأجل أجلان: أجل مطلق يعلمه الله، وأجل مقيد، فإن الله يأمر الملك أن يكتب لعبده أجلًا، فإن وصل رحمه، فيأمره بأن يزيد في أجله ورزقه. والمَلَكُ لا يعلم أَيُزَادُ له في ذلك أم لا، لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لم يتقدم ولم يتأخر.

يقول ابن حجر العسقلاني: الَّذِي سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ وَأَنَّ الَّذِي يَجُوزُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَالتَّبْدِيلُ مَا يَبْدُو لِلنَّاسِ مِنْ عَمَلِ الْعَامِلِ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَتَعَلَّقَ ذَلِكَ بِمَا فِي عِلْمِ الْحَفَظَةِ وَالْمُوَكَّلِينَ بِالْآدَمِيِّ فَيَقَعُ فِيهِ الْمَحْوُ وَالْإِثْبَاتُ كَالزِّيَادَةِ فِي الْعُمُرِ وَالنَّقْصِ وَأَمَّا مَا فِي عِلْمِ اللهِ فَلَا مَحْوَ فِيهِ وَلَا إِثْبَاتَ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ(١).

س ٣٨١- هل كتب الله ما كتب بيده؟

لم يكتب الله تعالىٰ ذلك بيده بل أمر القلم بكتابة ذلك روىٰ الامام أحمد بسند صحيح من حديث عُبَادَة بْنِ الصَّامِتِ قال سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: وَمَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: الْقَدَرُ قَالَ: فَكَتَبَ مَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ**»(٢)، ويجوز أن ينسب

(١) فتح الباري [١١/ ٤٨٨].

(٢) أخرجه أحمد [٢٢٧٠٧]، والترمذي [٣٣١٩]، وصححه الألباني.

الفعل إلىٰ الآمر به فيقال بنىٰ الملك قصره أي أمر ببنائه.

س ٣٨٢- هل هناك من ادَّعىٰ أن للكون خالقين متكافئين؟

لم يدع أحد ذلك قط بل عامة المشركين بالله مقرّون بأنه ليس شريكه مثله، بل عامتهم مقرون أن الشريك مملوك له سواء كان ملكًا أو نبيًّا أو كوكبًا أو صنمًا، كما كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك.

س ٣٨٣- من الذي اخترع هذه التلبية الشركية؟

الجواب: ذكر أهل السير(١) أن التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام: «**لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك**»، حتىٰ كان عمرو بن لحي الخزاعي فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال: لبيك لا شريك لك، فقال الشيخ (أي الشيطان): إلا شريكًا هو لك، فأنكر ذلك عمرو وقال: ما هذا؟ فقال الشيخ (أي الشيطان): تملكه وما ملك فإنه لا بأس بهذا فقالها ودانت بها العرب...، القصة.

س ٣٨٤- اذكر بعض الأدلة علىٰ أن المشركين كانوا مقرين بتوحيد الأفعال «توحيد الربوبية»؟

* قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٣١].

(١) الروض الأنف [١/ ٢١٢].

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦١].

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٣].

* وقال تعالىٰ: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩].

* وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف:٨٧].

س ٣٨٥– ما أعظم وأسوأ ما قيل في هذا الباب؟

أسوا ذلك ما قالته الثنوية؛ قالوا: أن النور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر، ولهم في الظلمة قولان:

الأول: أنها محدثة وعلىٰ هذا تكون مخلوقة من جملة المخلوقات.

القول الثاني: لهم في الظلمة أنها قديمة ولا تفعل إلا الشر وعلىٰ هذا فهي ناقصة في ذاتها وصفاتها ومفعولاتها عن النور وبهذا يتبين أنه لم يقل أحد قط

من مشركي العالم بوجود خالقين متكافئين في ذاتهما وصفاتهما.

قال العلامة العثيمين رحمه الله(١): قول الثنوية القائلين بالأصلين: النور، والظلمة، وأن النور خلق الخير، والظلمة خلقت الشر، لكنهم لا يقولون بتساويهما وتكافئهما:

فالنور مضيء موافق للفطرة، بخلاف الظلمة.

والنور قديم، ولهم في الظلمة قولان: أحدهما: أنها محدثة مخلوقة للنور، فيكون النور أكمل منها. الثاني: أنها قديمة لكنها لا تخلق إلا الشر.

فصارت الظلمة ناقصة عن النور في مفعولاتها، كما أنها ناقصة عنه في وجودها وصفاتها». انتهىٰ.

س ٣٨٦- هل في العالم من يجعل شيئًا مخلوقًا لغير الله تعالىٰ؟

نعم أفعال العباد عند المعتزلةِ «نفاة القَدَر» عندهم أنَّ أفعال العباد خارجةٌ عن مُلْكِ الله وقدرتِه ومشيئتِه، بل العبدُ عندهم هو الذي يخلُقُ فِعْلَ نفسِه بمشيئةٍ هو فيها مستَقِلٌّ عن مشيئَةِ الله، فالعبدُ يشاءُ ولو لم يشأ اللهُ.

وعلىٰ مذهبهم الباطل فإنَّ الله لا يقدر علىٰ أن يجعل المطيع عاصيًا، ولا العاصي مطيعًا، ولا الكافر مؤمنًا، ولا المؤمن كافرًا، فمذهبهم يتضمن تَعْجِيزَ الرَّب، وأنه غيرُ قادرٍ، وأنَّه يقع في ملكِه ما لا يريد، فهذان المذهبان علىٰ طرفي نقيض.

---

(١) تقريب التدمرية [١/ ١١٠].

لكن مع ذلك يقولون نفس الإنسان مخلوقة وهذا القول منهم تناقضه أبين من أن يبين.

س ٣٨٧- مِمّ ينشأ فعل الآدمي؟

ينشأ فعل الآدمي من القدرة التامة والإرادة الجازمة وكلاهما من خلق الله تعالىٰ.

وقد سُئل أعرابي بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم وصرف الهمم، وهذا الجواب من الأعرابي علىٰ فطرته قول سديد، ونقض العزائم: يعني أن الإنسان يعزم علىٰ الشيء عزمًا أكيدًا، لا يداخله أدنىٰ إشكال، ثم يتراجع بدون أي سبب، وكذلك صرف الهمم، فقد يهم الإنسان بالشيء ويبدأ بالفعل والمباشرة له ثم ينصرف.

ولهذا قال الأعرابي أنه بذلك عرف الله؛ لأن نقض العزائم وصرف الهمم ليس له سبب معلوم يضاف إليه، إذًا فلابد أن يكون السبب إلهيًّا. إذًا فأفعالنا مخلوقة لله.

وقد أخرج الأصبهاني(١) بسنده إلىٰ أَحْمد بْن الْمِقْدَام قَالَ: سَمِعت مُعْتَمِرًا يحدث مَرْحُوم الْعَطَّار قَالَ معتمر: أَتَانِي رجل فَقَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّد إِن أخي هَذَا أَرَادَ شِرَاء جَارِيَة من فلَان، وَقد أحب أَن يَسْتَعِين بِرَأْيِك فَقُمْ مَعنا إِلَيْهِ، فَانْطَلَقْنَا إِلَيْهِ فَإِذا رجل سري فَبينا نَحن عِنْده، فَقُلْنَا: جاريتك فُلَانَةُ أَرَادَ هَذَا الرجل أَن تعرضها. قَالَ: نعم. قد حضر الْغَدَاء فتغدوا، وأخرجها إِلَيْكُم.

(١) الحجة في بيان المحجة [٢/ ٢٨].

قُلْنَا: هَات غداءك فتغدينا ثمَّ قَالَ: لَا يسقيكم المَاء إِلَّا من أردتم أَن تعترضوه (يعني بذلك الجارية التي جاءوا لشرائها) ادعوا فُلَانَة، فَجَاءَت جَارِيَة وضيئة فَقَالَ لَهَا: اسقيني. فَجَاءَت بقدح زجاج فصبت لَهُ فِيهِ مَاء، فَوَضَعته علىٰ راحته ثمَّ رَفعه إِلَىٰ فِيهِ، ثمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُحَمَّد يزْعم نَاس أَنِّي لَا أَسْتَطِيع أَشْرب هَذَا. ترىٰ هَا هُنَا حَائِلًا، ترىٰ هَا هُنَا مكْرهًا. ثمَّ قَالَ: هِيَ حرَّة إِن لم أشربها، فَضربت الْقدح بردن قميصها (الرُّدْنُ: مُقَدَّمُ كُمِّ القميص) فَوَقع الْقدح، وانكسر، وإهراق المَاء. فَخرجت مُتَقَنعَة فَكَانَت بعد تُدعىٰ مولاة السُّنة.

حاصل الأمر أن هذا الذي يريد أن يشتري الجارية يعتقد أنه يخلق فعل نفسه وأراد أن يقيم الحجة علىٰ من حضر عن طريق شرب الماء الذي جاءت به الجارية فلما وضع القدح علىٰ راحته ثم رفعه إلىٰ فيه وزعم أنه ليس هناك مانع مطلقًا حتىٰ ولو لم يشأ الله تعالىٰ أن يشربه ففطنت الجارية لعقيدة الرجل الفاسدة ولقنته درسًا عمليًّا وهو أن إرادتنا ومشيئتنا لا تخرج عن مشيئة الله وإرادته الكونية فضربت القدح فوقع وانكسر ولم يشرب فأين خلق العبد لفعله.

ومثل ذلك أيضًا ما حدث مع إسحاق بن راهويه رحمه الله دخل أحد رؤوس المعتزلة عليه ثم رفع المعتزلي إحدىٰ رجليه وقال لإسحاق: أنا خلقت هذا الرفع!! إشارة إلىٰ مذهب المعتزلة بعدم القول بخلق الله تعالىٰ لأفعال العباد.

فقال إسحاق: اخلق الثاني وارفع الرِّجل الأخرىٰ إن كنت خالقًا حقًّا !! فبهت المعتزلي.

ومثله أيضًا أن أبا حنيفة رحمه الله ناظر معتزليًّا فقال له: قل: باء، فقال المعتزلي: باء، فقال له أبو حنيفة قل: حاء، فقال المعتزلي حاء، فقال: بين مخرجهما؟ فبينهما المعتزلي فقال له أبو حنيفة: إن كنت خالقًا فعلك فاجعل مخرج الباء من مخرج الحاء؟! فبهت المعتزلي وانصرف.

والمعتقد الصحيح هو ما قاله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات:٩٦]، قال ابن كثير(١): ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ «مَا» مَصْدَرِيَّةٌ، فَيَكُونُ تَقْدِيرُ الْكَلَامِ: وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَعَمَلَكُمْ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَىٰ «الَّذِي» تَقْدِيرُهُ: وَاللهُ خَلْقَكُمْ وَالَّذِي تَعْمَلُونَهُ. وَكِلَا الْقَوْلَيْنِ متلازم، والأول أظهر.

وروىٰ البخاري في خلق أفعال العباد عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ**» وَتَلَا بَعْضُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات:٩٦]، فَأَخْبَرَ أَنَّ الصِّنَاعَاتِ وَأَهْلَهَا مَخْلُوقَةٌ(٢)

س ٣٨٨- قول شيخ الإسلام وكذلك أهل الفلسفة والطبع والنجوم من هم؟

أما أهل الفلسفة فالمشهور أنهم يألهون العقل ويجعلون المرجعية إليه في كل شيء.

وأهل الطبع هم الطبائعيون الذين يزعمون أن الطبيعة بذاتها هي التي

(١) تفسير ابن كثير [٧/ ٢٦].
(٢) خلق أفعال العباد [١/ ٤٦].

تسير نفسها بنفسها، أو أن الطبيعة ركبت علىٰ أنها تحدث أحداثًا ليس لله ﷻ فيها دخل، أو الذين يرون أن الأمور تنبني علىٰ ما طبعت عليه، وهم صنفان:

الأول: الذين يرون أن الطبيعة هي الخالق، وهي المخلوق، ولا فرق في ذلك، وعلىٰ هذا فهم يرون أنها بذاتها هي التي تسير نفسها بنفسها.

الثاني: وهو المقصود هنا، وهؤلاء يزعمون أن الكون ركب علىٰ طبع، أي: أنه ركب علىٰ نظام، وهذا النظام يجعله يسير نفسه بنفسه، دون أن يكون للرب ﷻ فيه دخل، أو أن بعض أجزاء الكون ركبت وطبعت علىٰ أنها تنشئ أفعالها أو أفعال غيرها من دون تقدير الله، وهذا التصور نتج عنه -حينما دخل علىٰ بعض فرق الأمة- اعتقاد بأن هناك من المخلوقات من يدبر مع الله ﷻ، وأنه يستقل بشيء من أفعال الخلق أو أمور الخلق من دون الله، فبعضهم أحال ذلك علىٰ النجوم والكواكب، ومنهم من أحال ذلك علىٰ الأشخاص، كالأئمة الذين يقدسونهم بعض الناس، فجعلوا لهم تدبيرًا في الكون جزئيًّا أو كليًّا، أو الذين يقدسون الأولياء، إذ زعموا أن الأولياء يدبرون الكون أو بعض الكون، بل إنهم صنفوا الأولياء إلىٰ أصناف، فزعموا أن القطب والغوث يدبر الكون كله، وأن من دونه من الأوتاد -أحيانًا يقولون: أربعة أو اثنا عشر أو أربعة ثم اثنا عشر- يأخذ ربعًا من أرباع الكون يدبره.

والمهم أن منشأ الفلسفة واحد، وهو اعتقاد أن هناك من يدبر الكون مع الله ﷻ، وهذا خلل في توحيد الربوبية، وبالتالي نتج عنه بالضرورة الخلل في توحيد الإلهية؛ لأن من زعم أن ثم مخلوقًا يدبر مع الله لاشك أنه سيصرف له شيئًا من العبادة من دون الله.

وأهل النجوم الذين يجعلون النجوم لها تأثير في الخلق فيقولون مثلًا هذا النجم يأتي بالمطر وما أشبه ذلك. ومع ذلك يجعلون هذه الفاعلات مصنوعة مخلوقة في قرارة أنفسهم ولا يقولون إنها غنية عن الخالق بل مشاركة له في الخلق.

س ٣٨٩- ما العلاقة بين مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة؟

قال الشيخ أحمد بن حافظ الحكمي(١): مَشِيئَةُ اللهِ النَّافِذَةُ وَقُدْرَتُهُ الشَّامِلَةُ وَهُمَا يَجْتَمِعَانِ فِيمَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ، وَيَفْتَرِقَانِ فِي مَا لَمْ يَكُنْ وَلَا هُوَ كَائِنٌ. فَمَا شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ كَوْنَهُ فَهُوَ كَائِنٌ بِقُدْرَتِهِ لَا مَحَالَةَ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس:٨٢] وَمَا لَمْ يَشَأِ اللهُ تَعَالَىٰ لَمْ يَكُنْ لِعَدَمِ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ إِيَّاهُ لَيْسَ لِعَدَمِ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ فَالسَّبَبُ فِي عَدَمِ وُجُودِ الشَّيْءِ هُوَ عَدَمُ مَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ إِيجَادَهُ، لَا أَنَّهُ عَجَزَ عَنْهُ، تَعَالَىٰ اللهُ وَتَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴾ [فاطر:٤٤].

س ٣٩٠- اذكر بعض الأدلة علىٰ ما سبق؟

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام:٣٥]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود:١١٨]، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس:٩٩]، ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾

(١) معارج القبول [٣/ ٩٤٠].

[الرعد:٣١]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم﴾ [البقرة:٢٥٣]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة:١٣]، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان:٤٥] والآيات في هذا كثيرة تدل علىٰ عدم وجود ما لم يشأ وجوده لعدم مشيئته ذلك، لا لعدم قدرته عليه، فإنه علىٰ كل شيء قدير تبارك وتعالىٰ.

س ٣٩١- اذكر بعض الأدلة علىٰ الركن الثاني من أركان الإيمان بالقدر وهو الكتابة؟

* قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠].

* وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس:١٢].

* وروىٰ مسلم من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَىٰ الْمَاءِ**»(١) .

قال النووي(٢) قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْمُرَادُ بقوله ﷺ: (بخمسين ألف سنة)

(١) أخرجه مسلم [٢٦٥٣].
(٢) شرح النووي علىٰ مسلم [١٦/ ٢٠٣].

تَحْدِيدُ وَقْتِ الْكِتَابَةِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَوْ غَيْرِهِ لَا أَصْلُ التَّقْدِيرِ فَإِنَّ ذَلِكَ (أي أصل التقدير) أَزَلِيٌّ لَا أَوَّلَ لَهُ لأنه أولي بأولية الله تعالىٰ.

س -٣٩٢ ما الواجب في القدر عملًا؟

الواجب في القدر عملًا أمران:

الأول: الاستعانة بالله، والتوكل عليه والاعتماد عليه.

الثاني: الصبر علىٰ المقدور، فلا يكثر الأسىٰ علىٰ المقدور، ولا يجزع مما يصيبه، ولا يحزن علىٰ ما يفوته، بل هو يصبر علىٰ أقدار الله الموجعة.

س ٣٩٣- هل يجوز الاحتجاج بالقدر علىٰ الوقوع في المعاصي؟

لا يجوز ذلك بل يحرم مع الاعتقاد أن المعصية وقعت بقدر الله تعالىٰ ومن احتج بالقدر علىٰ الوقوع في المعصية فهو من جنس المشركين قال الله تعالىٰ عنهم منكرًا لقولهم: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٨].

وقال تعالىٰ عنهم أيضًا: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [النحل:٣٥].

وقال تعالىٰ عنهم أيضًا: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ

مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(١): وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ عَلَىٰ الذَّنْبِ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ الْمِلَلِ وَسَائِرِ الْعُقَلَاءِ؛ فَإِنَّ هَذَا لَوْ كَانَ مَقْبُولًا لَأَمْكَنَ كُلَّ أَحَدٍ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَخْطُرُ لَهُ مِنْ قَتْلِ النُّفُوسِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ وَيَحْتَجَّ بِالْقَدَرِ. وَنَفْسُ الْمُحْتَجِّ بِالْقَدَرِ إذَا اعْتُدِيَ عَلَيْهِ وَاحْتَجَّ الْمُعْتَدِي بِالْقَدَرِ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ بَلْ يَتَنَاقَضُ وَتَنَاقُضُ الْقَوْلِ يَدُلُّ عَلَىٰ فَسَادِهِ؛ فَالِاحْتِجَاجُ بِالْقَدَرِ مَعْلُومُ الْفَسَادِ فِي بِدَايَةِ الْعُقُولِ. انتهىٰ.

فمذهب سلف الأمة وأئمتها أن جميع أنواع الطاعات والمعاصي والكفر والفساد واقع بقضاء الله وقدره، لا خالق سواه؛ فأفعال العباد مخلوقة لله؛ خيرها وشرها، حسنها وقبيحها، والعبد غير مجبور علىٰ أفعاله، بل هو قادر عليها، وقاصد لها، وفاعل لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «الأعمال والأقوال والطاعات والمعاصي هي من العبد؛ بمعنىٰ أنها قائمة بالعبد وحاصلة بمشيئته وقدرته وهو المتصف بها والمتحرك بها الذي يعود حكمها عليه، وهي من الله بمعنىٰ أنه خلقها قائمة بالعبد، وجعلها عملًا له وكسبًا؛ كما يخلق المسببات بأسبابها؛ فهي من الله مخلوقة له، ومن العبد صفة قائمة به، واقعة بقدرته وكسبه؛ كما إذا قلنا: هذه الثمرة من الشجرة، وهذا الزرع من الأرض؛ بمعنىٰ أنه حدث منها، ومن الله؛ بمعنىٰ أنه خلقه منها، لم يكن بينهما تناقض.

(١) مجموع الفتاوىٰ [٨/ ١٧٩].

س٣٩٤: كيف يرد على من احتج بالقدر في ترك الواجب أو فعل المعصية؟

قال العلامة العثيمين رحمه الله: يرد على من احتج بالقدر في ترك الواجب أو فعل المعصية من وجوه سبعة...

الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام:١٤٨]، ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء:١٦٥]، ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم(١) واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو الجنة**». فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: «**لا اعملوا فكلٌّ ميسرٌ**»، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل:٥] الآية. وفي لفظ لمسلم: «**فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له**» فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل ونهى عن الاتكال على القدر.

---

(١) أخرجه البخاري [٦٦٠٥]، ومسلم [٢٦٤٧].

الرابع: أن الله تعالىٰ أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالىٰ: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦]، وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦] ولو كان العبد مجبراً علىٰ الفعل لكان مكلفًا بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه فلا إثم أو إكراه، فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالىٰ سرٌّ مكتوم لا يُعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة علىٰ فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية علىٰ علم منه بقدر الله، وحينئذ تنفىٰ حجته إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرىٰ الإنسان يحرص علىٰ ما يلائمه ثم يحتج علىٰ عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلىٰ ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحدًا؟

وإليك مثالًا يوضح ذلك: لو كان بين يدي الإنسان طريقان أحدهما ينتهي به إلىٰ بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض والأموال، فأي الطريقين يسلك؟

إنه سيسلك الطريق الذي ينتهي به إلىٰ بلد النظام والأمن، ولا يمكن لأي عاقل أبدًا أن يسلك طريق بلد الفوضىٰ، والخوف، ويحتج بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتج بالقدر؟

مثال آخر: نرىٰ المريض يؤمر بالدواء فيشربه ونفسه لا تشتهيه، ويُنهىٰ عن الطعام الذي يضره فيتركه ونفسه تشتهيه، كل ذلك طلبًا للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء أو يأكل الطعام الذي يضره

ويحتج بالقدر فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله ورسوله، أو يفعل ما نهىٰ الله ورسوله ثم يحتج بالقدر؟

السابع: أن المحتج بالقدر علىٰ ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو اعتدىٰ عليه شخص فأخذ ماله أو انتهك حرمته ثم احتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه علىٰ حق الله تعالىٰ؟

ويذكر أن - أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب ﵁ رُفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده؛ فقال: مهلًا يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله. فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

س ٣٩٥- قوله تعالىٰ عن المشركين ﴿ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف:٢٠] **هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ ظَاهِرِهِ كَلَامٌ صَحِيحٌ؛ لِأَنَّ اللهَ لَوْ شَاءَ أَنْ لَا يَعْبُدُوهُمْ مَا عَبَدُوهُمْ، كَمَا قَالَ -تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾** [الأنعام:١٠٧] **وضح ذلك وكيف الرد علىٰ هذه الشبهة؟**

قد أجاد وأفاد العلامة الشنقيطي في ذلك في كتابه (أضواء البيان) وهذا كلامه ﵀ تعالىٰ قال(١):

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ ظَاهِرَ آيَةِ «الزُّخْرُفِ» وَآيَةِ «الْأَنْعَامِ» وَآيَةِ «النَّحْلِ» - أَنَّ مَا

(١) أضواء البيان [٧/ ٩٤].

قَالَهُ الْكُفَّارُ حَقٌّ، وَأَنَّ اللهَ لَوْ شَاءَ مَا عَبَدُوا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَا أَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا، فَاعْلَمْ أَنَّ وَجْهَ الْإِشْكَالِ، أَنَّ اللهَ صَرَّحَ بِكَذِبِهِمْ فِي هَذِهِ الدَّعْوَىٰ الَّتِي ظَاهِرُهَا حَقٌّ، قَالَ فِي آيَةِ «الزُّخْرُفِ»: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [٢٠]. أَيْ يَكْذِبُونَ، وَقَالَ فِي آيَةِ «الْأَنْعَامِ»: ﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [١٤٨]. وَقَالَ فِي آيَةِ «النَّحْلِ»: ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [٣٥].

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي فَعَلَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ هُوَ الْكُفْرُ بِاللهِ، وَالْكَذِبُ عَلَىٰ اللهِ فِي جَعْلِ الشُّرَكَاءِ لَهُ، وَأَنَّهُ حَرَّمَ مَا لَمْ يُحَرِّمْهُ.

وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا أَنَّ مُرَادَ الْكُفَّارِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ﴾ [الزخرف:٢٠]، وَقَوْلِهِمْ: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام:١٤٨] مُرَادُهُمْ بِهِ أَنَّ اللهَ لَمَّا كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ مَنْعِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَهِدَايَتِهِمْ إِلَىٰ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنَ الشِّرْكِ - دَلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّهُ رَاضٍ مِنْهُمْ بِالشِّرْكِ فِي زَعْمِهِمْ.

قَالُوا: لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ رَاضِيًا بِهِ لَصَرَفَنَا عَنْهُ، فَتَكْذِيبُ اللهِ لَهُمْ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ مُنْصَبٌّ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ أَنَّهُ رَاضٍ بِهِ، وَاللهُ - جَلَّ وَعَلَا - يُكَذِّبُ هَذِهِ الدَّعْوَىٰ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ، وَفِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧].

فَالْكُفَّارُ زَعَمُوا أَنَّ الْإِرَادَةَ الْكَوْنِيَّةَ الْقَدَرِيَّةَ تَسْتَلْزِمُ الرِّضَىٰ، وَهُوَ زَعْمٌ بَاطِلٌ، وَهُوَ الَّذِي كَذَّبَهُمُ اللهُ فِيهِ فِي الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَقَدْ أَشَارَ - تَعَالَىٰ -

إِلَىٰ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمَذْكُورَةِ، حَيْثُ قَالَ فِي آيَةِ «الزُّخْرُفِ»: ﴿ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [٢١] أَيْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّا رَاضُونَ مِنْهُمْ بِذَلِكَ الْكُفْرِ.

وقال أيضًا في (دفع إيهام الاضطراب)[١]: أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي قَالَهُ الْكُفَّارُ كَلَامُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهِ بَاطِلٌ فَتَكْذِيبُ اللهِ لَهُمْ وَاقِعٌ عَلَىٰ بَاطِلِهِمُ الَّذِي قَصَدُوهُ بِهَذَا الْكَلَامِ الْحَقِّ وَإِيضَاحُهُ: أَنَّ مُرَادَهُمْ أَنَّهُمْ لَمَّا كَانَ كُفْرُهُمْ وَعِصْيَانُهُمْ بِمَشِيئَةِ اللهِ وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَمَنَعَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فَعَدَمُ مَنْعِهِ لَهُمْ دَلِيلٌ عَلَىٰ رِضَاهُ بِفِعْلِهِمْ فَكَذَّبَهُمُ اللهُ فِي ذَلِكَ مُبَيِّنًا أَنَّهُ لَا يَرْضَىٰ بِكُفْرِهِمْ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ [الزمر:٧].

فَالْكُفَّارُ زَعَمُوا أَنَّ الْإِرَادَةَ الْكَوْنِيَّةَ يَلْزَمُهَا الرِّضَا، وَهُوَ زَعْمٌ بَاطِلٌ بَلِ اللهُ يُرِيدُ بِإِرَادَتِهِ الْكَوْنِيَّةِ مَا لَا يَرْضَاهُ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [البقرة:٧] مَعَ قَوْلِهِ: وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَالَّذِي يُلَازِمُ الرِّضَىٰ حقًّا إِنَّمَا هُوَ الْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ، وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ انتهىٰ كلام الشنقيطي رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة.

س ٣٩٦– حديث احتجاج آدم وموسىٰ ما صحته؟

هو في أعلىٰ درجات الصحة فقد رواه الشيخان.

---

(١) دفع ايهام الاضطراب [١/ ٩٨].

س ٣٩٧- اذكر إحدىٰ روايات الحديث؟

روىٰ الشيخان من حديث أبي هريرة ﵁ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَىٰ ﵉ عِنْدَ رَبِّهِمَا، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ، قَالَ مُوسَىٰ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَىٰ الْأَرْضِ، فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَىٰ الَّذِي اصْطَفَاكَ اللهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ، قَالَ مُوسَىٰ: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَفَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟**» قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ**»(١)

س ٣٩٨- اذكر موقف المعتزلة والجبرية وأهل السنة من هذا الحديث؟

أما المعتزلة والقدرية فقد أنكروا الحديث لأنه أصل في ثبوت القدر وهم ينكرون القدر ويقولون أن الله -تعالىٰ عن قولهم -لا يعلم الأمور إلا بعد وقوعها.

أما الجبرية فقد أقروا بالحديث ولكن احتجوا به علىٰ باطلهم وهو أن الإنسان مجبر علىٰ أعماله.

وأما أهل السنة فهداهم الله تعالىٰ لما اختلف فيه من الحق بإذنه فأقروا بالحديث واحتجوا به علىٰ ثبوت القدر وليس في الحديث أي دلالة علىٰ

(١) أخرجه مسلم [٢٦٥٢]، والبخاري [٦٦١٤].

ثبوت الجبر.

س ٣٩٩- ما توجيه هذا الحديث عند أهل السنة؟

قال أهل السنة: ليس في الحديث دلالة علىٰ الاحتجاج بالقدر علىٰ المعائب فإن موسىٰ ﷺ لم يعتب علىٰ آدم الأكل من الشجرة بل عتب عليه لماذا أخرجتنا من الجنة فكان الرد من آدم أن الخروج من الجنة أمر قدَّره الله ولابد من وقوعه كذلك الخروج من الجنة مصيبة ويحتج بالقدر في المصائب، وذهب ابن القيم إلىٰ أن الحديث يدل علىٰ جواز الاحتجاج بالقدر علىٰ المعصية بعد فعلها بشرط الإقلاع عنها والندم علىٰ فعلها وعدم الاستمرار عليها.

قال شيخ الإسلام(١): وَهَذَا الْحَدِيثُ ضَلَّتْ فِيهِ طَائِفَتَانِ: «طَائِفَةٌ» كَذَّبَتْ بِهِ لَمَّا ظَنُّوا أَنَّهُ يَقْتَضِي رَفْعَ الذَّمِّ وَالْعِقَابِ عَمَّنْ عَصَىٰ اللهَ لِأَجْلِ الْقَدَرِ. وَ «طَائِفَةٌ» شَرٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ جَعَلُوهُ حُجَّةً وَقَدْ يَقُولُونَ: الْقَدَرُ حُجَّةٌ لِأَهْلِ الْحَقِيقَةِ الَّذِينَ شَهِدُوهُ أَوْ الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ أَنَّ لَهُمْ فِعْلًا. وَمِنْ النَّاسِ مَنْ قَالَ: إنَّمَا حَجَّ آدَمَ مُوسَىٰ لِأَنَّهُ أَبُوهُ أَوْ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَابَ أَوْ لِأَنَّ الذَّنْبَ كَانَ فِي شَرِيعَةٍ وَاللَّوْمَ فِي أُخْرَىٰ أَوْ لِأَنَّ هَذَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْأُخْرَىٰ. وَكُلُّ هَذَا بَاطِلٌ. وَلَكِنَّ وَجْهَ الْحَدِيثِ أَنَّ مُوسَىٰ ﷺ لَمْ يَلُمْ أَبَاهُ إلَّا لِأَجْلِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي لَحِقَتْهُمْ مِنْ أَجْلِ أَكْلِهِ مِنْ الشَّجَرَةِ فَقَالَ لَهُ: لِمَاذَا أَخْرَجْتنَا وَنَفْسَك مِنْ الْجَنَّةِ؟ لَمْ يَلُمْهُ لِمُجَرَّدِ كَوْنِهِ أَذْنَبَ ذَنْبًا وَتَابَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ مُوسَىٰ يَعْلَمُ أَنَّ التَّائِبَ مِنْ

(١) مجموع الفتاوىٰ [١١/ ٢٥٨].

الذَّنْبِ لَا يُلَامُ وَهُوَ قَدْ تَابَ مِنْهُ أَيْضًا وَلَوْ كَانَ آدَمَ يَعْتَقِدُ رَفْعَ الْمَلَامِ عَنْهُ لِأَجْلِ الْقَدَرِ لَمْ يَقُلْ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف:٢٣]. وَالْمُؤْمِنُ مَأْمُورٌ عِنْدَ الْمَصَائِبِ أَنْ يَصْبِرَ وَيُسَلِّمَ وَعِنْدَ الذُّنُوبِ أَنْ يَسْتَغْفِرَ وَيَتُوبَ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [غافر:٥٥] فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ عَلَىٰ الْمَصَائِبِ وَالِاسْتِغْفَارِ مِنْ المعائب. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١] قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ فَيَرْضَىٰ وَيُسَلِّمُ.

قال الإمام ابن القيم ﷺ(1): وقد رد هذا الحديث من لم يفهمه من المعتزلة كأبي علي الجبائي ومن وافقه علىٰ ذلك وقال لو صح لبطلت نبوات الأنبياء فإن القدر إذا كان حجة للعاصي بطل الأمر والنهي فإن العاصي بترك الأمر أو فعل النهي إذا صحت له الحجة بالقدر السابق ارتفع اللوم عنه وهذا من ضلال فريق الاعتزال وجهلهم بالله ورسوله وسنته فإن هذا حديث صحيح متفق علىٰ صحته لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرنًا بعد قرن وتقابله بالتصديق والتسليم ورواه أهل الحديث في كتبهم وشهدوا به علىٰ رسول الله ﷺ أنه قاله وحكموا بصحته فما لأجهل الناس بالسنة ومن عرف بعداوتها وعداوة حملتها والشهادة عليهم بأنهم مجسمة ومشبهة حشوية وهذا الشأن ولم يزل أهل الكلام الباطل المذموم موكلين

(١) شفاء العليل [١/ ١٣].

برد أحاديث رسول الله ﷺ التي تخالف قواعدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة.

ثم قال رحمه الله: وكل مَنْ أَصَّلَ أصلًا لم يؤصله الله ورسوله قاده قسرًا إلىٰ رد السنة وتحريفها عن مواضعها فلذلك لم يؤصِّل حزب الله ورسوله أصلًا غير ما جاء به الرسول فهو أصلهم الذي عليه يعولون وجنتهم التي إليها يرجعون.

س ٤٠٠- ما مراتب الهداية؟

ج - للهداية أربع مراتب؛ وهي كما يلي:

١ - **الهداية العامة لجميع المخلوقات منذ خلقها**؛ فيولد الصغير ويهتدي إلىٰ أمه وإلىٰ الرضاع وغير ذلك؛ فهذه هداية فطرية ويدل عليها قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه:٥٠].

٢ - **هداية البيان والدلالة**: وهي الهداية التي جاء بها الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى:٥٢].

٣ - **هداية التوفيق والإلهام والثبات علىٰ الحق** وهي بعد البيان ومترتبة عليها.

وهي لله ﷻ لا لغيره قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

٤ - **الهداية علىٰ الصراط يوم القيامة**، وهي مترتبة علىٰ هداية التوفيق،

فمن وُفق وهُدي في هذه الدنيا هُدِي في الصراط إلىٰ الجنة، ويدل عليها قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾ [محمد: ٤-٦].

قال الإمام ابن القيم[1]: فأما مراتب الهدىٰ فأربعة: **إحداها**: الهدىٰ العام وهو هداية كل نفس إلىٰ مصالح معاشها وما يقيمها وهذا أعم مراتبه. قال تعالىٰ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الأعلى:١-٣].

المرتبة الثانية: الهدىٰ بمعنىٰ البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلىٰ مصالح العبد في معاده وهذا خاص بالمكلفين وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولىٰ وأعم من الثالثة: وهذه الهداية هي التي أثبتها لرسوله حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢].

المرتبة الثالثة: الهداية المستلزمة للاهتداء وهي هداية التوفيق ومشيئة الله لعبده الهداية وخلقه دواعي الهدىٰ وإرادته والقدرة عليه للعبد وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس:٢٥] فجمع سبحانه بين الهدايتين العامة والخاصة، فعم بالدعوة حجة مشيئة وعدلًا، وخص بالهداية نعمة مشيئة وفضلًا وهذه المرتبة أخص من التي قبلها فأنها هداية تخص المكلفين وهي

(١) شفاء العليل [١/ ٦٥].

حجة الله علىٰ خلقه التي لا يعذب أحدًا إلا بعد إقامتها عليه قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥].

المرتبة الرابعة: الهداية يوم المعاد إلىٰ طريق الجنة والنار، قال تعالىٰ: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ [الصافات:٢٢-٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [محمد:٤-٥] فهذه هداية بعد قتلهم فقيل المعنىٰ سيهديهم إلىٰ طريق الجنة ويصلح حالهم في الآخرة بإرضاء خصومهم وقبول أعمالهم.

س ٤٠١- اذكر أقسام الناس تجاه هداية البيان والدلالة؟

الجواب:

١- **أهل الهداية**: هم العلماء العاملون؛ وهم أتباع الرسل.

٢ - **المغضوب عليهم**: هم العلماء الجاحدون؛ والمراد بهم اليهود الذين علموا الحق ولم يعملوا به ومن علىٰ شاكلتهم.

٣ - **الضالون**: هم الجاهلون بالحق؛ والمراد بهم النصارىٰ ومن علىٰ شاكلتهم.

قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارىٰ.

قال الإمام ابن القيم(١): ثم لما كان الهدىٰ والفلاح والسعادة لا سبيل إلىٰ نيله إلا بمعرفة الحق وإيثاره علىٰ غيره وكان الجهل يمنع العبد من معرفته بالحق والبغي يمنعه من إرادته كان العبد أحوج شيء إلىٰ أن يسأل الله تعالىٰ كل وقت أن يهديه الصراط المستقيم تعريفًا وبيانًا وإرشادًا وإلهامًا وتوفيقًا وإعانة فيعلمه ويعرفه ثم يجعله مريدًا له قاصدًا لاتباعه فيخرج بذلك عن طريقة المغضوب عليهم الذين عدلوا عنه علىٰ عمد وعلم والضالين الذين عدلوا عنه عن جهل وضلال كان السلف يقولون من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارىٰ وهذا كما قالوا فإن من فسد من العلماء فاستعمل أخلاق اليهود من تحريف الكلم عن مواضعه وكتمان ما أنزل الله إذا كان فيه فوات غرضه وحسد من آتاه الله من فضله وطلب قتله وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس ويدعونهم إلىٰ كتاب ربهم وسنة نبيهم إلىٰ غير ذلك من الأخلاق التي ذم بها اليهود من الكفر واللَّيّ والكتمان والتحريف والتحيل علىٰ المحارم وتلبيس الحق بالباطل فهذا شبهه باليهود ظاهر وأما من فسد من العباد فعبد الله بمقتضىٰ هواه لا بما بعث به رسوله ﷺ وغلا في الشيوخ فأنزلهم منزلة الربوبية وجاوز ذلك إلىٰ نوع من الحلول أو الاتحاد فشبهه بالنصارىٰ ظاهر فعلىٰ المسلم أن يبعد من هذين الشبهين غاية البعد ومن تصور الشبهين والوصفين وعلم أحوال الخلق علم ضرورته وفاقته إلىٰ هذا الدعاء الذي ليس للعبد دعاء أنفع منه ولا أوجب منه عليه وأن حاجته إليه أعظم من حاجته إلىٰ الحياة والنفس لأن

(١) بدائع الفوائد [٢/ ٣٢].

غاية ما يقدر بفوتهما موته وهذا يحصل له بفوته شقاوة الأبد فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين إنه قريب مجيب.

س٤٠٢ – بين مذهب أهل السنة في القدر؟

أهل السنة يؤمنون بهذا وهذا، ويؤمنون بأن الله خالق كل شيء وربه ومليكه، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهو علىٰ كل شيء قدير، وأحاط بكل شيء علمًا، وكل شيء أحصاه في إمام مبين.

ويتضمن هذا الأصل من إثبات علم الله، وقدرته، ومشيئته، ووحدانيته، وربوبيته، وأنه خالق كل شيء وربه ومليكه، مما هو من أصول الإيمان.

س ٤٠٣– لابد للعبد من أصلين في الأمر الشرعي والقدر اذكرهما؟

الجواب: في الأمر الأصل الأول عليه الاجتهاد في الامتثال علمًا وعملًا، فلا تزال تجتهد في العلم بما أمر الله به، والعمل بذلك، الأصل الثاني عليه أن يستغفر ويتوب من تفريطه في المأمور، وتعديه الحدود.

وأما في القدر فالأصل الأول فعليه أن يستعين بالله في فعل ما أمر به، ويتوكل عليه، ويدعوه، ويرغب إليه، ويستعيذ به، ويكون مفتقرًا إليه في طلب الخير وترك الشر، الأصل الثاني عليه أن يصبر علىٰ المقدور، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وإذا آذاه الناس علم أن ذلك مقدر عليه

س ٤٠٤- للعبادة شرطان اذكرهما؟

الأول: الإخلاص. **الثاني**: المتابعة للنبي ﷺ.

س٤٠٥ - هل من دليل علىٰ ما سبق؟

✍ **الأدلة من القرآن على الإخلاص:**

قال تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

قَالَ الفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:٢]، قَالَ: (أَخْلَصَهُ وَأَصْوَبَهُ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّىٰ يَكُوْنَ خَالِصًا صَوَابًا. وَالخَالِصُ إِذَا كَانَ للهِ وَالصَّوَابُ إِذَا كَانَ عَلَىٰ السُّنَّةِ). (١)

وقال اللهِ ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

✍ **الأدلة من السنة على الإخلاص:**

عن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ**

---

(١) رَوَاهُ الأَصْبَهَانِيُّ فِي الحِلْيَةِ (٩٥/ ٨).

يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

✍ **الأدلة من القرآن على المتابعة:**

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] وقد دلَّت النصوص علىٰ أن كل عبادة لم يشرعها الله ولا رسوله فهي بدعة محدثة في الدين مردودة علىٰ صاحبها غير مقبولة منه.

✍ **الأدلة من السنة على المتابعة:**

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»**(٢) وفي لفظ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**(٣).

س ٤٠٦– اذكر أقسام الناس في عبادة الله والاستعانة به؟

الجواب: أربعة أقسام:

الأول: المؤمنون المتقون الذين جمعوا بين الأمرين يعبدونه ويستعينون به. قال تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥].

الثاني: طوائف من المسلمين، أو طائفة من المسلمين تعبد الله ﷻ، لكن ليس عندهم صبر، ولا عندهم كبير استعانة، فاستعانتهم ضعيفة.

---

(١) أخرجه البخاري [١].

(٢) أخرجه مسلم [١٧١٨].

(٣) أخرجه مسلم [١٧١٨].

الثالث: فئة من المسلمين فيهم استعانة وتوكل وصبر، لكنهم لا يستقيمون علىٰ الشريعة.

الرابع: فئة من الناس لا يعبدون الله تعالىٰ ولا يستعينون به...

س ٤٠٧– ما منزلة الإيمان بالقدر في شريعة الإسلام؟

هو ركن من أركان الإيمان الستة ولا يصح إيمان أحد بدونه.

س ٤٠٨– ما الدليل علىٰ ذلك؟

سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ عن الإيمان وجواب النبي ﷺ بقوله: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(١).

س ٤٠٩– اذكر بعض الأدلة العقلية علىٰ أن الله علم مقادير الخلائق قبل خلقهم؟

الجواب: وجود هذا الكون، ووجود كل مخلوق فيه يدل دلالة واضحة علىٰ أن الله علم به قبل خلقه، ووجه ذلك إنه يستحيل إيجاده الأشياء مع الجهل، لأن إيجاده الأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزمًا للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم.

وأيضًا فإن «المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم

(١) أخرجه مسلم [٨].

الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم.

واستدل العلماء علىٰ علمه تبارك وتعالىٰ بقياس الأولىٰ فالمخلوقات فيها ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالمًا.

ويستدل كذلك علىٰ علمه - تبارك وتعالىٰ - بإخباره بالأشياء والأحداث قبل وقوعها وحدوثها، فقد أخبر الحق في كتبه السابقة عن بعثة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه، وصفاته وأخلاقه وعلاماته، كما أخبر عن الكثير من صفات أمته، وأخبر في محكم كتابه أن الروم سينتصرون في بضع سنين علىٰ الفُرس المجوس، ووقع الأمر كما أخبر، والإخبار عن المغيبات المستقبلة كثير في الكتاب والسنة.

ويستدل كذلك بأن يقال: نحن نعلم بالضرورة أن الخالق أكمل من المخلوق، وأن الواجب «أي وجود الرب سبحانه وتعالىٰ» أكمل من الممكن «أي ما عدا الرب سبحانه وتعالىٰ»، ونعلم ضرورة أنا لو فرضنا شيئين:

الشيء الأول: عالم والآخر غير عالم، كان العالم أكمل، فلو لم يكن الخالق عالمًا لزم أن يكون الممكن أكمل منه، وهو ممتنع.

الشيء الثاني: كل علم في المخلوقات فهو من الله تبارك وتعالىٰ، ومن الممتنع أن يكون فاعل الكمال ومبدعه عاريًا منه، بل هو أحق به.

س ٤١٠– الله ﷻ يعلم ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف كان يكون وضح ذلك؟

نعم قال تعالىٰ مقررًا علمه بما لم يكن لو كان كيف كان يكون ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ

لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ ﴾ [الأنعام:٢٨]، فالله يعلم أن هؤلاء المكذبين الذين يتمنون في يوم القيامة الرجعة إلىٰ الدنيا أنهم لو عادوا إليها لرجعوا إلىٰ تكذيبهم وضلالهم مع أنهم لا يرجعون.

قال عبد العزيز بن يحيىٰ الكناني: «قال الله ﷻ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الأنعام:٢٧-٢٨] في قولهم هذا، وهذا ما لم يكن ولا يكون لأنهم لا يردون لا هم ولا غيرهم، فأخبر ﷻ بعلمه السابق فيهم أن لوردوا ما كانوا فاعلين، ولن يُرَدّوا أبدًا، فهذا ما لم يكن ولا يكون أن لو كان كيف يكون»(١).

وقال في الكفار الذين لا يطيقون سماع الهدىٰ ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال:٢٣].

ومن علمه تبارك وتعالىٰ بما هو كائن علمه بما كان الأطفال الذين توفوا صغارًا عاملين لو أنهم كبروا قبل مماتهم.

بوب البخاري فقال بَابٌ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**» ثم روىٰ بسنده إلىٰ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَوْلادِ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»(٢).

---

(١) الحيدة [٨٧].

(٢) أخرجه البخاري [٦٥٩٧].

وفي رواية عند مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُشَرِّكَانِهِ**» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَأَيْتَ لَوْ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[1].

قال النووي[2]: وَفِي قَوْلِهِ ﷺ «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**» بَيَانٌ لِمَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ أَنَّ اللهَ عَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يكون ما لَا يَكُونُ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[3] رحمه الله: وَلِهَذَا «لَمَّا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَمَّنْ يَمُوتُ مِنْ أَطْفَالِ الْمُشْرِكِينَ وَهُوَ صَغِيرٌ قَالَ: «**اللهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**» أَيْ اللهُ يَعْلَمُ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ لَوْ بَلَغُوا. ثُمَّ إنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي حَدِيثٍ إسْنَادُهُ مُقَارِبٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ فَإِنَّ اللهَ يَمْتَحِنُهُمْ وَيَبْعَثُ إلَيْهِمْ رَسُولًا فِي عَرْصَةِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ أَجَابَهُ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَاهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ**» فَهُنَالِكَ يَظْهَرُ فِيهِمْ مَا عَلِمَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَيَجْزِيهِمْ عَلَىٰ مَا ظَهَرَ مِنْ الْعِلْمِ وَهُوَ إيمَانُهُمْ وَكُفْرُهُمْ؛ لَا عَلَىٰ مُجَرَّدِ الْعِلْمِ.

س ٤١١– ما الحديث الذي أشار إليه شيخ الإسلام؟

هو ما رواه ابن حبان[4] بسند صحيح عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ**

---

(١) أخرجه مسلم [٢٦٥٨].

(٢) شرح النووي علىٰ مسلم [١٦/ ٢١١].

(٣) مجموع الفتاوىٰ [٤/ ٢٤٦].

(٤) أخرجه ابن حبان [٧٣٥٧]، وصححه الألباني في الصحيحة [١٤٣٤].

هَرِمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ، وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ، فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونَنِي بِالْبَعَرِ، وَأَمَّا الْهَرِمُ، فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ، فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا».

س ٤١٢- اذكر بعض القواعد الكلية التي تضبط عقيدة المؤمن في القدر؟

من هذه القواعد:

الأولىٰ: وجوب الإيمان بالقدر.

الثانية: الاعتماد في معرفة القدر وحدوده وأبعاده علىٰ الكتاب والسنة، وترك الاعتماد في ذلك علىٰ نظر العقول ومحض القياس. فالعقل الإنساني لا يستطيع بنفسه أن يضع المعالم والركائز التي تنقذه في هذا الباب من الانحراف والضلال، والذين خاضوا في هذه المسألة بعقولهم ضلوا وتاهوا فمنهم من كذَّب بالقدر، ومنهم من ظن أن الإيمان بالقدر يُلزم القول بالجبر، ومنهم من ناقض الشرع بالقدر، وكل انحراف من هذه الانحرافات سبب مشكلات في واقع البشر وحياتهم ومجتمعاتهم، فالانحراف العقائدي يسبب انحرافًا في السلوك وواقع الحياة حتما ولا بد.

الثالثة: ترك التعمق في البحث في القدر، فبعض جوانبه لا يمكن للعقل الإنساني مهما كان نبوغه أن يستوعبها، وبعضها الآخر لا يستوعبها إلا

بصعوبة كبيرة.

س ٤١٣- ألا يقال أن القاعدة الثالثة فيها حَجْرٌ علىٰ العقل والفكر الإنساني؟

الجواب: هذا ليس بحجر علىٰ الفكر الإنساني، بل هو صيانة لهذا العقل من أن تتبدد قواه في غير المجال الذي يحسن التفكير فيه، إنه صيانة للعقل الإنساني من العمل في غير المجال الذي يحسنه ويبدع فيه.

إن الإسلام وضع بين يدي الإنسان معالم الإيمان بالقدر، فالإيمان بالقدر يقوم علىٰ أن الله تعالىٰ علم كلَّ ما هو كائن وكتبه وشاءَه وخلقه، واستيعاب العقل الإنساني لهذه الحقائق سهل ميسور، ليس فيه صعوبة، ولا غموض وتعقيد.

أما البحث في سر القدر والغوص في أعماقه فإنه يبدد الطاقة العقلية ويهدرها، فالبحث في كيفية العلم والكتابة والمشيئة والخلق هو بمنزلة البحث في كيفية صفات الله، وكيف تعمل هذه الصفات، وهذا أمر محجوب علمه عن البشر، وهو غيب يجب الإيمان به، ولا يجوز السؤال عن كنهه، والباحث فيه كالباحث عن كيفية استواء الله علىٰ عرشه، يقال له: هذه الصفات التي يقوم عليها القدر معناها معلوم، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عن كيفيتها بدعة. قال الإمام أحمد[1] الْإِيمَان بِالْقدرِ خَيره وشره والتصديق بالأحاديث فِيهِ وَالْإِيمَان بهَا لَا يُقَال لم وَلَا كَيفَ إِنَّمَا هُوَ

(١) أصول السنه [١/ ١٨].

التَّصْدِيق وَالْإِيمَان بهَا وَمن لم يعرف تَفْسِير الحَدِيث ويبلغه عقله فقد كفي ذَلِك وَأحكم لَهُ فَعَلَيهِ الْإِيمَان بِهِ وَالتَّسْلِيم مثل حَدِيث الصَّادِق المصدوق وَمثل مَا كَانَ مثله فِي الْقدر.

س ٤١٤- اذكر بعض ثمار الإيمان بالقدر؟

١ - الإيمان بالقدر من تمام توحيد الربوبية.

٢ -يؤدي إلىٰ تحقيق التوكل علىٰ الله.

٣- يؤدي إلىٰ تفويض الأمر إليه مع القيام بالأسباب الصحيحة النافعة.

٤ - يطمئن الإنسان في حياته حيث يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٥ -بالإيمان بالقدر ينتفي الإعجاب بالنفس عند حصول المراد؛ لأنه يعلم أن حصوله بقدر الله وإنَّ عمله الذي حصل به مراده ليس إلا مجرد سبب يسره الله له.

٦ - بالإيمان بالقدر يزول القلق والضجر عند فوات المراد، أو حصول المكروه، لأنه يعلم أن الأمر كله لله فيرضىٰ ويسلم، وإلىٰ هذين الأمرين يشير قوله تعالىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢- ٢٣].

س٤١٥-قوله تعالىٰ: ﴿نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢] **الضمير يعود علىٰ ماذا؟**

قال ابن كثير[(١)]: أَيْ: مِنْ قَبْلِ أَنْ نَخْلُقَ الْخَلِيقَةَ وَنَبْرَأَ النَّسَمَةَ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ [الحديد:٢٢] عَائِدٌ عَلَىٰ النُّفُوسِ. وَقِيلَ: عَائِدٌ عَلَىٰ الْمُصِيبَةِ. وَالْأَحْسَنُ عَوْدُهُ عَلَىٰ الْخَلِيقَةِ وَالْبَرِيَّةِ؛ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ عَلَيْهَا.

وللقدر أهمية عظيمة في حياة الآدمي من ذلك:

١ -**ارتباطه بالإيمان** بالله: فالقدر قدرة الله والمؤمن به مؤمن بقدرة الله، والمكذب به مكذب بقدرة الله ﷻ.

ثم إنه مرتبط بحكمة الله ﷻ وعلمه، ومشيئته، وخلقه.

٢- **كثرة وروده في أدلة الشرع:** فنصوص الكتاب والسنة حافلة ببيان حقيقة القدر، وتجلية أمره، وإيجاب الإيمان به.

٣- **أنه من الموضوعات الكبرىٰ:** التي خاض فيها جميع الناس علىٰ اختلاف طبقاتهم وأديانهم؛ والتي شغلت أذهان الفلاسفة، والمتكلمين، وأتباع الطوائف من أهل الملل وغيرهم.

٤- **ارتباط القدر بحياة الناس وأحوالهم:** فهو مرتبط بحياتهم اليومية وما فيها من أحداث وتقلبات ليس لهم في كثير منها إرادة أو تأثير.

ولو لم يكن هناك إلا مسألة الحياة والموت، وتفاوت الناس في الأعمال

(١) تفسير ابن كثير [٨/ ٢٦].

والمواهب، والغنىٰ والفقر، والصحة والمرض، والهداية والإضلال - لكان ذلك كافيًا في أن يفكر الإنسان في القدر.

٥- **كونه أعوصَ أبواب العقيدة**: فمع أن باب القدر معلوم بالفطرة وأن نصوص الشرع قد بينته غاية البيان إلا أنه يظل أعوص أبواب العقيدة؛ فدقة تفاصيله، وتشعب مسائله، وكثرة الخوض فيه، وتنوع الشبهات المثارة حوله كل ذلك يوجب صعوبة فهمه، وتعسر استيعابه.

٦- **ما يترتب علىٰ الإيمان به علىٰ الوجه الصحيح**: فذلك يثمر السعادة في الدنيا والآخرة، ويورث اليقين، ويكسب الأخلاق الفاضلة، والهمم العالية، والإرادات القوية.

٧- **ما يترتب علىٰ الجهل به**: فالجهل به، أو فهمه علىٰ غير الوجه الصحيح يورث الشقاء، والعذاب في الدنيا والآخرة.

والواقع يشهد بذلك في أمم الكفر؛ إذ يشيع فيها قلة التحمل، والانتحار، والقلق.

وكذلك الحال في أمة الإسلام؛ فما تخلفت في عصورها المتأخرة إلا لأسباب أبرزُها جهلُ كثير من المسلمين، وانحرافهم في باب العقيدة عمومًا وفي باب القدر خصوصًا.

أن الحديث عن القدر لا يفتح بإطلاق، ولا يغلق بإطلاق؛ فإن كان الحديث بحق فلا يمنع ولا ينهىٰ عنه، بل قد يجب، وإن كان بباطل فيمنع، وينهىٰ عنه.

س ٤١٦- كيف تأتي المصلحة من الشرع؟

تأتي المصلحة من الشرع من عدة أوجه:

الأول: من الْفِعْل الْمَأْمُور بِهِ: مثال ذلك الصدْق والعفة وَالْإِحْسَان وَالْعدْل فَإِن مصالحها ناشئة مِنْهَا

الثاني: ومن الْأَمر تارة مثال ذلك التجرد فِي الْإِحْرَام والتطهر بِالتُّرَابِ وَالسَّعْي بَين الصفا والمروة وَرمي الْجمار وَنَحْو ذَلِك فَإِن هَذِه الْأَفْعَال لَو تجردت عَن الْأَمر لم تكن منشأ لمصْلحَة فَلَمَّا أَمر بهَا نشأت مصلحتها من نفس الْأَمر.

الثالث: ومن فعل المأمور ومن الأمر معا مثال ذلك الصَّوْم وَالصَّلَاة وَالْحج وَإِقَامَة الْحُدُود وَأَكْثر الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة فَإِن مصلحتها ناشئة من الْفِعْل وَالْأَمر مَعًا فالفعل يتَضَمَّن مصلحَة وَالْأَمر بهَا يتَضَمَّن مصلحَة أُخْرَىٰ فالمصلحة فِيهَا من وَجْهَيْن من نفس الفعل ومن الأمر بالفعل.

الرابع: ومن العزم المجرد بدون الفعل مثال ذلك أَمر الله تَعَالَىٰ خَلِيله إِبْرَاهِيم بِذبح وَلَده فَإِن الْمصلحَة إِنَّمَا نشأت من عزمه علىٰ الْمَأْمُور بِهِ لَا من نفس الْفِعْل.

س ٤١٨- فما لم يكن بالله لا يكون. اشرح هذه العبارة؟

قال العثيمين: عبارة جيدة (ما لم يكن بالله لا يكون) لأن الله تعالىٰ إذا لم يُرِدْ شيئًا لم يكن وما لم يكن لله فإنه لا ينفع ولا يدوم يعني حتىٰ لو نفعك لا يدوم فلا بد من أن يكون الشيء بالله ولله ونحن نزيد شيئًا ثالثًا: (في الله)

فلا بد أن يكون الشيء: لله وبالله وفي الله أولًا لله هذا الإخلاص وبالله الاستعانة وفي الله المتابعة يعني في شريعته فهذه الطرق الثلاثة هي الحقيقة مبنىٰ العبادة أن تكون لله وبالله وفي الله. انتهىٰ كلام العثيمين.

س ٤١٩– ما المراد بقول ابن مسعود مَنْ كَانَ مُسْتَنًّا فَلْيَسْتَنَّ بِمَنْ قَدْ مَاتَ، وهل ينطبق علىٰ كل عصر؟

المراد أن (الحي) لا تؤمن عليه الفتنة فكم من إنسان يكون في أول أمره مستقيمًا ثم في آخر الأمر يفتتن والاقتداء يكون بالصحابة ومن صار علىٰ نهجهم وعليه فكلامه لا ينطبق علىٰ كل عصر.

س ٤٢٠– روىٰ الترمذي(١) بسند حسن من حديث عدي بن حاتم قال رسول الله ﷺ إِنَّ اليَهُودَ مَغْضُوبٌ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ النَّصَارَىٰ ضُلَّالٌ فهل معنىٰ ذلك لا يوجد مغضوب عليه إلا اليهود ولا يوجد ضلال إلا النصارىٰ؟

لا بل المعنىٰ أن اليهود من المغضوب عليهم والنصارىٰ من الضلال وعلىٰ العموم كل من عرف الحق وخالفه فهو من المغضوب عليهم وفيه شبه من اليهود وكل من عبد الله علىٰ جهل فهو من الضلال وفيه شبه من النصارىٰ.

قال الإمام ابن القيم(٢): وَقَوله: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] يتضمّن بَيَان طرفِي الانحراف عَن الصِّرَاط الْمُسْتَقيم وَأَن

(١) سنن الترمذي [٥/ ٥٣].
(٢) الفوائد [١/ ١٩].

الانحراف إِلَىٰ أحد الطَّرفَيْنِ انحراف إِلَىٰ الضلال الَّذِي هُوَ فَسَاد الْعلم والاعتقاد والانحراف إِلَىٰ الطّرف الآخر انحراف إِلَىٰ الْغَضَب الَّذِي سَببه فَسَاد الْقَصْد وَالْعَمَل.

وقال العلامة العثيمين: وقوله تعالىٰ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] هذان صنفان مخالفان للذين أنعم الله عليهم.

قلنا: إن الذين أنعم الله عليهم يجمعهم شيء واحد وهو العلم بالحق والعمل به، وهذان الصنفان -أي: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] - علىٰ عكس من ذلك، فالمغضوب عليهم، علموا الحق ولم يعملوا به، وعلىٰ رأسهم اليهود علموا الحق ولم يعملوا به، والضالون هم الذين لم يعلموا الحق، أي: عبدوا الله علىٰ جهل، وعلىٰ رأسهم النصارىٰ قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، أما بعد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام فالنصارىٰ واليهود سواء؛ لأنهم علموا الحق ولم يعملوا به، فكما أن اليهود علموا بصحة نبوة عيسىٰ ولكنهم لم يتبعوه، هكذا النصارىٰ علموا بصحة رسالة محمد ﷺ ولم يتبعوه، إذًا لا فرق بينهم وبين اليهود فالجميع بعد بعثة الرسول مغضوب عليهم.

وهنا يقال: لماذا قال: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] مع أنه قال: ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧]؟ لأن النعمة من الله، والغضب يكون من الله ومن غيره، فإذا غضب الله علىٰ أحد فكل المؤمنين بالله يغضبون عليهم، ولهذا اليهود مغضوب عليهم من قبل الله ومن قبل الرسل ومن قبل

الصديقين والشهداء والصالحين.

س ٤٢١- تنقسم أمة الإجابة إلىٰ أقسام ثلاثة باعتبار معرفة الحق والعمل به اذكرها؟

نعم.

القسم الأول: من علم الحق واتبعه فهذا من الذين أنعم الله عليهم.

القسم الثاني: من علم الحق وخالفه كلية فهذا من المغضوب عليهم.

القسم الثالث: من جهل الحق وعمل بالباطل كلية فهذا من الضالين.

س ٤٢٢- الإنسان مريد بطبعه ما لوازم ذلك؟

كون الإنسان مريدًا بطبعه أي يريد أشياء يلزم من ذلك فعل يدرك به ما يريد، وفعل يدفع به ما لا يريد.

س ٤٢٣- أوليس من المحتمل عندما يفعل ليدرك ما يريد أن يقع في الشر أي يفوته خير؟

بلىٰ والواقع خير شاهد قال تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الروم:٤١].

س٤٢٤ – وعليه فما الضابط لفعل الإنسان ليدرك الخير ويدفع الشر؟

الجواب: الضابط هو الشرع الإلهي الذي جاءت به الرسل هو الذي يضبط ذلك، ويصدر الحكم الذي به التمييز بين النافع والضار، والصالح والفاسد، لأنه من عند الله العليم الرحيم الحكيم الخبير الغني.

س ٤٢٥- أحكام الله تعالىٰ نوعان اذكرهما مع بيان الواجب علىٰ الخلق تجاه النوعين؟

النوع الأول: حكم شرعي ويجب علىٰ العبد الامتثال له والانقياد لما دل عليه، **والثاني**: حكم كوني قدري تنفيذه علىٰ الله تعالىٰ ويجب علىٰ العبد الرضا به والتسليم له.

س ٤٢٦- ما المراد بحسن الأفعال وقبحها؟

المراد هل الأفعال توصف بالحسن أو القبح لذاتها أم لا؟ ومن ثم هل يمكن إدراك الحسن والقبح بالعقل أم لا؟

س ٤٢٧- ما أقوال الناس في هذه المسألة (أي التحسين والتقبيح العقليين)؟

للناس في هذه المسألة ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول أهل السنة والجماعة: وخلاصته أن العقل قد يدرك قبح الأفعال وحسنها كقبح الكذب والظلم، وحسن الصدق والعدل، ولكن لا يدرك تفاصيل ذلك، ولا يثبت الثواب بفعل الحسن ولا العقاب بفعل القبيح بل ذلك لا يعرف إلا بالشرع فالأفعال في ذاتها حسنة أو قبيحة.

القول الثاني: قول المعتزلة: وخلاصته أن قبح الأفعال وحسنها يعرف بالعقل، ففيها صفات ذاتية لازمة تدل علىٰ الحسن أو القبح والشرع جاء كاشفًا لها، فيثبت الثواب والعقاب بفعل الحسن وفعل القبيح وإن لم يأت الشرع وهذا القول مصادم للأدلة الشرعية قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ

نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء:١٥].

القول الثالث: قول الأشاعرة: وحاصله أنه ليس للأفعال حسن ولا قبح لذاتها؛ وإنما هي معانٍ إضافية غير حقيقية، وما جاء به الشرع من الثواب والعقاب إنما هو لمحض الإرادة لا لحكمة ولا لعلة في الفعل، فالحسن والقبح شرعي محض وهذا القول مصادم للحس والواقع وللأدلة الشرعية.

س ٤٢٨- هل كل ما استحسنته العقول استحسنه الشرع؟

لا فلا يلزم من استحسان العقول لشيء أن يستحسنه الشرع ووجه ذلك أننا لا نحيط بقدرة الله تعالىٰ ولا نحيط بحكمته مثال ذلك العقول تستحسن أن يكون الناس أمة واحدة علىٰ الإيمان والطاعة ولكن حكمة الله اقتضت غير ذلك فالحسن إذا فيما قدره الله تعالىٰ وقضاه.

قال ابن القيم(١): وَالْحَقُّ الَّذِي لَا يَجِدُ التَّنَاقُضُ إِلَيْهِ السَّبِيلَ أَنَّهُ لَا تَلَازُمَ بَيْنَهُمَا، وَأَنَّ الْأَفْعَالَ فِي نَفْسِهَا حَسَنَةٌ وَقَبِيحَةٌ، كَمَا أَنَّهَا نَافِعَةٌ وَضَارَّةٌ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَالْفَرْقِ بَيْنَ الْمَطْعُومَاتِ وَالْمَشْمُومَاتِ وَالْمَرْئِيَّاتِ، وَلَكِنْ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِمَا ثَوَابٌ وَلَا عِقَابٌ إِلَّا بِالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، وَقَبْلَ وُرُودِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ لَا يَكُونُ قَبِيحًا مُوجِبًا لِلْعِقَابِ مَعَ قُبْحِهِ فِي نَفْسِهِ، بَلْ هُوَ فِي غَايَةِ الْقُبْحِ، وَاللهُ لَا يُعَاقِبُ عَلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ إِرْسَالِ الرُّسُلِ.

وعليه فخلاصة رأي أهل السنة والجماعة لوصف الحسن والقبح لأفعال المكلفين: - أن الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة والعقل يدرك فيها

(١) مدارج السالكين [١/ ٢٤٧].

ذلك ولكن هذا الإدراك لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب وثبوت الثواب والعقاب – أي الثواب بفعل الحسن والعقاب بفعل القبيح قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء:١٥].

وأهل السنة والجماعة يقولون: التكليف بالفعل فعلًا وتركًا إنما هو بالشرع لا بالعقل فمن لم تبلغه دعوة الرسل فلا عقاب ولا ثواب علىٰ أفعاله.

أصول وثوابت وضوابط في مسألة التحسين والتقبيح لأفعال المكلفين:

١ – أفعال الله تعالىٰ كلها حسنة لا يقبح منها شيء قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ [السجدة:٧].

٢– جميع الأوامر والنواهي مشتملة علىٰ مصالح العباد وإن لم تدركها العقول وإذا نهىٰ عن شيء نعتقد أنه ليس فيه مصلحة.

٣– لا يجبُ علىٰ الله ﷻ إلا ما أوجبه علىٰ نفسه تفضلًا منه وتكرمًا.

٤– الله تعالىٰ لا يعذب أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه برسله وكتبه.

٥– لا دخل للعقل مطلقًا في إثبات الأحكام الشرعية ولا في تعلق المدح والذم من الأفعال عاجلًا أو تعلق الثواب أو العقاب بها أجلًا وإنما طريق ذلك هو الشرع.

خلاصة الكلام في مسألة التحسين والتقبيح:

إثبات تحسين العقل لأفعال المكلفين وتقبيحهم.

التفصيل هو الحق ما المراد من تحسين العقل.

كما قال شيخ الإسلام: والإجمال سبب كل الإشكالات.

فالمسألة فيها تفصيل: فإثبات تحسين العقل لأفعال المكلفين وتقبيحهم إن أريد ترتيب الثواب والعقاب فالصواب نفيه لأن مرده إلىٰ الشارع.

وإن أراد به إدراك حسن الحسن وقبح القبيح من غير ترتيب ثواب ولا عقاب فالصواب إثباته.

س ٤٢٩– قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ﴾ [سبأ:٥٠]. **هل هذه مسألة فرضية أم واقعية؟**

ج –هي مسألة فرضية وليست واقعية وإنما هذا من باب التنزل مع المخاطب.

س ٤٣٠– هل لهذه الآية من نظير؟

نعم قوله تعالىٰ عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [غافر:٢٨].

فهذا المؤمن يعتقد يقينًا أن نبي الله موسىٰ صادق في كل ما يقول ولكن قال ذلك علىٰ سبيل التنزل مع الخصم وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سبأ:٢٤]، فنحن علىٰ الهدىٰ ولكن هذا من باب التنزل مع الخصم والإنصاف معهم لإقامة الحجة عليهم.

س ٤٣١– عدم فعل الله تعالىٰ للقبيح لأنه لا يقدر عليه أم أنه منزه عنه مع قدرته عليه؟

الله ﷻ علىٰ كل شيء قدير وكل أمر عليه يسير لا يحتاج إلىٰ شيء وهو

منزه عن كل قبيح مع قدرته علىٰ كل شيء.

س ٤٣٢- هل العقل يدرك الخير والشر؟

يمكن للعقل أن يدرك بعض الخير وبعض الشر علىٰ جهة الإجمال لكن تفصيل ذلك والإحاطة به إحاطة تامة إنما يكون من جهة الشرع ولهذا يقال: إن النفع أو الضر قد يكون معلومًا بالفطرة، وقد يكون معلومًا بالعقل، وقد يكون معلومًا بالتجارب، وقد يكون معلومًا بالشرع، فالشرع يأتي مؤيدًا لما شهدت به الفطرة والعقل والتجارب، وهذه تأتي شاهدة لما جاء به الشرع.

س ٤٣٣- ما العلاقة بين القدر والأسباب؟

الجواب: جميع الأسباب تنتظم في قضاء الله وقدره، وهي من القضاء والقدر.

س ٤٣٤- ما الدليل علىٰ ما سبق من أن الأسباب من القدر؟

الدليل: ما رواه الترمذي(١) عَنِ ابْنِ أَبِي خُزَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ رُقًىٰ نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَىٰ بِهِ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: «**هِيَ مِنْ قَدَرِ اللهِ**».

قال السندي(٢): قوله ﷺ «**هي من قدر الله**» عنىٰ أنه تعالىٰ قدر الأسباب والمسببات، وربط المسببات بالأسباب، فحصول المسببات عند حصول الأسباب من جملة القدر.

---

(١) أخرجه الترمذي [٢١٤٨]، وابن ماجه [٣٤٣٧].

(٢) حاشية السندي [٢/ ٣٤٠].

قال شيخ الإسلام(١): وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ(٢)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، فَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا كَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**». فَفِي قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «**احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ**». أَمْرٌ بِالتَّسَبُّبِ الْمَأْمُورِ بِهِ وَهُوَ الْحِرْصُ عَلَىٰ الْمَنَافِعِ، وَأَمَرَ مَعَ ذَلِكَ بِالتَّوَكُّلِ وَهُوَ الِاسْتِعَانَةُ بِاللهِ، فَمَنْ اكْتَفَىٰ بِأَحَدِهِمَا فَقَدْ عَصَىٰ أَحَدَ الْأَمْرَيْنِ، وَنَهَىٰ عَنْ الْعَجْزِ الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْكَيْسِ، كَمَا قَالَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ(٣): «**إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَىٰ الْعَجْزِ،(٤) وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ**».

س ٤٣٥- هل إذا وقع السبب لا بد من وقوع المسبب؟

لا يلزم من وقوع السبب حدوث المسبب بل قد يقع السبب ويتخلف المسبب وقد يحدث المسبب بدون سبب.

س ٤٣٦- مثِّل لما سبق؟

خلق الله عز وجل آدم من غير أب ولا أم وكذلك ناقة نبي الله صالح وخلق

---

(١) مجموع الفتاوىٰ [١٨/ ١٨١].

(٢) أخرجه مسلم [٢٦٦٤].

(٣) أخرجه أحمد [٢٣٩٨٣]، وأبي داود [٣٦٢٧]، وضعفه الألباني.

(٤) إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَلُومُ عَلَىٰ الْعَجْزِ: أَيْ عَلَىٰ التَّقْصِيرِ وَالتَّهَاوُنِ فِي الْأُمُورِ (وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ)، بِفَتْحٍ فَسُكُونٍ ؛ أَيْ بِالِاحْتِيَاطِ وَالْحَزْمِ فِي الْأَسْبَابِ، وَحَاصِلُهُ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يَرْضَىٰ بِالتَّقْصِيرِ، وَلَكِنْ يَحْمَدُ عَلَىٰ التَّيَقُّظِ وَالْحَزْمِ، فَلَا تَكُنْ عَاجِزًا وَتَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ، بَلْ كُنْ كَيِّسًا مُتَيَقِّظًا حَازِمًا.

حواء بِدُونِ أُنْثَىٰ وخلق عيسىٰ عليه السلام مِنْ أُنْثَىٰ بِدُونِ ذَكَرٍ وخلق بقية البشر من ذكر وأنثىٰ والله علىٰ كل شيء قدير.

س ٤٣٧- هل الإيمان بالقدر ينافي الأسباب؟

الجواب: الإيمان بالقدر لا ينافي إثبات الأسباب، فليس للأسباب تأثير لذاتها بل بما أودعه الله فيها من القوىٰ والأسباب، وهي قد تكون كونية، مثل السحاب سببٌ لنزول المطر، ونزول المطر سببٌ لإخراج الثمرات.

وقد تكون شرعية؛ مثل اتباع الكتاب والسنة سببًا للهداية، والإعراض عنهما سببًا للضلال والغواية.

فإذا كان القدر لا ينافي الأسباب فكذلك لا ينافي أن يكون للعبد قدرة وإرادة مع خلق الله للأسباب.

س ٤٣٨- من المنحرفون في باب القدر والأسباب؟

انحرف في هذا الباب طائفتان:

الأولىٰ: الغلاة في إثبات الأسباب حتىٰ جعلوها هي المؤثرة بذاتها، فوقعوا في الشرك.

الثانية: نفاة الأسباب وهم الأشاعرة؛ فينكرون تأثير الأسباب ويجعلونها مجرد علامات يحصل الشيء عندها لا بها.

س٤٣٩- ما وجه الانحراف عند الطائفة الأولىٰ؟

الانحراف عندهم جاء من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن الحس دل علىٰ أن ما من سبب إلا وهو مفتقر إلىٰ سبب آخر في حصول مسببه.

الوجه الثاني: لابد من عدم مانع يمنع أثره إذا لم يدفعه الله عنه، فلا يستقل شيء بفعل شيء إلا الله فإنه ليس في الوجود أحد صدر عنه واحد أو اثنان بالاستقلال غير خالق الأزواج كلها وهو الله ﷻ.

الوجه الثالث: أننا نشاهد تخلف بعض المسببات عن أسبابها كتخلف الإحراق عن النار في قصة إبراهيم، حيث قال: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء:٦٩].

فالنار التي جعل الله فيها حرارة لا يحصل الإحراق إلا بها وبمحلٍّ يقبل الاحتراق؛ فإذا وقعت علىٰ السَّمَنْدل (دابة دون الثعلب يكثر في الهند، ويتلذذ بالنار، ومكثه فيها) لم تحرقه وعليه فلا بد في حصول المسبب من انتفاء الموانع مع قبول المحل بعد حصول السبب فلا يتم المطلوب إلا بوجود المقتضي وعدم المانع.

وكذلك تخلف الموت عن السم لما أكله النبي ﷺ في الشاة المسمومة وقصتها في البخاري.

وكذلك تخلف الإنجاب مع وصول ماء الرجل إلىٰ الأنثىٰ قال تعالىٰ: ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى:٥٠] وهكذا.

س ٤٤٠- ما وجه الانحراف عند الطائفة الثانية؟

دل السمع علىٰ أن للأسباب تأثير إذا أذن الله تعالىٰ لها بالتأثير وبما

أودعه فيها من القوىٰ قال تعالىٰ عن الخضر ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف:٨٤-٨٥].

ودل الحس علىٰ أن المخلوق فيه قوة خلقها الله تعالىٰ فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية(١) رحمه الله: «ومن قال إنه يفعل عندها لا بها فقد خالف ما جاء به القرآن».

قصد شيخ الإسلام: أن الله تعالىٰ - ولا شك - قد قدر الأشياء وعلمها في الأزل وكل ما يحدث في الكون لا يحدث إلا تحت مشيئته وإرادته الكونية وتحت علمه وقدرته، ولكن الله تعالىٰ ربط المسببات بالأسباب، فتلك المسببات لا تحدث إلا بتلك الأسباب كما قال: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ [الأعراف:٥٧].

أي: علق إنزال الماء بسبب السحاب، وقال تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف:٥٧]. فعلق الله تعالىٰ إخراج الثمرات بسبب الماء من المطر والعيون ولكن زعم قوم أن الله تعالىٰ يحدث الأشياء ويخلق عند هذه الأسباب ولا يخلقها بها.

وهذا الزعم (أي من قال إنه يفعل عندها لا بها) فاسد باطل مخالف لنصوص الكتاب والسنة، وصاحب هذا الزعم منكر للقوىٰ التي أودعها الله تعالىٰ في الأسباب، فهذا المنكر في الحقيقة منكر للمحسوسات فهو مكابر

---

(١) التدمرية [١/ ٢١٠].

وليس بمناظر.

وخلاصة القول في الأسباب والمسببات أن الالتفات إلىٰ الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع»، ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب بل لابد من تمام الشروط وزوال الموانع وكل ذلك بقضاء الله وقدره.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(١): وَإِذَا تَرَكَ الْعَبْدُ مَا أُمِرَ بِهِ مُتَّكِلًا عَلَىٰ الْكِتَابِ كَانَ ذَلِكَ مِنْ الْمَكْتُوبِ الْمَقْدُورِ الَّذِي يَصِيرُ بِهِ شَقِيًّا وَكَانَ قَوْلُهُ ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقُولُ: أَنَا لَا آكُلُ وَلَا أَشْرَبُ. فَإِنْ كَانَ اللهُ قَضَىٰ بِالشِّبَعِ وَالرِّيِّ حَصَلَ وَإِلَّا لَمْ يَحْصُلْ أَوْ يَقُولُ لَا أُجَامِعُ امْرَأَتِي فَإِنْ كَانَ اللهُ قَضَىٰ لِي بِوَلَدٍ فَإِنَّهُ يَكُونُ. وَكَذَلِكَ مَنْ غَلِطَ فَتَرَكَ الدُّعَاءَ أَوْ تَرَكَ الِاسْتِعَانَةَ وَالتَّوَكُّلَ ظَانًّا أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الْخَاصَّةِ نَاظِرًا إلَىٰ الْقَدَرِ فَكُلُّ هَؤُلَاءِ جَاهِلُونَ ضَالُّونَ؛ وَيَشْهَدُ لِهَذَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ مِنْ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُك وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَك شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْت لَكَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**». فَأَمَرَهُ بِالْحِرْصِ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُهُ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللهِ وَنَهَاهُ عَنْ الْعَجْزِ الَّذِي هُوَ الِاتِّكَالُ عَلَىٰ الْقَدَرِ ثُمَّ أَمَرَهُ إذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ أَنْ لَا يَيْأَسَ عَلَىٰ مَا فَاتَهُ بَلْ يَنْظُرَ إلَىٰ الْقَدَرِ

---

(١) مجموع الفتاوىٰ [٨/ ٢٨٤].

وَيُسَلِّمَ الْأَمْرَ لِلَّهِ فَإِنَّهُ هُنَا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ: الْأُمُورُ «أَمْرَانِ» أَمْرٌ فِيهِ حِيلَةٌ وَأَمْرٌ لَا حِيلَةَ فِيهِ فَمَا فِيهِ حِيلَةٌ لَا يَعْجِزُ عَنْهُ وَمَا لَا حِيلَةَ فِيهِ لَا يَجْزَعُ مِنْهُ.

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي(١): ويظن كثير من الناس أن إثبات الأسباب ينافي الإيمان بالقضاء والقدر، وهذا غلط فاحش جدًّا، وهو عائد علىٰ القدر بالإبطال، وهو إبطال أيضًا للحكمة.

وكأن هذا الظَّانَّ يقول ويعتقد أن الإيمان بالقدر هو اعتقاد وجود الأشياء بدون أسبابها الشرعية والقدرية، وهذا نفي للوجود لها، فإنها -كما ذكرنا- أن الله ربط الكون بعضه ببعض، ونظم بعضه ببعض، وأوجد بعضه ببعض، فهل تقول أيها الظَّان جهلًا: إن الأولىٰ إيجاد البناء من دون بنيان؟ وإيجاد الحبوب، والثمار، والزروع من دون حرث وسقي؟ وإيجاد الأولاد والنسل من دون نكاح؟ وإدخال الجنة من دون إيمان وعمل صالح؟ وإدخال النار من دون كفر ومعصية؟

بهذا الظن أبطلت القدر، وأبطلت معه الحكمة، أما علمت أن الله بحكمته، وكمال قدرته جعل للمسببات أسبابًا؟ وللمقاصد طرقًا ووسائل تحصل بها؟ وقرر هذا في الفطر، والعقول، كما قرره في الشرع، وكما نفذه في الواقع؛ فإنه أعطىٰ كل شيء خلقه اللائق به، ثم هدىٰ كل مخلوق إلىٰ ما خلق

(١) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة [١/ ١٣٥].

له من أصناف السعي، والحركة، والتصرفات المتنوعة، وبنىٰ أمور الدنيا والآخرة علىٰ ذلك النظام البديع العجيب الذي شهد - أولًا - لله بكمال القدرة، وكمال الحكمة، وأشهد العباد - ثانيًا - أن بهذا التنظيم، والتيسير، والتصريف وجّه العاملين إلىٰ أعمالهم، ونشطهم علىٰ أشغالهم -إلىٰ أن قال:- فطالِبُ الآخرة إذا علم أنها لا تنال إلا بالإيمان والعمل الصالح وترك ضِدَّها جدَّ واجتهد في تحقيق الإيمان، وكثرت تفاصيله النافعة، واجتهد في كل عمل صالح يوصله إلىٰ الآخرة، واجتنب في مقابلة ذلك الكفر، والعصيان، وبادر للتوبة النصوح من كل ما وقع منه من ذلك.

وصاحب الحرث إذا علم أنه لا يُنَال إلا بحرث وسقي وملاحظة تامة جد واجتهد في كل وسيلة تنمي حراثته، وتكملها، وتدفع عنها الآفات.

وصاحب الصناعة إذا علم أن المصنوعات علىٰ اختلاف أنواعها، ومنافعها لا تحصل إلا بتعلم الصناعة، وإتقانها، ثم العمل بها جد في ذلك.

ومن أراد حصول الأولاد، أو تنمية مواشيه عمل وسعىٰ في ذلك، وهكذا جميع الأمور. انتهىٰ.

س ٤٤١- اذكر أنواع الأسباب؟

تنقسم الأسباب إلىٰ قسمين:

الأول: أسباب كونية.

الثاني: أسباب شرعية.

قال العلامة الألباني(١): إذا عرفنا أن الوسيلة هي السبب الموصل إلىٰ المطلوب برغبة فاعلم أنها تنقسم إلىٰ قسمين: وسيلة كونية، ووسيلة شرعية.

فأما الوسيلة الكونية: فهي كل سبب طبيعي يوصل إلىٰ المقصود بخلقته التي خلقها الله بها، ويؤدي إلىٰ المطلوب بفطرته التي فطره الله عليها، وهي مشتركة بين المؤمن والكافر من غير تفريق، ومن أمثلتها الماء فهو وسيلة إلىٰ ريّ الإنسان، والطعام وسيلة إلىٰ شبعه، واللباس وسيلة إلىٰ حمايته من الحر والقر، والسيارة وسيلة إلىٰ انتقاله من مكان إلىٰ مكان، وهكذا.

وأما الوسيلة الشرعية: فهي كل سبب يوصل إلىٰ المقصود عن طريق ما شرعه الله تعالىٰ، وبينه في كتابه وسنة نبيه، وهي خاصة بالمؤمن المتبع أمر الله ورسوله.

ومن أمثلتها: النطق بالشهادتين - بإخلاص وفهم - وسيلة إلىٰ دخول الجنة والنجاة من الخلود في النار، وإتباع السيئة الحسنة وسيلة إلىٰ محو السيئة، وقول الدعاء المأثور بعد الأذان وسيلة إلىٰ نيل شفاعة النبي ﷺ، وصلة الأرحام وسيلة لطول العمر وسعة الرزق، وهكذا.

س ٤٤٢- مثِّل لكل نوع مما سبق؟

النوع الأول: وهي الأسباب الكونية تناول الطعام يؤدي إلىٰ الشبع وكذلك الشرب يؤدي إلىٰ ذهاب الظمأ وكذلك ظهور السحاب ونزول المطر يؤدي إلىٰ نبات النبات قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا

(١) التوسل أنواعه وأحكامه [١/ ١٧].

بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف:٥٧].

النوع الثاني: وهي الأسباب الشرعية وضابطها ما دل الدليل الشرعي أنها توصل إلىٰ شيء مثال ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ **فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة:٣٨] فدلت الآية الكريمة علىٰ أن من تبع الهدىٰ المنزل من عند الله تعالىٰ لا يخاف مما يقدم عليه ولا يحزن علىٰ ما ترك.

وكذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه:١٢٣].

فدلت الآية الكريمة علىٰ أن من اتبع الهدىٰ المنزل من عند الله تعالىٰ لن يضل في الدنيا ولن يشقىٰ في الآخرة.

س ٤٤٣– اذكر بإيجاز مذاهب الناس في الأسباب؟

أولًا: مذهب الأشاعرة: ينكرون تأثير الأسباب ويقولون أن الأسباب مجرد علامات يقع الشيء عندها لا بها وبقولهم هذا خالفوا القرآن والسنة وما خلقه الله فيها من القوىٰ.

ثانيًا: مذهب القدرية: يقولون أن الأسباب تؤثر بذاتها وإن لم يرد الله – تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا – وقالوا أن العبد يخلق فعل نفسه فجعلوا في الكون خالقًا مع الله.

ثالثًا: مذهب الجبرية: أن العبد لا قدرة له ولا مشيئة بل مجبر علىٰ كل أفعاله ويقولون أن الله تعالىٰ خلقه بلا قدرة وبغير اختيار وأنه يجبر علىٰ جميع أعماله وخالفوا بذلك المنقول والمعقول.

رابعًا: مذهب أهل السنة: هداهم الله تعالىٰ لما اختلف فيه الناس من الحق بإذنه يقولون أن الأسباب مؤثرة في مسبباتها مباشرة بما خلق الله فيها من مؤثرات وأن المسببات تحصل بالأسباب لا عند الأسباب فوافقوا بذلك المنقول والمعقول.

س ٤٤٤- من قائل هذه العبارة: (الواحد لا يصدر عنه إلا واحد فإذا كان الله واحدًا فلا يصدر عنه إلا واحد)؟

الجواب: هذه المقولة يطلقها الفلاسفة، ومن يوافقهم من المتفلسفة المنتسبين إلىٰ الإسلام كابن سينا والملاحدة.

س ٤٤٥- ما الغرض من هذه المقولة؟

الغرض منها أن الله تعالىٰ غير مريد ولا مختار في خلق المخلوقات.

بل هو مضطر مجبور، حيث صدر منه واحد بالاضطرار بدون الاختيار.

س ٤٤٦- ما صحة هذه المقولة؟

هي كاذبة في نفسها فإنه لا يوجد دليل علىٰ أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، بل الحق والصدق أن الواحد يصدر عنه أشياء كثيرة. كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ [الذاريات:٤٩] (المراد بالزوج هنا الصنف) فعلم أن الله خالق الأزواج، وأن خالق الأزواج واحد، والأزواج كثيرة.

فدل ذلك علىٰ أن الواحد يخلق أشياء كثيرة.

فبطل قولهم: «إن الواحد لا يصدر منه إلا واحد».

أنه يلزم من قولهم هذا نفي إرادة الله؛ بل هو مجبور حيث صدر منه واحد بالاضطرار تعالىٰ الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

قال شيخ الإسلام ﵀ تعالىٰ(١): وَلِهَذَا مَنْ قَالَ: إنَّ اللهَ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ إلَّا وَاحِدٌ - لِأَنَّ الْوَاحِدَ لَا يَصْدُرُ عَنْهُ إلَّا وَاحِدٌ - كَانَ جَاهِلًا فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ وَاحِدٌ صَدَرَ عَنْهُ وَحْدَهُ شَيْءٌ - لَا وَاحِدَ وَلَا اثْنَانِ - إلَّا اللهُ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ فَالنَّارُ الَّتِي خَلَقَ اللهُ فِيهَا حَرَارَةً لَا يَحْصُلُ الْإِحْرَاقُ إلَّا بِهَا وَبِمَحَلٍّ يَقْبَلُ الِاحْتِرَاقَ؛ فَإِذَا وَقَعَتْ عَلَىٰ السمندل وَالْيَاقُوتِ وَنَحْوِهِمَا لَمْ تُحْرِقْهُمَا وَقَدْ يُطْلَىٰ الْجِسْمُ بِمَا يَمْنَعُ إحْرَاقَهُ وَالشَّمْسُ الَّتِي يَكُونُ عَنْهَا الشُّعَاعُ لَا بُدَّ مِنْ جِسْمٍ يَقْبَلُ انْعِكَاسَ الشُّعَاعِ عَلَيْهِ فَإِذَا حَصَلَ حَاجِزٌ مِنْ سَحَابٍ أَوْ سَقْفٍ: لَمْ يَحْصُلْ الشُّعَاعُ تَحْتَهُ.

س٤٤٧- اذكر الفرق الضالة في القدر؟

هم ثلاث فرق رئيسية:

١ - **مجوسية**، وهم الذين أنكروا القدر وأقروا بالشرع منهم غلاة أنكروا مرتبتي العلم والكتابة كمعبد الجهني، ومقتصدون أنكروا عموم مرتبتي الخلق والمشيئة، وهم المعتزلة ومن وافقهم من الشيعة، وسُموا بالمجوسية

(١) التدمرية [١/ ٢١١].

لأنهم أثبتوا خالقًا غير الله وهو العبد؛ حيث زعموا أن العبد يخلق فعل نفسه.

٢- **مشركية**، الذين أقروا بالقدر ولكنهم غلوا فيه حتىٰ أنكروا الأمر والنهي فصادموا الشرع بالقدر، وسُموا بذلك لأنهم احتجوا علىٰ تعطيل الشرع بالقدر، كما قال المشركون فيما حكىٰ الله عنهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٤٨]، وهذا حال كثير ممن يدعي الحقيقة الكونية ويفني في الربوبية حتىٰ الصوفية.

٣ – **إبليسية** وهم الذين أقروا بالأمرين ـ الشرع والقدر ـ ولكنهم جعلوا هذا تناقضًا وطعنوا في حكمة الله تعالىٰ وعدله، قال تعالىٰ عن إبليس: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف:١٢]، وكذلك قوله: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾﴾ [الإسراء:٦١]، فهنا أقر إبليس بخلق الله تعالىٰ وقدرته، وكذلك أقر بشرعه، ولكنه طعن في حكمة الله وعدله؛ لأنه أمره بالسجود لمن هو دونه بزعمه، وطعنوا في حكمته وعدله، كما يُذكر ذلك عن إبليس مقدمهم.

س٤٤٨– اذكر شيئًا عن المجوسية؟

الجواب: المجوسية الذين كذبوا بقدر الله، وإن آمنوا بأمره ونهيه وزعموا أن الشيطان هو خالق الشر، فعبدوه من دون الله، ويسمونه: إله الشر.

س ٤٤٩– اذكر شيئًا عن المشركية؟

الجواب: المشركية، الذين أقروا بالقضاء والقدر، وأنكروا الأمر والنهي، وسمي هؤلاء بالمشركية لأن غالب المشركين علىٰ هذا المبدأ، إذ إنهم

يقرون بأن الله هو الرب سبحانه، وأنه الخالق، وأنه المدبّر، ولذلك جاءت أسئلتهم في القرآن، وبيّن الله ﷻ أنهم أقروا بهذه الأمور، لكن حينما جاءتهم الأوامر الشرعية والنهي، وعندما جاءهم النبي ﷺ بالدين، وطلب منهم أن يعبدوا الله وحده، وطلب منهم مقتضىٰ لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبوا الأمر والنهي، وبقوا علىٰ مجرد دعوىٰ أنهم موحدون بتوحيد الربوبية، وهذا ما عليه كل من يقع في الشرك من الأمم، وممن ينتسب إلىٰ الإسلام، فيزعمون بأنهم يعظمون الله ﷻ، وبأنهم يؤمنون بتوحيد الربوبية.

س ٤٥٠- اذكر شيئًا عن الإبليسية؟

الجواب: هم الذين أقروا بالأمرين، لكن جعلوا هذا متناقضًا من الرب سبحانه وتعالىٰ، وطعنوا في حكمته وعدله، كما يُذكر ذلك عن إبليس مقدمهم.

شبهة لمن غالىٰ في القدر حتىٰ أنكر الأمر والنهي.

روىٰ مسلم(١) عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ، فَقَالَ: «**أَلَا تُصَلُّونَ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا أَنْفُسُنَا بِيَدِ اللهِ، فَإِذَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ قُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ وَهُوَ مُدْبِرٌ، يَضْرِبُ فَخِذَهُ، وَيَقُولُ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف:٥٤].

الجواب قال شيخ الإسلام(٢): هذا الحديث نص في ذم من عارض الأمر

(١) أخرجه مسلم [٧٧٥].
(٢) مجموع الفتاوىٰ [١٥/ ٢٢٩].

بالقدر، فإن قوله: «إنما أنفسنا بيد الله» إلىٰ آخره. استناد إلىٰ القدر في ترك امتثال الأمر، وهي في نفسها كلمة حق، لكن لا تصلح لمعارضة الأمر بل معارضة الأمر فيها من باب الجدل المذموم الذي قال الله فيه: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤]، وهؤلاء أحد أقسام «القدرية» وقد وصفهم الله في غير هذا الموضع بالمجادلة الباطلة، في موضع آخر(١) فَإِنَّهُ ﷺ لَمَّا أَمَرَهُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ فَاعْتَلَّ عَلِيٌّ رضي الله عنه بِالْقَدَرِ، وَأَنَّهُ لَوْ شَاءَ اللهُ لَأَيْقَظَنَا فَقَالَ ﷺ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف:٥٤]. فقد عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَذَا لَيْسَ فِيهِ إِلَّا مُجَرَّدُ الْجَدَلِ الَّذِي لَيْسَ بِحَقٍّ.

وقال أيضًا(٢) فلا بد أن يؤمن العبد بقضاء الله وقدره؛ وأن يؤمن بشرع الله وأمره. فمن نظر إلىٰ الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهي والوعد والوعيد كان مشابهًا للمشركين؛ ومن نظر إلىٰ الأمر والنهي وكذب بالقضاء والقدر كان مشابهًا للمجوسيين، ومن آمن بهذا وهذا، وإذا أحسن حمد الله؛ وإذا أساء استغفر الله؛ وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره فهو من المؤمنين. فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهداه، وإبليس أصر واستكبر واحتج بالقدر؛ فلعنه وأقصاه، فمن تاب كان آدميًّا، ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسيًّا، فالسعداء يتبعون أباهم آدم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس. فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم. صراط الذين أنعم عليهم من النبيين

(١) منهاج السنه [٣/ ٨٥].
(٢) مجموع الفتاوىٰ [٨/ ٢٤٣].

والصديقين. والشهداء والصالحين.

قال الصابوني: ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم مع قولهم بأن الخير والشر من الله وبقضائه: أنه لا يضاف إلىٰ الله تعالىٰ ما يتوهم منه نقص علىٰ الانفراد، فيقال: يا خالق القردة والخنازير والخنافس والجعلان وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه، وفي ذلك ورد قول رسول الله ﷺ في دعاء الاستفتاح: (تباركت وتعاليت والشر ليس إليك).

ومعناه والله أعلم: والشر ليس مما يضاف إليك إفرادًا وقصدًا، حتىٰ يقال لك في المناداة: يا خالق الشر! ويا مقدر الشر! وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعًا، لذلك أضاف الخضر عليه الصلاة والسلام إرادة العجز إلىٰ نفسه، فقال فيما أخبر الله عنه في قوله جل وعلا: ﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف:٧٩]، ولما ذكر الخير والبر والرحمة أضاف إرادتها إلىٰ الله ﷻ فقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ ﴾ [الكهف:٨٢]، ولذلك قال مخبرًا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال: ﴿ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ ﴾ [الشعراء:٨٠] فأضاف المرض إلىٰ نفسه، والشفاء إلىٰ ربه، وإن كان الجميع منه]. اهـ.

قال ابن القيم(١) في شرح حديث [والشر ليس إليك]: فإنه يتضمن تنزيهه

---

(١) بدائع الفوائد [٢/ ٢١٤].

في ذاته تبارك وتعالىٰ عن نسبة الشر إليه بوجه ما لا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه وإن دخل في مخلوقاته كقوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق:١-٢]، وتأمل طريقة القرآن في إضافة الشر تارة إلىٰ سببه ومن قام به كقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٥٤﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝١٠٨﴾ [المائدة:١٠٨]، وقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [النساء:١٦٠]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام:١٤٦]، وقوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦﴾ [الزخرف:٧٦]، وهو في القرآن أكثر من أن يذكر هاهنا عشر معشاره وإنما المقصود التمثيل وتارة بحذف فاعله كقوله تعالىٰ حكاية عن مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن:١٠]، فحذفوا فاعل الشر ومريده وصرحوا بمريد الرشد، ونظيره في الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٧]، فذكر النعمة مضافة إليه سبحانه والضلال منسوبًا إلىٰ من قام به والغضب محذوفًا فاعله ومثله قول الخضر في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩]، وفي الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢]. اهـ.

س ٤٥١- ما هو دليل التمانع؟

دليل التمانع هو دليل صحيح في دلالته علىٰ امتناع صدور العالم عن إلهين، استدل به النظار علىٰ توحيد الربوبية من قوله تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ

ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢].

وورد معناه أيضًا في قوله تعالىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٩١].

وقال كثير من أهل الكلام(١): إن الدليل علىٰ وجود الرب هو دليل التمانع، وهو أمر فطري، قال تعالىٰ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ ﴾ [إبراهيم:١٠]، ففطر الله جميع الخلق علىٰ إثبات وجوده، وهؤلاء يقولون: الدليل علىٰ إثبات توحيد الربوبية دليل التمانع.

ودليل التمانع عندهم هو دليل بطريقة السبر والتقسيم ا. هـ.

فقالوا أَنه لَو كَانَ للْعَالم صانعان متكافئان فَعِنْدَ اخْتِلَافهمَا مثل أَن يُرِيد أَحدهمَا تَحْرِيك جسم وَيُرِيد الآخر تسكينه أَو يُرِيد أَحدهمَا إحياءه وَيُرِيد الآخر إماتته فإما أَن يحصل مرادهما أو مُرَاد أَحدهمَا أو لَا يحصل مُرَاد وَاحِد مِنْهُمَا.

والأول: «وهو تحريك الجسم وتسكينه في وقت واحد» مُمْتَنع لأنه يسْتَلْزم الْجمع بَين الضدين

وَالثَّانِي: «وهو عدم تحريك الجسم وعدم تسكينه في وقت واحد» مُمْتَنع لِأَنَّهُ يسْتَلْزم خلو الْجِسْم عَن الْحَرَكَة والسكون ويستلزم أَيْضًا عجز كل مِنْهُمَا

(١) دروس في العقيدة – الراجحي (٥/ ٦).

وَالْعَاجِز لَا يكون إِلَهًا ولأن الْمَانِع من فعل أَحدهمَا هُوَ فعل الآخر فَلَو امْتنع مرادهما لزم كَون كل مِنْهُمَا مَانِعًا للآخر وَذَلِكَ يسْتَلْزم كَون كل مِنْهُمَا قَادِرًا غير قَادر لأن كَونه مَانِعا يَقْتَضِي الْقُدْرَة وَكَونه مَمْنُوعًا يَقْتَضِي الْعَجز وَذَلِكَ تنَاقض.

وإذا حصل مُرَاد أَحدهمَا دون الآخر كَانَ هَذَا هُوَ الإله الْقَادِر وَالْآخر عَاجِزا لَا يصلح أن يكون ربًّا معبودًا فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان يستحيل أن يكون له إلهان معبودان.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون:٩١].

فَتَأَمَّلْ هَذَا الْبُرْهَانَ الْبَاهِرَ بِهَذَا اللَّفْظِ الْوَجِيزِ الْبَيِّنِ فَإِنَّ الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِقًا فَاعِلًا يُوصِلُ إِلَىٰ عَابِدِهِ النَّفْعَ وَيَدْفَعُ عَنْهُ الضُّرَّ، فَلَوْ كَانَ مَعَهُ سُبْحَانَهُ إِلَهٌ لَكَانَ لَهُ خَلْقٌ وَفِعْلٌ، وَحِينَئِذٍ فَلَا يَرْضَىٰ شَرِكَةَ الْإِلَهِ الْآخَرِ مَعَهُ، بَلْ إِنْ قَدَرَ عَلَىٰ قَهْرِهِ وَتَفَرُّدِهِ بِالْإِلَهِيَّةِ دُونَهُ فَعَلَ، وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَىٰ ذَلِكَ انْفَرَدَ بِخَلْقِهِ وَذَهَبَ بِهِ، كَمَا يَنْفَرِدُ مُلُوكُ الدُّنْيَا بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِمَمَالِيكِهِمْ إِذَا لَمْ يَقْدِرِ الْمُنْفَرِدُ عَلَىٰ قَهْرِ الْآخَرِ وَالْعُلُوِّ عَلَيْهِ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ: إِمَّا أَنْ يَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِخَلْقِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَعْلُوَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا كُلُّهُمْ تَحْتَ قَهْرِ إِلَهٍ وَاحِدٍ يَتَصَرَّفُ فِيهِمْ وَلَا يَتَصَرَّفُونَ فِيهِ، وَيَمْتَنِعُ مِنْ حُكْمِهِمْ وَلَا يَمْتَنِعُونَ مِنْ حُكْمِهِ فَيَكُونُ وَحْدَهُ هُوَ الْإِلَهُ وَهُمُ الْعَبِيدُ الْمَرْبُوبُونَ الْمَقْهُورُونَ، وَانْتِظَامُ أَمْرِ الْعَالَمِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ وَارْتِبَاطُ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ

وَجَرَيَانُهُ عَلَىٰ نِظَامٍ مُحْكَمٍ لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَفْسُدُ مِنْ أَدَلِّ دَلِيلٍ عَلَىٰ أَنَّ مُدَبِّرَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ كَمَا دَلَّ دَلِيلُ التَّمَانُعِ عَلَىٰ أَنَّ خَالِقَهُ وَاحِدٌ لَا رَبَّ غَيْرُهُ، فَذَاكَ تَمَانُعٌ فِي الْفِعْلِ وَالْإِيجَادِ وَهَذَا تَمَانُعٌ فِي الْغَايَةِ وَالْأُلُوهِيَّةِ، فَكَمَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لِلْعَالَمِ رَبَّانِ خَالِقَانِ مُتَكَافِئَانِ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِلَهَانِ مَعْبُودَانِ(١).

س ٤٥٢– ما الغاية من دليل التمانع؟

ج –دليل التمانع يمنع وجود المفعول، لا يوجب فساده بعد وجوده، وذلك يذكر في الأسباب والبدايات التي تجري مجرىٰ العلل الفاعلات، والثاني يذكر في الحكم والنهايات التي تذكر في العلل التي هي الغايات، كما في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] فقدم الغاية المقصودة علىٰ الوسيلة الموصلة(٢).

س ٤٥٣– علىٰ ما سبق من بيان الغاية من دليل التمانع هل يصح الاستدلال عليه بآية الأنبياء ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]؟

لا يستقيم الاستدلال بهذه الآية علىٰ دليل التمانع لأن هذه الآية جاءت لتقرير توحيد الألوهية والعبادة، لا توحيد الربوبية، ولأن التمانع يدل علىٰ أنه لو فرض أكثر من صانع لما وجدت المخلوقات والمخلوقات موجودة

(١) مختصر الصواعق المرسلة [١/ ٨٣].
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٣٨٨).

فوجودها يدل علىٰ صانع واحد، أما آية سورة الأنبياء وهي ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٢] فهي دالة علىٰ أنه لو وجد أكثر من إله يعبد لحدث الفساد، ففي آية سورة الأنبياء بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشئ عن عبادة ما سوىٰ الله تعالىٰ، لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته، من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم، وما سوىٰ الله لا يصلح، فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة، فإنه سبحانه هو المعبود المحبوب لذاته، كما أنه هو الرب الخالق بمشيئته.

ويبين شيخ الإسلام(١) الفرق بين دليل التمانع وبين هذه الآية ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢] بقوله:

«هذه الآية ليس المقصود بها ما يقوله من يقوله من أهل الكلام، من ذكر دليل التمانع الدال علىٰ وحدانية الرب تعالىٰ؛ فإن التمانع يمنع وجود المفعول، لا يوجب فساده بعد وجوده. وذلك يذكر في الأسباب والبدايات التي تجري مجرىٰ العلل الفاعلات. والثاني يذكر في الحكم والنهايات التي تذكر في العلل التي هي الغايات، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]، فقدم الغاية المقصودة علىٰ الوسيلة الموصلة».

وهذا واضح، لأن التمانع يدل علىٰ أنه لو فرض أكثر من صانع لما

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم [٢/ ٣٨٨].

وجدت المخلوقات، فوجودها يدل علىٰ صانع واحد، أما الآية فهي دالة علىٰ أنه لو وجد أكثر من إله يعبد لحدث الفساد.

ففي الآية بيان امتناع الألوهية من جهة الفساد الناشئ عن عبادة ما سوىٰ الله تعالىٰ، لأنه لا صلاح للخلق إلا بالمعبود المراد لذاته، من جهة غاية أفعالهم ونهاية حركاتهم، وما سوىٰ الله لا يصلح، فلو كان فيهما معبود غيره لفسدتا من هذه الجهة، فإنه سبحانه هو المعبود المحبوب لذاته، كما أنه هو الرب الخالق بمشيئته.

وهذا معنىٰ قول النبي[1] ﷺ: **أصدق كلمة قالها الشاعر، كلمة لبيد:**

ألا كل شيء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محالة زائل

ولهذا قال الله في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] وقدم اسم الله علىٰ اسم الرب في أولها حيث قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١]، فالمعبود هو المقصود المطلوب المحبوب لذاته، وهو الغاية والمعين، وهو البارئ المبدع الخالق...».

والخلاصة: أن الآية جاءت لتقرير توحيد الألوهية المتضمن لتوحيد الربوبية ومعنىٰ الآية أنه لو كان فيهما- أي السموات والأرض- آلهة غير الله لفسدتا ولكن ما فسدتا تدل علىٰ أنه ليس فيهما آلهة إلا الله [2].

---

(١) أخرجه البخاري [٣٨٤١]، ومسلم [٢٢٥٦].

(٢) منهاج السنة [٣/ ٣٣٥].

س٤٥٤ – ما العلاقة بين توحيد الْإِلَهِيَّةِ وتوحيد الرُّبُوبِيَّةِ؟

الجواب: تَوْحِيدُ الْإِلَهِيَّةِ مُتَضَمِّنٌ لتوحيد الرُّبُوبِيَّةِ دُونَ الْعَكْسِ، فَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ يَكُونُ عَاجِزًا، وَالْعَاجِزُ لَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا وتوحيد الربوبية يلزم منه توحيد الْإِلَهِيَّةِ.

١-توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية؛ بمعنىٰ أن الإقرار بتوحيد الربوبية يوجب الإقرار بتوحيد الألوهية؛ فمن عرف أن الله ربه وخالقه ومدبر أموره، وقد دعاه هذا الخالق إلىٰ عبادته وجب عليه أن يعبده وحده لا شريك له؛ فإذا كان هو الخالق الرازق النافع الضار وحده لزم إفراده بالعبادة.

٢-توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية بمعنىٰ أن توحيد الربوبية يدخل ضمنًا في توحيد الألوهية، فمن عَبَدَ الله وحده لا شريك له فلابد أن يكون معتقدًا أنه ربه وخالقه ورازقه؛ إذ لا يعبد إلا من بيده النفع والضر، وله الخلق والأمر.

٣-أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا فترقا اجتمعا، ومعنىٰ ذلك أنهما إذا ذكرا جميعًا فلكل لفظ ما يراد به، كما في قوله-تعالىٰ-: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾﴾ [الناس: ١-٣].

فيكون معنىٰ الرب: هو المالك المتصرف، وهذا توحيد الربوبية، ويكون معنىٰ الإله: المعبود بحق المستحق للعبادة دون سواه وهذا توحيد الألوهية.

وتارة يذكر أحدهما مفردًا عن الآخر فيجتمعان في المعنىٰ؛ كما في قول الملكين للميت في القبر: =من ربك؟ ومعناه: من إلهك؟ = وكما في قوله

-تعالىٰ-: ﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾ [الحج:٤٠]، وقوله: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا ﴾ [الأنعام:١٦٤]، وقوله عن الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة:٢٥٨]، وكما في قوله-تعالىٰ-: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل:٦٢][1].

س ٤٥٥- عرف العبادة؟

الجواب: العبادة: هي الذل والخضوع لله سبحانه، وهي اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهي متضمنة كمال الذل والمحبة لله، ويترتب علىٰ ذلك كمال الطاعة لله وطاعة رسوله.

قال شيخ الإسلام[2]: «الْعِبَادَةُ» هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ: مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ فَالصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالْحَجُّ وَصِدْقُ الْحَدِيثِ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ؛ وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةُ الْأَرْحَامِ وَالْوَفَاءُ بِالْعُهُودِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ. وَالْجِهَادُ لِلْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْإِحْسَانُ إلَىٰ الْجَارِ وَالْيَتِيمِ وَالْمِسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَالْمَمْلُوكِ مِنْ الْآدَمِيِّينَ وَالْبَهَائِمِ وَالدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ وَالْقِرَاءَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِنْ الْعِبَادَةِ. وَكَذَلِكَ حُبُّ اللهِ وَرَسُولِهِ وَخَشْيَةُ اللهِ وَالْإِنَابَةُ إلَيْهِ. وَإِخْلَاصُ الدِّينِ لَهُ وَالصَّبْرُ لِحُكْمِهِ وَالشُّكْرُ لِنِعَمِهِ

(١) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة (٢/ ٢٣).
(٢) مجموع الفتاوىٰ (١٠/ ١٤٩).

وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ؛ وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ؛ وَالرَّجَاءُ لِرَحْمَتِهِ وَالْخَوْفُ لِعَذَابِهِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ هِيَ مِنْ الْعِبَادَةِ للهِ.

ومنهم من يقول: العبادة هي: ما أمر به شرعًا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي، يعني: أن العبادة مبنية علىٰ الأمر فقط، لا ينظر فيها إلىٰ عرف الناس، ولا إلىٰ عقولهم، ولا كون العرف يطرد في هذا أو يكون جائزًا، أو أن العقل يقتضيه، لا دخل للعبادة في ذلك.

وقال ابن القيم في نونيته(١)

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتىٰ قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوىٰ والنفس والشيطان

فقيام دين الله بالإخلاص والإ ... حسان إنهما له أصلان

لم ينج من غضب الإله وناره ... إلا الذي قامت به الأصلان

س٤٥٦- هل من دليل علىٰ ما سبق؟

الأدلة من القرآن علي الإخلاص:

قال تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

وروىٰ أبو أمامة عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْعَثِ، قَالَ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧]، قَالَ:

(١) نونية ابن القيم [١/ ٣٥].

أَخْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ خَالِصًا ولَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّىٰ يَكُونَ خَالِصًا وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ وَالصَّوَابُ إِذَا كَانَ عَلَىٰ السُّنَّةِ»(١).

وَقَدْ دَلَّ عَلَىٰ هَذَا الَّذِي قَالَهُ الْفُضَيْلُ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [الكهف:١١٠]. وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: إِنَّمَا تَفَاضَلُوا بِالْإِرَادَاتِ، وَلَمْ يَتَفَاضَلُوا بِالصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ(٢).

الأدلة من السنة علىٰ الإخلاص:

* عَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»(٣).

لَمَّا ذَكَرَ ﷺ أَنَّ الْأَعْمَالَ بِحَسَبِ النِّيَّاتِ، وَأَنَّ حَظَّ الْعَامِلِ مِنْ عَمَلِهِ نِيَّتُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَهَاتَانِ كَلِمَتَانِ جَامِعَتَانِ، وَقَاعِدَتَانِ كُلِّيَّتَانِ، لَا يَخْرُجُ عَنْهُمَا شَيْءٌ، ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مثالًا مِنْ أَمْثَالِ الْأَعْمَالِ الَّتِي صُورَتُهَا وَاحِدَةٌ، وَيَخْتَلِفُ صَلَاحُهَا وَفَسَادُهَا بِاخْتِلَافِ النِّيَّاتِ، وَكَأَنَّهُ يَقُولُ سَائِرُ الْأَعْمَالِ عَلَىٰ حَذْوِ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩٥).
(٢) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٧٢).
(٣) أخرجه البخاري [١].

هَذَا الْمِثَالِ(١).

الأدلة من القرآن علىٰ المتابعة:

* قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر:٧].

* وقال: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ﴾ [آل عمران:٣١] وقد دلت النصوص علىٰ أن كل عبادة لم يشرعها الله ولا رسوله فهي بدعة محدثة في الدين مردودة علىٰ صاحبها غير مقبولة منه.

الأدلة من السُّنة علىٰ المتابعة:

* عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(٢) وفي لفظ: صحيح مسلم (٣/ ١٣٤٣): «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٣).

وَهَذَا الْحَدِيثُ أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَامِ، وَهُوَ كَالْمِيزَانِ لِلْأَعْمَالِ فِي ظَاهِرِهَا كَمَا أَنَّ حَدِيثَ: «**الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» مِيزَانٌ لِلْأَعْمَالِ فِي بَاطِنِهَا، فَكَمَا أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَا يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللهِ تَعَالَىٰ فَلَيْسَ لِعَامِلِهِ فِيهِ ثَوَابٌ، فَكَذَلِكَ كُلُّ عَمَلٍ لَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَمْرُ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَىٰ عَامِلِهِ، وَكُلُّ مَنْ

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ٧٢).
(٢) أخرجه مسلم [١٧١٨].
(٣) أخرجه مسلم [١٧١٨].

أَحْدَثَ فِي الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَلَيْسَ مِنَ الدِّينِ فِي شَيْءٍ[(١)]

قَالَ ابن بَطَّالٍ[(٢)]: مُرَادُهُ أَنَّ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ السُّنَّةِ جَهْلًا أَوْ غَلَطًا يَجِبُ عَلَيْهِ الرُّجُوعُ إِلَىٰ حُكْمِ السُّنَّةِ وَتَرْكُ مَا خَالَفَهَا امْتِثَالًا لِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ بِإِيجَابِ طَاعَةِ رَسُولِهِ وَهَذَا هُوَ نَفْسُ الِاعْتِصَامِ بِالسُّنَّةِ. اهـ.

وهنا تظهر خطورة الإحداث في دين الله؛ لما يترتب علىٰ هذا العمل المحدث من عدم قبوله ورده علىٰ صاحبه ووصفه بأنه ضلالة وشر، وأنه في النار، قال تعالىٰ: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

س ٤٥٧- ما الذي ينقض الشرط الأول للعبادة؟

ينقضه الشرك بالله تعالىٰ.

س ٤٥٨- للشرك الأكبر خصائص دون غيره من الذنوب اذكرها؟

نعم له خصائص ثلاثة:

الأول: أنه لا يغفره الله ﷻ إن مات العبد مُصرًّا عليه قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء:٤٨].

الثاني: أنه موجب للخلود في النار قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ

(١) جامع العلوم والحكم ت الأرنؤوط (١/ ١٧٦).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٣١٧).

حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة:٧٢].

الثالث: أنه لا ينفع معه عمل قال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام:٨٨].

س ٤٥٩- قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣]، **وقوله تعالىٰ**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨] **بين المراد؟**

الجواب: المعنىٰ المراد أن ما دون الشرك بالله من سائر المعاصي إن مات العبد مصرًّا عليه ولم يتب منه فهو تحت المشيئة إن شاء الله عذب مرتكبه وإن شاء غفر له، ففي ذلك رد علىٰ كل من الخوارج المكفرين بمطلق الذنوب وعلىٰ المعتزلة القائلين بأن أصحاب الكبائر يخلدون في النار، وليسوا عندهم بمؤمنين ولا كفار، ولا يجوز أن يحمل قوله: سبحانه ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن ﴾ [النساء:٤٨] علىٰ التائب فإن التائب من الشرك مغفور له كما قال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر:٥٣] (وهذه الآية في وحشي قاتل حمزة، ولكنها وإن نزلت بسببه إلا أنها عامة في جميع العباد وجميع الذنوب» ذكر القرطبي(١) عن ابن عباس وعطاء. والثابت عن ابن عباس كما في

(١) تفسير القرطبي[١٥/ ٢٦٨].

البخاري ومسلم عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ نَاسًا، مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ كَانُوا قَدْ قَتَلُوا وَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا وَأَكْثَرُوا، فَأَتَوْا مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو إِلَيْهِ لَحَسَنٌ، لَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا كَفَّارَةً فَنَزَلَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨]، وَنَزَلَتْ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٣]»(١).

قال شيخ الإسلام(٢) وَهَذِهِ الْآيَةُ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣] عَامَّةٌ مُطْلَقَةٌ؛ لِأَنَّهَا لِلتَّائِبِينَ. وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء:٤٨] فَإِنَّهَا مُقَيَّدَةٌ خَاصَّةٌ؛ لِأَنَّهَا فِي حَقِّ غَيْرِ التَّائِبِينَ لَا يَغْفِرُ لَهُمْ الشِّرْكَ وَمَا دُونَ الشِّرْكِ مُعَلَّقٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

س ٤٦٠- ما الذي ينقض الشرط الثاني للعبادة؟

ينقضه الابتداع في الدين.

س ٤٦١- تقوم العبادة لله تعالىٰ علىٰ ركنين أساسيين اذكرهما؟

الركن الأول: كمال الحب فبكمال الحب يحصل فعل الأوامر

الركن الثاني: كمال الذل لله تعالىٰ وبكمال الذل يحصل اجتناب

---

(١) أخرجه البخاري [٤٨١٠]، ومسلم [١٢٢].

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٣٥٨).

المحظور ووجه ذلك أن الذليل يخاف والخائف لا يخالف.

قال شيخ الإسلام(١): وَعِبَادَةُ اللهِ تَجْمَعُ كَمَالَ الْحُبِّ لَهُ وَكَمَالَ الذُّلِّ لَهُ فَمَنْ كَانَ محبًّا شَيْئًا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِيلًا لَهُ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا وَمَنْ كَانَ ذَلِيلًا لَهُ وَهُوَ مُبْغِضٌ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا وَالْحُبُّ دَرَجَاتٌ: أَعْلَاهُ التتيم وَهُوَ التَّعَبُّدُ وَتَيَّمَ اللهَ عَبَدَ اللهَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان:٦٣].

قال ابن القيم(٢): فَالْعُبُودِيَّةُ تَجْمَعُ كَمَالَ الْحُبِّ فِي كَمَالِ الذُّلِّ، وَكَمَالَ الِانقياد لِمَرَاضِي الْمَحْبُوبِ وَأَوَامِرِهِ، فَهِيَ الْغَايَةُ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا غَايَةٌ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَىٰ الْقِيَامِ بِحَقِيقَتِهَا - كَمَا يَجِبُ - سَبِيلٌ، فَالتَّوْبَةُ هِيَ الْمِعْوَلُ وَالْآخِيَّةُ، وَقَدْ عَرَفْتَ - بِهَذَا وَبِغَيْرِهِ - أَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا فِي النِّهَايَةِ أَشَدُّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فِي الْبِدَايَةِ.

س٤٦٢ – ما أصول العبادة؟

أصول العبادة هي المحبة، والخوف، والرجاء، وقد جمعها الله تعالىٰ في قوله تعالىٰ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾ [الإسراء:٥٧]، فابتغاء القرب إشارة إلىٰ المحبة، ثم الرجاء، وبعده الخوف.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٨/ ٣٢٧).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤٠٩).

قال العلماء[١]: **الأول**: كمال الحب للمعبود سبحانه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥].

الثاني: كمال الرجاء، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ﴾ [الإسراء:٥٧].

الثالث: كمال الخوف من الله سبحانه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء:٥٧].

وقد جمع الله سبحانه بين هذه الأركان الثلاثة العظيمة في فاتحة الكتاب في قوله سبحانه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤] فالآية الأولىٰ فيها المحبة؛ فإن الله منعم، والمنعم يُحبُّ علىٰ قدر إنعامه، والآية الثانية فيها الرجاء، فالمتصف بالرحمة تُرجىٰ رحمته، والآية الثالثة فيها الخوف، فمالك الجزاء والحساب يخاف عذابه.

س ٤٦٣– أيهما أرفع منزلة الحب أم الخوف؟

الجواب: منزلة الحب أرفع من منزلة الخوف:

وذلك لسببين:

أ– أن المحبة مقصودة لذاتها، وأما الخوف فمقصود لغيره.

ب – أن الخوف يتعلق بأفعال الله، والمحبة تتعلق بذاته وصفاته.

---

(١) كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٩).

روىٰ الترمذي(١) عن أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ شَابٍّ وَهُوَ فِي المَوْتِ، فَقَالَ: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**»، قَالَ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَرْجُو اللهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا المَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَقَدْ رَوَىٰ بَعْضُهُمْ هَذَا الحَدِيثَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مُرْسَلًا [سنن الترمذي ت شاكر (٣/ ٣٠٢) قال الألباني في مشكاة المصابيح «حسن»].

قال شيخ الإسلام (٢): وَقَالَ من قَالَ من السّلف: من عَبَدَ اللهَ بالحب وَحده فَهُوَ زنديق، وَمَنْ عَبَدَهُ بالرجاء وَحده فَهُوَ مرجئ، وَمنْ عَبَدَهُ بالخوف وَحده فَهُوَ حروريّ، وَمن عَبَدَهُ بالحب وَالْخَوْف والرجاء فَهُوَ مُؤمن موحد.

س ٤٦٤– ما المراد بالإسلام؟

للإسلام معنيان والسياق هو الذي يحدد المعنىٰ المراد:

الأول: هو الإسلام العام والمراد به الاستسلام لله تعالىٰ بالطاعة والانقياد له بالتوحيد والبراءة من الشرك وأهله والإسلام بهذا المعنىٰ هو الدين الذي دعت إليه كل الأنبياء وهو المراد بقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران:١٩].

* وبقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ

(١) أخرجه الترمذي [٩٨٣]، وحسنه الألباني.
(٢) العبودية (ص: ١١٢).

ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٠-١٣٢].

* وبقوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يونس: ٧١-٧٢].

* وبقوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يونس: ٨٤].

* وبقوله تعالىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤].

* وبقوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [المائدة: ١١١].

* وبقوله تعالىٰ عن ملكة سبأ ﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل: ٤٤].

وعليه فالإسلام العام هو الاستسلام لله تعالىٰ وذلك بطاعته في كل وقت بما أمر به في ذلك الوقت.

الثاني: الإسلام الخاص وهو اتِّباع شريعة النبي محمد ﷺ وهو المراد من قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران:٨٥]، وهو المراد بما رواه مسلم(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**».

س ٤٦٥ – هل يجوز أن نطلق علىٰ أتباع الأنبياء السابقين مسلمين؟

يجوز ذلك بقيدين مجتمعين:

الأول: أنهم مسلمون ما داموا متمسكين بشريعة أنبيائهم.

الثاني: قبل بعثة النبي محمد ﷺ أما بعد بعثته ﷺ فليس هناك مسلم إلا من تمسك بشريعته ﷺ دليل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم [١٥٣] .

(٢) أخرجه مسلم [١٥٣] باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام.

(الأمة): هنا: أمة الدعوة وهم المكلفون من الإنس والجن، وإذا كان اليهود والنصارىٰ يستحقون النار إذا لم يؤمنوا به وهم أهل دين سماوي في الأصل فمن باب أولىٰ غيرهم.

س ٤٦٦- اذكر مزيدًا من الأدلة لبيان الإسلام الخاص؟

بوب ابن حبان(١) فقال ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَىٰ أَنَّ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ اسْمَانِ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، يَشْتَمِلُ ذَلِكَ الْمَعْنَىٰ عَلَىٰ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مَعًا ثم روىٰ بسند صحيح عن معاوية بن حَيْدة القُشيري، أنّه قال: يا رسول اللهِ! والذي بعثَكَ بالحقِّ ما أتيتُك حتّىٰ حلفتُ - عدد أصابعي هذه - أن لا آتيك، فما الذي بعثك به؟ قال: «**الإسلام**». قال: وما الإسلامُ؟ قال: «**أن تُسلمَ قلبَك للهِ، وأن توجه وجهك للهِ، وأن تصلي الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة - أخوان نَصيران -، لا يقبل [الله] من عبد توبةً أشرك بعد إسلامِه**».

عَنْ ابْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ عَبْدِ القَيْسِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الحَيَّ مِنْ رَبِيعَةَ قَدْ حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارُ مُضَرَ، وَلَسْنَا نَخْلُصُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي الشَّهْرِ الحَرَامِ، فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذُهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إِلَيْهِ مَنْ وَرَاءَنَا، قَالَ: «**آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الإِيمَانِ بِاللهِ، وَشَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ** - وَعَقَدَ بِيَدِهِ هَكَذَا - **وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا خُمُسَ مَا غَنِمْتُمْ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ: الدُّبَّاءِ، وَالحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالمُزَفَّتِ**» وَقَالَ سُلَيْمَانُ،

(١) صحيح موارد الظمآن إلىٰ زوائد ابن حبان (١/ ١٠٦)، وصححه الألباني في الصحيحة [٣٦٩].

وَأَبُو النُّعْمَانِ: عَنْ حَمَّادٍ: «الإِيمَانِ بِاللهِ، شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١).

قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: عَنِ ابْنِ عُمر، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بذلك وَمِنَ التِّسْعِ، حَدِيثُ أَبِي هُريرة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «[إِنَّ] لِلْإِسْلَامِ صُوًى وَمَنَارًا كَمَنَارِ الطَّرِيقِ»، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: «صُوًى»: هِيَ مَا غلُظَ وَارْتَفَعَ مِنَ الأرضِ، وَاحِدَتُهَا صوَّة مِنْهَا أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ ولا تشرك به شَيْئًا، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ الْبَيْتِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَىٰ أَهْلِكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ تُسَلِّمَ عَلَىٰ الْقَوْمِ إِذَا مَرَرْتَ بِهِمْ، فَمَنْ تَرَكَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا [فَقَدْ تَرَكَ سَهْمًا مِنَ الْإِسْلَامِ، وَمَنْ تَرَكَهُنَّ] فَقَدْ وَلَّىٰ الْإِسْلَامَ ظَهْرَهُ»(٢).

س ٤٦٧- قول شيخ الإسلام فمن بلغته رسالة محمد ﷺ فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلمًا ولا مؤمنًا، بل يكون كافرًا وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن وضح ذلك؟

الجواب: يشير شيخ الإسلام إلىٰ أن من لم يؤمن بجميع ما بعث به محمد ﷺ فليس بمسلم وبطريق الأولىٰ نفي الإيمان عنه، لأن الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة والإيمان يفسر بالأعمال الباطنة.

فمن أنكر رسالة رسول أو نبوة نبي واحد فقد كفر كفرًا مطلقًا مخرجًا من الملة، وكأنه كفر بالجميع، لأن تكذيب واحد منهم يعتبر تكذيبًا للكل، ثم

(١) أخرجه البخاري [١٣٩٨].

(٢) الإيمان للقاسم بن سلام - محققا (ص: ٢١)، والألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته [٢١٦٢].

كذلك بقية أركان الإيمان بالرسل، أو الإيمان باليوم الآخر، فمن أنكر شيئًا من ثوابت اليوم الآخر، حتىٰ وإن كان جزئيًّا، فكأنه ما آمن باليوم الآخر، بل انتقض إيمانه بالدين كله، وكذلك الثوابت العملية الأخرىٰ، فلو أن أحدًا ادعىٰ أنه يسعه أن ينكر ركنًا من أركان الإسلام أو يؤوله، وهذه فتنة موجودة، ولا تظنونها مجرد افتراضات، فهي فتنة موجودة عند غلاة الفرق إلىٰ يومنا هذا، فتجد من يدعي أن أركان الإسلام مجرد أمور قلبية، فالصلاة صلة الإنسان بربه، والزكاة أن يكون الإنسان عنده أخلاق عالية، والصيام الكف عن الآثام والأخلاق الرذيلة.

س ٤٦٨- ما الذي ينقض الإسلام العام؟

ينقضه الاستسلام لله تعالىٰ ولغير الله تعالىٰ أو عدم الاستسلام لله تعالىٰ فمن استسلم لله تعالىٰ ولغير الله تعالىٰ كان مشركًا، ومن لم يستسلم لله تعالىٰ كان مستكبرًا عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده وطاعته وحده.

س ٤٦٩- ما الدليل علىٰ أن دين الأنبياء واحد؟

الجواب: من القرآن قوله تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الشورى:١٣]، فأمر بإقامة الدين وألا يتفرقوا فيه، وقوله: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(١).

قال النووي(٢): قَالَ الْعُلَمَاءُ أَوْلَادُ الْعَلَّاتِ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ هُمُ الْإِخْوَةُ لِأَبٍ مِنْ أُمَّهَاتٍ شَتَّى وَأَمَّا الْإِخْوَةُ مِنَ الْأَبَوَيْنِ فَيُقَالُ لَهُمْ أَوْلَادُ الْأَعْيَانِ قَالَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مَعْنَى الْحَدِيثِ أَصْلُ إِيمَانِهِمْ وَاحِدٌ وَشَرَائِعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ فَإِنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ فِي أُصُولِ التَّوْحِيدِ واما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف واما قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ فَالْمُرَادُ بِهِ أُصُولُ التَّوْحِيدِ وَأَصْلُ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى وَإِنِ اخْتَلَفَتْ صِفَتُهَا وَأُصُولُ التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ جميعًا». انتهى.

س ٤٧٠ - الله تعالى جعل من دين الرسل أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن به، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به اذكر برهان ذلك؟

نعم من الدين الذي بعث الله به الرسل أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن به، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به وبرهان ذلك.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل

(١) أخرجه البخاري [٣٤٤٣].
(٢) شرح النووي على مسلم [١٥/ ١١٩].

عمران:٨١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يبعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بُعث محمَّد وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق علىٰ أمته لئن بعث محمَّد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه.

وقال تعالىٰ: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨].

وجعل الإيمان بهم متلازمًا، وكفَّر من قال: إنه آمن ببعض وكفر ببعض، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

س ٤٧١- ما الذي يلزم من قول العبد أشهد أن محمدًا رسول الله؟

يلزم من ذلك ولا بد تصديقه بكل ما أخبر وإطاعته في كل ما أمر والانتهاء عما عنه نهىٰ وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع.

س ٤٧٢- اذكر بعض الأدلة علىٰ ما سبق؟

قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران:٣١].

قال الطحاوي(١): فَكَانَتْ مَحَبَّتُهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهُمْ بِاتِّبَاعِهِمْ رَسُولَهُ ﷺ، وَذَلِكَ

(١) شرح مشكل الآثار (٩/ ٤٠٨).

مِمَّا قَدْ يَكُونُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، فَإِذَا اتَّبَعُوهُ صَارُوا لِرَبِّهِمْ ﷻ أَوْلِيَاءَ، فَأَلْقَىٰ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مَحَبَّتَهُمْ، فَيُحِبُّونَهُمْ بِاخْتِيَارِهِمْ، فَيُثَبِّتُهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، كَمِثْلِ مَا يُلْقِي فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ.

وقوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥].

س ٤٧٣- قوله تعالىٰ: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء:٦٥] **ما المنفي في هذه الكلمة؟**

المنفي - والله أعلم - واجب من واجبات الإيمان وليس أصل الإيمان.

قال شيخ الإسلام(١):

والمقصود هنا أن كل ما نفاه الله ورسوله من مسمىٰ أسماء الأمور الواجبة، كاسم الإيمان، والإسلام، والدين، والصلاة، والصيام، والطهارة، والحج، وغير ذلك، فإنما يكون لترك واجب من ذلك المسمىٰ، ومن هذا قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥]، فلما نفىٰ الإيمان حتىٰ توجد هذه الغاية، دل علىٰ أن هذه الغاية فرض علىٰ الناس، فمن تركها كان من أهل الوعيد، لم يكن قد أتىٰ بالإيمان الواجب الذي وعد أهله بدخول الجنة بلا عذاب، فإن الله إنما وعد بذلك من فعل ما

(١) الإيمان لابن تيمية (ص: ٣٤).

أمر به، وأما من فعل بعض الواجبات وترك بعضها، فهو معرض للوعيد.

س ٤٧٤– ما الدليل علىٰ أن المنفي في الآية واجب من واجبات الإيمان وليس أصل الإيمان؟

الوقوف علىٰ سبب نزول الآية يوضح المراد.

روىٰ البخاري(١) عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ الزُّبَيْرَ، كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّهُ خَاصَمَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي شِرَاجٍ مِنَ الحَرَّةِ، كَانَا يَسْقِيَانِ بِهِ كِلاهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلْزُّبَيْرِ: «**اسْقِ يَا زُبَيْرُ، ثُمَّ أَرْسِلْ إِلَىٰ جَارِكَ**»، فَغَضِبَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، آنْ كَانَ ابْنَ عَمَّتِكَ؟ فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْقِ، ثُمَّ احْبِسْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الجَدْرَ**»، فَاسْتَوْعَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَئِذٍ حَقَّهُ لِلْزُّبَيْرِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَبْلَ ذَلِكَ أَشَارَ عَلَىٰ الزُّبَيْرِ بِرَأْيٍ سَعَةٍ لَهُ وَلِلأَنْصَارِيِّ، فَلَمَّا أَحْفَظَ الأَنْصَارِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، اسْتَوْعَىٰ لِلْزُّبَيْرِ حَقَّهُ فِي صَرِيحِ الحُكْمِ، قَالَ عُرْوَةُ: قَالَ الزُّبَيْرُ: «وَاللهِ مَا أَحْسِبُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ إِلَّا فِي ذَلِكَ»: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء:٦٥] الآيَةَ.

س٤٧٥ – ما وجه الاستدلال من سبب النزول علىٰ أن المنفي واجب من واجبات الإيمان؟

وجه الاستدلال أن الخصومة وقعت بين الزبير بن العوام ورجل من البدريين ومعلوم أن الله تعالىٰ قد عصم أهل بدر من الوقوع في الشرك والكفر.

---

(١) أخرجه البخاري [٢٧٠٨].

قال شيخ الإسلام: «قوله لأهل بدر ونحوهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» إنْ حُمِلَ عَلَىٰ الصَّغَائِرِ أَوْ عَلَىٰ الْمَغْفِرَةِ مَعَ التَّوْبَةِ لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ غَيْرِهِمْ. فَكَمَا لَا يَجُوزُ حَمْلُ الْحَدِيثِ عَلَىٰ الْكُفْرِ لِمَا قَدْ عُلِمَ أَنَّ الْكُفْرَ لَا يُغْفَرُ إلَّا بِالتَّوْبَةِ لَا يَجُوزُ حَمْلُهُ عَلَىٰ مُجَرَّدِ الصَّغَائِرِ الْمُكَفَّرَةِ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ(١).

قال ابن بطال(٢): قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ...﴾ [النساء:٦٥] الآية. يعني: لا يؤمنون إيمانًا كاملًا؛ لأنه لا يخرج من الإيمان بخطرة أخطرها الشيطان ونزغ بها.

قال المهلب(٣): الترجمة صحيحة (وهي: باب إِذَا أَشَارَ الإِمَامُ بِالصُّلْحِ فَأَبَىٰ، حَكَمَ عَلَيْهِ بِالحُكْمِ البَيِّنِ) لأنه حضَّ أولًا الزبير علىٰ فعل المعروف، فلمَّا بدا من الأنصاري ما بدا استوعىٰ للزبير حقه، ولم يحمله غضبه علىٰ أكثر من أنه استوعىٰ له حقه، ونزل القرآن بتصديقه، وهو قوله تعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء:٦٥] الآية. أي: لا يؤمنون إيمانًا كاملًا؛ لأنه لا يخرج من الإيمان بخطرة أخطرها الشيطان ونزغ بها.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ [٧/ ٤٩٠].
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٨/ ١٠٠).
(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (ابن الملقن) (١٧/ ٨٨).

وَقَالَ ابن التِّينِ[١] إِنْ كَانَ بَدْرِيًّا فَمَعْنَىٰ قَوْلِهِ لَا يُؤْمِنُونَ لَا يَسْتَكْمِلُونَ الْإِيمَانَ وَاللهُ أَعْلَمُ.

س ٤٧٦- كيف يتم تحقيق التوحيد من المكلفين؟

يتم تحقيق التوحيد بالترك والفعل.

ترك عبادة غير الله تعالىٰ وفعل العبادة لله تعالىٰ فمَنْ عَبَدَ مع الله غيره لم يكن موحدًا ولو عَبَدَ الله تعالىٰ، ومن لم يعبد الله تعالىٰ لم يكن موحدًا وإن لم يعبد غير الله تعالىٰ.

برهان ذلك قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦].

س ٤٧٧- بين المراد من قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنفال:٦٤].

المراد والله تعالىٰ أعلم أي حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين هو الله ﷻ فهو كافيكم كلكم وهذا مشهور في اللغة كقول الشاعر:

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا ... فحسبك والضحاك سيف مهند

أي يكفيك ويكفي الضحاك سيف مهند وتقول العرب أيضًا حسبك وزيدًا درهمًا أي يكفيك وزيدًا - جميعًا - درهمًا ويغلط من ظن أن معنىٰ الآية أن الله تعالىٰ والمؤمنين حسب النبي ﷺ فالله تعالىٰ وحده كاف نبيه

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٥/ ٣٦).

ﷺ وكاف عباده المؤمنين.

قال شيخ الإسلام[(١)]: أَيْ: [اللهُ] كَافِيكَ. وَكَافِي مَنِ اتَّبَعَكَ. مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَالصَّحَابَةُ أَفْضَلُ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوَّلُهُمْ.

س٤٧٨ – نريد مزيدًا من التوضيح علىٰ أن المراد من الآية ما تقدم؟

يزداد الأمر وضوحًا ببيان إعراب الآية:

(حسبك الله) حسب: مبتدأ وهي مضاف (والكاف): مضاف إليه (ولفظ الجلالة): خبر وقوله تعالىٰ (ومن اتبعك): الواو عاطفة علىٰ الضمير المجرور - وهو الكاف –ولا بأس علىٰ الصحيح من أقوال النحويين من العطف علىٰ الضمير المتصل المجرور ولو من غير إعادة العامل – والمعنىٰ حسبُك ومن اتبعك من المؤمنين اللهُ تعالىٰ فـ (من) هنا معطوفة علىٰ الضمير المجرور

وجه آخر في الإعراب وهو:

أن تكون (الواو) عاطفة لجملة علىٰ جملة: أي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله تعالىٰ كذلك وعليه فتكون (من) مبتدأ.

أو تكون (الواو) للمعية فإن العرب تقول حسبك وزيدًا درهم أي كافيك وزيد معك درهم فـ (الواو) للمعية فتكون (من) هنا في موضع نصب.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٢).

س٤٧٩– قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور:٥٢] **أثبت الله تعالىٰ الطاعة له ولرسوله وأفرد الخشية له سبحانه بين ذلك؟**

هناك بعض العبادات لا تكون إلا لله تعالىٰ ومنها الخوف والتقوىٰ والخشية قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة:٤٤].

وأما الطاعة فأثبتها سبحانه وتعالىٰ له ولرسوله ﷺ.

قال ابن القيم(١): قال ابن عباس عن عمر: هِبْتُهُ وكان مهيبًا، وأما الخشية والمخافة فلا تصلح إلا لله وحده، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ [آل عمران:١٧٥]، وقال: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [التوبة:١٨].

فالخوف عبودية القلب فلا تصلح إلا لله [وحده] كالذل والمحبة والإنابة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب، [فكيف] يجعل المهابة

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٢٩٢).

المشتركة أفضل منه وأعلىٰ؟ وتأمل قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور:٥٢]، كيف جعل الطاعة لله ولرسوله، والخشية والتقوىٰ له وحده، وقال تعالىٰ: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ [الفتح:٩]، كيف جعل التوقير والتعزيز للرسول وحده، والتوقير هو التعظيم الصادر عن الهيبة والإجلال.

هذه حقيقته، فعلم أن الخوف من أجلّ مقامات الخواصّ وأنهم إليه أحوج وبه أقوم من غيرهم.

س ٤٨٠– قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام:٨٢]. ما المراد بالظلم في الآية؟

المراد بالظلم في الآية هو الشرك الأكبر برهان ذلك ما رواه الشيخان(١) عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام:٨٢] شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا: أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ:** ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣].

س ٤٨١– ما معنىٰ الآية؟

المراد والله تعالىٰ أعلم أن كل من حقق التوحيد وذلك باجتناب كل أنواع الظلم فله الأمن التام والاهتداء التام أما من لبس أيمانه بشيء من

(١) أخرجه البخاري [٣٣٦٠]، ومسلم [١٢٤].

الشرك الأكبر فلا أمن ولا اهتداء ومآله إلىٰ النار مخلد فيها.

فعرفنا أن المقصود بالآية أن الذي وحد الله جل وعلا وعبده ولم يخلط عبادته بشيء من الشرك فإنه يحصل له الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فباتباع الرسل والطمأنينة بالله جل وعلا، وبكونه يأمن من العذاب الذي يحصل للكفار المخالفين للرسل، وأما في الآخرة ففي القبر أول منازل الآخرة يحصل له النعيم، ثم ما بعد القبر خير له منه، فهو آمن من عذاب الله ومهتد إلىٰ الطمأنينة والحياة السعيدة(١).

س ٤٨٢- قال النبي ﷺ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَمَا شَاءَ مُحَمَّدٌ، وَلَكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ» رواه البزار(٢) وهو صحيح بين وجه ذلك؟

لا يجوز عطف مشيئة أحد علىٰ مشيئة الله تعالىٰ بحرف الواو فهذا من الشرك الأصغر في الألفاظ لأن الواو تقتضي التسوية فليست مشيئة أحد من العباد مشيئة لله تعالىٰ ولا مشيئة الله تعالىٰ مستلزمة لمشيئة العباد فلا تلازم بين مشيئة العبد ومشيئة الله تعالىٰ فقد يشاء الله تعالىٰ ما لا يشاء العبد وقد يشاء العبد ما لا يشاء الله تعالىٰ ولكن لا تكون مشيئة العبد إلا أن يشاء الله تعالىٰ ولا يكون في الكون إلا ما شاء الله ﷻ وعليه فما شاء الله تعالىٰ كان وإن لم يشأ الناس وما شاء الناس لم يكن إلا أن يشاء الله تعالىٰ.

قال الشافعي في رواية الربيع عنه: «المشيئة إرادة الله قال الله ﷻ: ﴿وَمَا

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان (١٥/ ٥).

(٢) أخرجه البزار [٢٥١].

تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [التكوير:٢٩] فأعلم الله خلقه أن المشيئة له دون خلقه وأن مشيئتهم لا تكون إلا أن يشاء الله فيقال لرسول الله ﷺ ما شاء الله ثم شئت ولا يقال ما شاء الله وشئت قال ويقال من يطع الله ورسوله فإن الله تعبد العباد بأن فرض عليهم طاعة رسوله فإذا أطيع رسول الله فقد أطيع الله بطاعة رسوله(١).

س٤٨٣-خص الله تعالىٰ النبي محمد بشريعة وسط بين الغالي والجافي وضح ذلك؟

نعم أنعم الله تعالىٰ وتفضل علىٰ النبي محمد ﷺ وعلىٰ هذه الأمة تبعًا بهذه الشريعة التي هي أفضل شرعة وأكمل منهاجًا كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس. فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها وأكرمها علىٰ الله من جميع الأجناس. هداهم الله بكتابه وإرسال رسوله لما اختلف فيه من الحق قبلهم فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وأحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، لم يحرم عليهم شيئًا من الطيبات كما حرم علىٰ اليهود، ولم يحل لهم شيئًا من الخبائث كما استحلتها النصارىٰ، ولم يضيق عليهم باب الطهارة والنجاسة، بينما كانت اليهود لا يرون إزاله النجاسة بالماء بل إذا أصابت ثوب أحدهم قرضه بالمقراض، والنصارىٰ ليس عندهم شيء نجس. وكذلك المسلمون وسط في الشريعة فلم يجحدوا شرعه الناسخ لأجل شرعه المنسوخ كما فعلت اليهود، ولا غيروا شيئًا من شرعه المحكم، ولا ابتدعوا

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (ص: ٤٥).

شرعًا لم يأذن به الله كما فعلت النصارىٰ ولا غلوا في الأنبياء والصالحين كغلو النصارىٰ ولا بخسوهم حقوقهم كفعل اليهود ولا جعلوا الخالق سبحانه وتعالىٰ متصفًا بخصائص المخلوق ونقائصه ومعايبه من الفقر والبخل والعجز كفعل اليهود ولا المخلوق متصفًا بخصائص الخالق سبحانه التي ليس كمثله فيها شيء كفعل النصارىٰ.

ولم يستكبروا عن عبادته كفعل اليهود ولا أشركوا بعبادته أحدًا كفعل النصارىٰ. وأهل السنة والجماعة في الإسلام كأهل الإسلام في أهل الملل. فهم وسط في باب صفات الله ﷻ بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل. يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتًا لصفات الكمال وتنزيهًا له عن أن يكون له فيها أنداد وأمثال. وجعلهم وسطًا عدلًا خيارًا. فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته وفي الإيمان.

س٤٨٤- بين مراتب الناس في تحقيق مقامي الشرع والقدر؟

الناس في تحقيق مقامي الشرع والقدر علىٰ أربعة أقسام(١):

أـ من حقق مقامي الشرع والقدر هم المؤمنون المتقون الذين كان عندهم من عبادة الله تعالىٰ والاستعانة به ما يصلح به أحوالهم، فكانوا لله وبالله وفي الله، وهؤلاء أهل القسط والعدل الذين شهدوا مقام الربوبية والألوهية وهم

(١) شرح الرسالة التدمرية «: محمد بن عبد الرحمن الخميس» (ص: ٣٧٠) تقريب التدمرية «محمد بن صالح بن محمد العثيمين» (ص: ١٣٢).

أعلىٰ الأقسام، فإن هذا مقام الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ب ـ من فاتهم التحقق في أصل القدر، فكان عندهم من عبادة الله والاستقامة في شرعه ما عندهم، لكن ليس عندهم قوة في الاستعانة بالله والصبر علىٰ أحكامه الكونية والشرعية، فيصيبهم عند العمل من العجز والكسل ما يمنعهم من العمل أو إكماله ويلحقهم بعد العمل من العجب والفخر ما قد يكون سببًا لحبوط عملهم وخذلانهم، وهؤلاء أضعف مما سبقهم، وأدنىٰ مقامًا، وأقل عدلًا؛ لأن شهودهم مقام الألوهية غالب علىٰ شهود مقام الربوبية.

ج ـ من فاتهم التحقيق في أصل الشرع فكانوا ضعفاء في الاستقامة علىٰ أمر الله ومتابعة شرعه، لكن عندهم قوة في الاستعانة بالله والتوكل عليه، ولكن قد يكون ذلك في أمور لا يحبها الله تعالىٰ ولا يرضاها، فَيُعَانُ ويُمَكَّنُ له بقدر حاله، ويحصل له من المكاشفات والتأثيرات ما لا يحصل للقسم الذي قبله، لكن ما يحصل من هذه الأمور يكون من نصيب العاجلة في الدنيا، أما عاقبته في الدنيا، أما عاقبته فعاقبته سيئة، لأنه ليس من المتقين، وإنما العاقبة للمتقين، قال تعالىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥-٦٦].

فالله سبحانه يعلم أن هؤلاء سيشركون بعد أن ينجيهم، لكن لما كانوا في البحر كانوا مخلصين في دعائهم الله تعالىٰ أن ينجيهم صادقين في تفويض

الأمر إليه حتىٰ يحصل مرادهم، ولما لم يكن لهم عبادة لم يستقم أمرهم وكان عاقبة أمرهم خسرًا.

فالفرق بين هؤلاء وبين القسم الذين قبلهم: أن الذين قبلهم كان لهم دين ضعيف لضعف استعانتهم بالله وتوكلهم عليه، لكنه مستمر باق إن لم يفسده صاحبه بالعجز والجزع، وهؤلاء لهم حال وقوة لكن لا يبقىٰ لهم إلا ما وافقوا فيه الأمر واتبعوا السنة.

د ـ من فاتهم تحقيق أصلي الشرع والقدر، فليس عندهم عبادة الله، ولا استعانة ولا لجوء إليه عند الشدة، فهم مستكبرون عن عبادة الله، مستغنون بأنفسهم عن خالقهم، وربما لجأوا في الشدائد وإدراك مطالبهم إلىٰ الشياطين فأطاعوها فيما تريد وأعانتهم فيما يريدون، فيظن الظانُّ أن هذا من باب الكرامات! وهو من باب الإهانات لأن عاقبتهم الذل والهوان وهذا القسم شر الأقسام.

س ٤٨٥– اذكر نبذة عن الصوفية من ناحية تسميتهم بهذا الاسم؟

قال شيخ الإسلام(١): أَمَّا لَفْظُ «الصُّوفِيَّةِ» فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَشْهُورًا فِي الْقُرُونِ الثَّلَاثَةِ وَإِنَّمَا اشْتُهِرَ التَّكَلُّمُ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَقَدْ نُقِلَ التَّكَلُّمُ بِهِ عَنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ الْأَئِمَّةِ وَالشُّيُوخِ: كَالْإِمَامِ أَحْمَد بْنِ حَنْبَلٍ وَأَبِي سُلَيْمَانَ الداراني وَغَيْرِهِمَا. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ وَبَعْضُهُمْ يَذْكُرُ ذَلِكَ عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَتَنَازَعُوا فِي «الْمَعْنَىٰ» الَّذِي أُضِيفَ إلَيْهِ الصُّوفِيُّ – فَإِنَّهُ مِنْ

(١) مجموع الفتاوىٰ (١١/ ٥).

أَسْمَاءِ النَّسَبِ: كَالْقُرَشِيِّ وَالْمَدَنِيِّ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. فَقِيلَ: إِنَّهُ نِسْبَةٌ إِلَىٰ «أَهْلِ الصُّفَّةِ» وَهُوَ غَلَطٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ: (صُفِّيٌّ). وَقِيلَ نِسْبَةٌ إِلَىٰ الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ بَيْنَ يَدَيْ اللهِ وَهُوَ أَيْضًا غَلَطٌ؛ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ: (صَفِيٌّ). وَقِيلَ نِسْبَةٌ إِلَىٰ الصَّفْوَةِ مِنْ خَلْقِ اللهِ وَهُوَ غَلَطٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَقِيلَ: (صَفَوِيٌّ) وَقِيلَ: نِسْبَةٌ إِلَىٰ صُوفَةَ بْنِ مر بْنِ أد بْنِ طانجة قَبِيلَةٌ مِنْ الْعَرَبِ كَانُوا يُجَاوِرُونَ بِمَكَّةَ مِنْ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ يُنْسَبُ إلَيْهِمْ النُّسَّاكُ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِلنَّسَبِ مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ فَإِنَّهُ ضَعِيفٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ غَيْرُ مَشْهُورِينَ وَلَا مَعْرُوفِينَ عِنْدَ أَكْثَرِ النُّسَّاكِ وَلِأَنَّهُ لَوْ نُسِبَ النُّسَّاكُ إلَىٰ هَؤُلَاءِ لَكَانَ هَذَا النَّسَبُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ أَوْلَىٰ وَلِأَنَّ غَالِبَ مَنْ تَكَلَّمَ بِاسْمِ «الصُّوفِيِّ» لَا يَعْرِفُ هَذِهِ الْقَبِيلَةَ وَلَا يَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ مُضَافًا إلَىٰ قَبِيلَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا وُجُودَ لَهَا فِي الْإِسْلَامِ. وَقِيلَ: - وَهُوَ الْمَعْرُوفُ - إنَّهُ نِسْبَةٌ إلَىٰ لُبْسِ الصُّوفِ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا ظَهَرَتْ الصُّوفِيَّةُ مِنْ الْبَصْرَةِ وَأَوَّلُ مَنْ بَنَىٰ دويرة الصُّوفِيَّةِ بَعْضُ أَصْحَابِ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ وَعَبْدُ الْوَاحِدِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ وَكَانَ فِي الْبَصْرَةِ مِنْ الْمُبَالَغَةِ فِي الزُّهْدِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخَوْفِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مَا لَمْ يَكُنْ فِي سَائِرِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَلِهَذَا كَانَ يُقَالُ: فِقْهٌ كُوفِيٌّ وَعِبَادَةٌ بَصْرِيَّةٌ.

س ٤٨٦– ما المراد بالتصوف عند الصوفية؟

التصوف[(١)]: هو الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق، وهو تعريف الكرخي له، فالأخذ بالحقائق: فالحقائق تشمل الاعتقادات الصوفية. واليأس مما في أيدي الخلائق: يشمل الزهد الصوفي المؤدي إلىٰ إهدار

(١) شرح الرسالة التدمرية (ص: ٤١٠).

الأسباب.

س ٤٨٧– اشرح حقيقة كلام الكرخي في تعريفه للتصوف؟

المراد بالحقائق الاعتقادات الصوفية، ومنها حلول الله في المخلوقات، ومنها القول بالجبر، ومنها أن الإيمان المعرفة فقط، ومنها التسليم للشيخ وعدم الاعتراض علىٰ أي شيء يصدر منه، واليأس مما في أيدي الخلائق: يشمل الزهد الصوفي المؤدي إلىٰ إهدار الأسباب.

س٤٨٨ – متىٰ كانت نشأة التصوف؟

الجواب: إن نشأة التصوف كانت في القرن الثاني عندما أقبل الناس علىٰ الدنيا، وانصرف الناس للزهد والعبادة فسموا بالصوفية، وهم الذين دعوا إلىٰ الحب المجرد من الخوف والرغبة، فخالفوا بذلك سبيل الأنبياء الذين قال الله فيهم (أي في الأنبياء) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

س ٤٨٩– من هو العارف؟

مصطلح شهير عند الصوفية والمراد به عندهم الذي عرف الله وأُفني فيه حبًّا هكذا يقولون.

س٤٩٠ – ما حقيقة التوحيد عند الصوفية؟

التوحيد لغة:

التوحيد في اللغة: «الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد». «التوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له، واللهُ الواحدُ الأحد ذو التَّوَحُّدِ

والوحدانية».

التوحيد اصطلاحًا: التوحيد: وهو في النهاية: أحدية الفرق والجمع، وهو توحيد الحق ذاته بذاته. وصورته في البدايات: شهادة أن لا اله الا الله، وحده لا شريك له.... وفي الأصول: رؤية القصد والعزم والسير لله، وفي الله، وبالله... وفي الأحوال: شهود الحب من الحق بالحق للحق ذوقًا. وفي الولايات: الفناء عن رسوم الصفات في الحضرة الواحدية، وشهود الحق بأسمائه وصفاته لا غير. وفي الحقائق: الفناء في الذات مع بقاء رسوم الخفي المستور بنور الحق.

يقول الكاشاني(١) في فصل التوحيد: «كل طائفةٍ يتكلم عنه: بعضهم بلسان العلم والعبارة، وبعضهم بلسان الذوق والإشارة، وما قدروه حق قدره، وما زاد بيانهم غير ستره، إلّا أن أرباب الذوق لمّا كانت إشارتهم عن وجدان وبيانهم عن عيان، لاحت إشارتهم لأسرار المحبين لوائح الكشف المبين، وأذابت عباراتهم قلوب المتعطشين لذة برد اليقين... وللتوحيد مراتب، علم وعين وحق كما لليقين، علمه ما ظهر بالبرهان وعينه ما ثبت بالوجدان وحقه ما اختص بالرحمن. أما التوحيد العلمي، فتصديقي أن كان دليله نقليًّا وهو التوحيد العام، وتحقيقه إن كان عقليًّا وهو التوحيد الخاص والمصدّق... وأما التوحيد العيني الوجداني، فهو أن يجد صاحبه بطريق الذوق والمشاهدة عين التوحيد... وأما التوحيد الرحماني: فهو أن يشهد

(١) كشف الوجوه الغر، ص: ٣٥، ٣٦.

الحق سبحانه علىٰ توحيد نفسه بإظهار الوجود، إذ كل موجود يختص بخاصيته، لا يشاركه فيها غيره، وإلّا لما تعيّن.

الجواب: غاية ما عندهم من التوحيد هو شهود هذا التوحيد (أي توحيد الربوبية)، وهو أن يشهد أن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه، لاسيما إذا غاب العارف عندهم بموجوده (هو الله سبحانه وتعالىٰ)،عن وجوده (أي وجود نفسه)، وبمشهوده (أي الله سبحانه وتعالىٰ) عن شهوده (أي شهود نفسه) وبمعروفه (أي الله سبحانه وتعالىٰ) عن معرفته (أي معرفة نفسه)، ودخل في فناء توحيد الربوبية بحيث يفنىٰ من لم يكن (وهو كل ما عدا الله تعالىٰ) ويبقىٰ من لم يزل (وهو الله سبحانه وتعالىٰ)، فهذا عندهم هو الغاية التي لا غاية وراءها، ومعلوم أنّ هذا هو تحقيق ما أقرّ به المشركون من التوحيد، ولا يصير الرجل بمجرد هذا التوحيد مسلمًا، فضلًا عن أن يكون وليًّا لله أو من سادات الأولياء.

وطائفة من أهل التصوف والمعرفة يقرُّون هذا التوحيد (أي توحيد الربوبية) مع إثبات الصفات؛ فيفنون في توحيد الربوبية مع إثبات الخالق للعالم المباين لمخلوقاته.

وآخرون يضمّون هذا إلىٰ نفي الصفات فيدخلون في التعطيل مع هذا، وهذا شر من حال كثير من المشركين. فغايتهم أن يصلوا إلىٰ أنه لا موجود إلا الله ولا مشهود إلا الله ولا معروف إلا الله، فغايتهم الفناء في توحيد الربوبية.

س ٤٩١– ما أقسام التوحيد عند الصوفية؟

الجواب: ينقسم التوحيد عند الصوفية إلىٰ ثلاثة أقسام(١):

١ـ توحيد العامة: ويعنون به توحيد الألوهية، وهو الذي يصح بالشواهد أي الرسل (وَالشَّوَاهِدُ هِيَ الرِّسَالَةُ).

٢ـ توحيد الخاصة: وهو الذي يثبت بالحقائق، ويقصدون به الفناء في الربوبية، وهو حقيقة التوحيد عندهم، والمحقق له يسمىٰ عارفًا عندهم، وأعلىٰ مراتبه أن يغيب العارف بمشاهدة موجوده وهو الله تعالىٰ عن وجود نفسه هو، أي يغيب عن الخلق باستحضاره للحق، وبمشهوده أي ربه عن شهوده لنفسه، وبمعروفه أي ربه عن معرفته لنفسه، وهذه الغيبة الصوفية التي تسمىٰ بوحدة الشهود؛ وهي تختلف عن وحدة الوجود؛ لأنهم يعتقدون وجود المخلوقات وأنها غير الله، ولكن لا يشاهدها لقوة تعلقه بالله، ويمثلون لذلك بشعاع الشمس، فإنه يطغىٰ علىٰ جميع النجوم فلا تشاهد مع أنها موجودة.

وقولهم هذا باطل من وجهين:

الأول: أنه حال ناقص؛ فإن غياب العقول عن المشاهدة والمعرفة لم يأتِ به الشرع، ولم يكن عليه الرسل ولا السلف الكرام من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

الثاني: أنه لو أقر به المشركون وفنوا فيه لم يصيروا بذلك مسلمين، فضلًا

---

(١) «شرح الرسالة التدمرية» محمد بن عبد الرحمن الخميس (ص: ٣٩١).

عن أن يكونوا أولياء عارفين.

٣ـ توحيد خاصة الخاصة: وهو القائم بالقدم عندهم، وهو وحدة الوجود التي ينتهي إليها أئمتهم.

قال الإمام ابن القيم(١): قَوْلُهُ (أي الهروي) وَالتَّوْحِيدُ عَلَىٰ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ، الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: تَوْحِيدُ الْعَامَّةِ، الَّذِي يَصِحُّ بِالشَّوَاهِدِ، وَالْوَجْهُ الثَّانِي: تَوْحِيدُ الْخَاصَّةِ، وَهُوَ الَّذِي يَثْبُتُ بِالْحَقَائِقِ، وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: تَوْحِيدٌ قَائِمٌ بِالْقِدَمِ، وَهُوَ تَوْحِيدُ خَاصَّةِ الْخَاصَّةِ.

فَيُقَالُ: لَا رَيْبَ أَنَّ أَهْلَ التَّوْحِيدِ يَتَفَاوَتُونَ فِي تَوْحِيدِهِمْ - عِلْمًا وَمَعْرِفَةً وَحَالًا - تَفَاوُتًا لَا يُحْصِيهُ إِلَّا اللهُ، فَأَكْمَلُ النَّاسِ تَوْحِيدًا: الْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، وَالْمُرْسَلُونَ مِنْهُمْ أَكْمَلُ فِي ذَلِكَ، وَأُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ أَكْمَلُ تَوْحِيدًا، وَهُمْ نُوحٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَىٰ، وَعِيسَىٰ، وَمُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَكْمَلُهُمْ تَوْحِيدًا: الْخَلِيلَانِ مُحَمَّدٌ وَإِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمَا، فَإِنَّهُمَا قَامَا مِنَ التَّوْحِيدِ بِمَا لَمْ يَقُمْ بِهِ غَيْرُهُمَا - عِلْمًا وَمَعرِفَةً وَحَالًا، وَدَعْوَةً لِلْخَلْقِ وَجِهَادًا - فَلَا تَوْحِيدَ أَكْمَلُ مِنَ الَّذِي قَامَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَدَعَوْا إِلَيْهِ، وَجَاهَدُوا الْأُمَمَ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا أَمَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ فِيهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ - بَعْدَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ وَمُنَاظَرَتِهِ أَبَاهُ وَقَوْمَهُ فِي بُطْلَانِ الشِّرْكِ وَصِحَّةِ التَّوْحِيدِ، وَذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ - ثُمَّ قَالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٤٤٥).

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٨٩-٩٠]، فَلَا أَكْمَلَ مِنْ تَوْحِيدِ مَنْ أُمِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَقْتَدِيَ بِهِمْ.

س٤٩٢ – اذكر أنواع التوحيد عند أهل السنة؟

الجواب: التوحيد عند أهل السنة: قسّم علماء السنة التوحيد إلىٰ ثلاثة أقسام بالتتبع والاستقراء والأدلة وهي توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وقد اجتمعت هذه الأقسام الثلاثة في قوله تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥]، فالربوبية في قوله: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾، والألوهية في قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ﴾، والأسماء والصفات في قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾.

- **التَّوْحِيْدُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ**(١)، وَهِيَ مَجْمُوْعَةٌ فِي قَوْلِهِ تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٦٥].

وَهَذِهِ الأَنْوَاعُ هِيَ:

١) **تَوْحِيْدُ الرُّبُوْبِيَّةِ:** وَمَعْنَاهُ تَوْحِيْدُ اللهِ بِأَفْعَالِهِ، وَأُصُوْلُهَا: الخَلْقُ وَالمُلْكُ وَالتَّدْبِيْرُ.

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد (ص: ٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يونس:٣١-٣٢].

٢) تَوْحِيْدُ الأُلُوْهِيَّةِ (أَوْ تَوْحِيْدُ العِبَادَةِ): وَمَعْنَاهُ جَعْلُ العِبَادَةِ للهِ وَحْدَهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان:٣٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ أَيْضًا: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الإسراء:٢٢].

وَإِنَّ تَحْقِيْقَ الإِيْمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ يَكُوْنُ بِإِفْرَادِ اللهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ بِالعِبَادَةِ مِنْ صَلَاةٍ وَدُعَاءٍ وَذَبْحٍ وَنَذْرٍ وَتَوَكُّلٍ وَرَغْبَةٍ وَرَهْبَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَ.....، فَمَنْ صَرَفَ شَيْئًا مِنْهَا لِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ فَهُوَ مُشْرِكٌ بِهِ سُبْحَانَهُ.

وَإِنَّ المُشْرِكِيْنَ الأَوَائِلَ لَمْ يَكُنْ شِرْكُهُم هُوَ بِاعْتِقَادِ خَالِقٍ أَوْ رَازِقٍ أَوْ نَافِعٍ أَوْ ضَارٍّ مَعَ اللهِ تَعَالَىٰ - كَمَا يَظُنُّ ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ لَمْ يَتَفَقَّهْ بِالقُرْآنِ -، وَإِنَّمَا كَانَ شِرْكُهُم هُوَ بِاتِّخَاذِ الوَسَائِطِ وَالشُّفَعَاءِ بَيْنَهُم وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ؛ حَيْثُ تَعَلَّقُوا بِهِم فَدَعَوْهُم وَاسْتَغَاثُوا بِهِم.

٣) تَوْحِيْدُ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ: وَمَعْنَاهُ أَنْ يَعْتَقِدَ العَبْدُ أَنَّ اللهَ جَلَّ جَلَالُهُ وَاحِدٌ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ لَا مُمَاثِلَ لَهُ فِيْهِمَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

وَهَذَا النَّوْعُ الأَخِيْرُ يَتَضَمَّنُ شَيْئَيْنِ:

أ) **الإِثْبَاتُ**، وَذَلِكَ بِأَنْ نُثْبِتَ للهِ تَعَالَىٰ جَمَيْعَ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ الَّتِيْ أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

ب) **نَفْيُ المُمَاثَلَةِ**، وَذَلِكَ بِأَنْ لَا نَجْعَلَ للهِ مَثِيْلًا فِي تِلْكَ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

س ٤٩٣ - لا إله إلا الله دلت علىٰ أنواع التوحيد الثلاثة وضح ذلك؟

شرح الرسالة التدمرية (محمد بن عبد الرحمن الخميس)ص: ٤٤٠:

أ- دلالتها علىٰ الألوهية:

وذلك لأن معناها الحقيقي لا مستحق للعبادة إلا الله تعالىٰ، «فلا إله» نفت استحقاق العبودية عما سوىٰ الله تعالىٰ، و«إلا الله» أثبتت جميع أنواع العبادة لله وحده، فهذه دلالتها علىٰ توحيد الألوهية.

ب- توحيد الربوبية:

أي انفراد الله تعالىٰ بخصائص الربوبية، وقد دلت كلمة «لا إله إلا الله» علىٰ توحيد الربوبية علىٰ سبيل التضمن، فتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية وذلك لأنه لا يستحق أن يفرد بالعبادة إلا من كان منفردًا بالربوبية، كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣]، فدلت الآية علىٰ

أنه لا يستحق أن يعبد إلا المنفرد بالملك والرزق وغيره من أمور الربوبية، وهكذا نجد أن كلمة التوحيد دالة علىٰ توحيد الربوبية علىٰ سبيل التضمن.

ج ـ توحيد الأسماء والصفات:

وذلك لأن إثبات وجود الله أصلًا يعد إثباتًا لأسمائه وصفاته، وذلك لأنه لا يتصور وجود ذات دون أسماء وصفات؛ لأن هذا لا يصح إلا في حق الممتنعات والمعدومات، وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ علىٰ دلالة كلمة لا إله إلا الله علىٰ جميع أنواع التوحيد، حيث قال رحمه الله تعالىٰ: «وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات، وهي الأصول الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأصول الثلاثة تدور عليها أديان الرسل وما أنزل إليهم، وهي الأصول الكبار التي دلت عليها وشهدت بها العقول والفطر.

قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد(١): «هذا التقسيم الاستقرائي (لأقسام التوحيد الثلاثة) لدىٰ متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري، وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم. وقرره الزبيدي (في تاج العروس)، وشيخنا الشنقيطي (في أضواء البيان)، وآخرون، رحم الله الجميع، وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدىٰ أهل كل فن؛ كما في استقراء النحاة كلام العرب إلىٰ (اسم وفعل وحرف). والعرب لم

---

(١) «التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير» للعلامة بكر أبو زيد (١٣٣ حاشية رقم ٢ ضمن الردود ط ١/ ١٤١٤ دار العاصمة – الرياض).

تفُه بهذا، ولم يعتب علىٰ النحاة في ذلك عاتب. وهكذا في أنواع الاستقراء.

س ٤٩٤- ما الغاية من خلق الخلق وإرسال الرسل عند أهل السنة؟

الجواب: يقول أهل السنة والجماعة: إن الغاية من خلق الله للخلق هي عبادة الله وحده، كما قال تعالىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦] قال ابن عباس: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾أي: إلا ليوحدون، فالآية صريحة في بيان أن توحيد العبادة هو غاية خلق الخلق، وكذلك فهو الغاية العظمىٰ من إرسال الرسل وإنزال الكتب، وهو أول دعوة الرسل، والغاية من خلق الجن والإنس كما يشهد بذلك الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة. قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ [النحل:٣٦].

ومن السنة: حديث ابن عباس وفيه: أن رسول الله لما بعث معاذًا إلىٰ اليمن قال له: «**إنك تقدم علىٰ قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ﷻ** ...

فهذان النصان الشرعيان دالان علىٰ أن أول دعوة الرسل والغاية من بعثهم هي الدعوة إلىٰ توحيد الله في العبادة، والنصوص الشرعية في ذلك كثيرة.

قال العثيمين[(١)]**: والحكمة من إرسال الرسل:**

أ- إقامة الحجة: قال تعالىٰ: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥].

ب- الرحمة: لقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

الجواب: بيان الطريق الموصل إلىٰ الله تعالىٰ، لأن الإنسان لا يعرف ما يجب لله علىٰ وجه التفصيل إلا عن طريق الرسل.

س ٤٩٥- هل خالف أحد في هذه الغاية وما هو؟

نعم خالف في ذلك أهل الكلام فجعلوا الغاية العظمىٰ من إرسال الرسل وإنزال الكتب معرفة الله، وإثبات الصانع الخالق سبحانه وتعالىٰ، وهي إثبات الربوبية لله تعالىٰ.

وليتهم وقفوا عند هذا؛ بل زعموا أن توحيد الربوبية هو الغاية العظمىٰ من بعثة الرسل، وأنهم إذا أثبتوه بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد.

س ٤٩٦- كيف يرد علىٰ أهل الكلام في هذه المسألة؟

الجواب: أن توحيد الربوبية نوعٌ من التوحيد فهو بعضه لا جميعه، وقد أقرّ به المشركون، فكيف مع ذلك يكون هو الغاية العظمىٰ من بعثة الرسل؟.

---

(١) القول المفيد [١/ ٢٧].

أيضًا أن مجرد الإقرار بهذا التوحيد فقط لا يُوجب الدخول في الإسلام ولا يصير به الرجل مسلمًا.

فمشركو العرب كانوا مقرين بأن الله تعالىٰ وحده خالق كل شيء، ومع هذا سماهم مشركين، حيث قال عنهم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف:١٠٦].

فالمراد بقوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ ﴾ هو تصديقهم واعترافهم بأن الله تعالىٰ هو الخالق الرازق، والمراد من قوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ أي: أنهم أشركوا مع الله في عبادته، وهذا ما فسر به السلف هذه الآية قال الآلوسي يندرج فيهم كل من أقر بالله تعالىٰ وخالقيته مثلًا وكان مرتكبًا ما يعد شركًا كيفما كان، ومن أولئك عبدة القبور الناذرون لها المعتقدون للنفع والضر ممن الله تعالىٰ أعلم بحاله فيها وهم اليوم أكثر من الدود.

✍ نكتة طيبة:

رُوي أن أبا عبد الله الرازي صاحب التفسير الكبير الذي هو أكبر التفاسير الموجودة كان يمشي في طريق وخلفه تلاميذ له أكثر من مائة أو مائتين، فمروا علىٰ عجوز فاستغربته وقالت: من هذا؟ قالوا: هذا أبو عبد الله الرازي العالم الجليل يحفظ ألف دليل علىٰ وجود الله تعالىٰ قالت العجوز: أفي الله شك.

س٤٩٧ – ما أول واجب علىٰ المكلفين؟

الجواب: ينص أهل السنة والجماعة أن أول ما يجب علىٰ العبد: شهادة

أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإفراد الله تعالىٰ بالعبادة، وحجتهم في ذلك أمور، من أهمها: قوله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، لما أرسله إلىٰ اليمن: «**إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ**».

قال ابن أبي العز الحنفي: «لِهَذَا كَانَ الصَّحِيحُ أَنَّ أَوَّلَ وَاجِبٍ يَجِبُ عَلَىٰ الْمُكَلَّفِ شِهَادَةُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، لَا النَّظَرُ، وَلَا الْقَصْدُ إِلَىٰ النَّظَرِ، وَلَا الشَّكُّ، كَمَا هِيَ أَقْوَالٌ لِأَرْبَابِ الْكَلَامِ الْمَذْمُومِ. بَلْ أَئِمَّةُ السَّلَفِ كُلُّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَىٰ أَنَّ أَوَّلَ مَا يُؤْمَرُ بِهِ الْعَبْدُ الشَّهَادَتَانِ، وَمُتَّفِقُونَ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ قَبْلَ الْبُلُوغِ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَجْدِيدِ ذَلِكَ عَقِيبَ بُلُوغِهِ(١).

قال الحكمي(٢):

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَىٰ الْعَبِيدِ ... مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيدِ
إِذْ هُوَ مِنْ كُلِّ الْأَوَامِرِ أَعْظَمُ ... وَهْوَ نَوْعَانِ أَيَا مَنْ يَفْهَمُ
إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا ... أَسْمَائِهِ الْحُسْنَىٰ صِفَاتِهِ الْعُلَىٰ

س ٤٩٨- ما المراد بقول شيخ الإسلام لا سيما إذا غاب العارف؟

المراد عندما يفكر هو بزعمه يفكر في الله سبحانه وتعالىٰ يغيب حتىٰ عن نفسه ينسىٰ نفسه فيقول: إنه يغيب بموجوده عن وجوده (موجوده) هو الله (عن وجوده) عن كل الوجود وينسىٰ كل شيء حتىٰ نفسه.

(١) شرح الطحاوية [١/ ٢٣].
(٢) معارج القبول [١/ ٩٧].

س٤٩٩ – هل ما يزعمه الصوفية من التغيب له حقيقة؟

نعم له حقيقة قد ترد للإنسان في بعض الحالات مثال ذلك إذا لاقىٰ الإنسان صديقًا له لأول مرة بعد غياب طويل فقد يندهش وينسىٰ كل شيء أمامه لأنه اندهش من رؤية صديقه بعد طول غياب فيذهب فكره وقلبه بهذا الشيء الوارد عليه.

س ٥٠٠– هل من الممكن أن يسقط الإحساس عن الحي بالكلية؟

لا يمكن أن يحدث هذا وهذا ممتنع فإن النائم لم يفقد إحساس نفسه بل قد يشعر في منامه ما يسوؤه وما يسره وعليه ما يحدث لبعض الصوفيين من غياب وعدم شعور هذا محض افتراء وهذا غلط علىٰ الشرع والقدر والحس.

س ٥٠١– ما وجه الغلط في هذه الحالة؟

أما الغلط من جهة الشرع فقد مدح عدم التمييز بين الأشياء وهذا باطل لأن عدم التمييز وعدم العقل والمعرفة غير ممدوح وأما الغلط من جهة القدر فقد ظن أن عدم التمييز مطلقًا يمكن أن يوجد مع الحياة وهذا باطل لأنه لا وجود له فالله تعالىٰ لم يقدره ولم يخلقه فمن ادعىٰ وجود شيء غير موجود في الواقع فهو غالط من جهة الحقيقة الكونية القدرية ومن مدح شيئًا لم يثن عليه الشرع ولم يأت به فهو غالط علىٰ الحقيقة الشرعية حيث مدح ما لم يمدحه الشرع ودعا علىٰ ما لم يرد به الشرع.

س ٥٠٢– ما حكم من وصل إلىٰ هذه الحالة عند الصوفية؟

من وصل إلىٰ هذه الحالة عندهم فقد وصل إلىٰ درجة الكمال وهو حقًّا العارف بالله فقد حقق الغاية التي من أجلها خلقه الله تعالىٰ هكذا زعموا.

س٥٠٣- ما الحكم الشرعي لهذه الحالة؟

هي حالة نقص بلا شك وهي بدعة في الدين بإجماع العلماء.

س٥٠٤ – ما الدليل على أنها حالة نقص وبدعة في الدين؟

أما كونها بدعة فلأن القوم يتقربون بها إلىٰ الله تعالىٰ بزعمهم ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(١) وفي رواية قال ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**».

وأما كونها حالة نقص فلأن النبي ﷺ وصل إلىٰ الكمال في عبادته لربه ﷻ فهو ﷺ أعبد الخلق للحق ومع ذلك لم يرد عنه ذلك بل ثبت عنه عكس ذلك ففي صحيح مسلم(٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَدْخُلُ الصَّلَاةَ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ**» أي أنه ﷺ في أثناء الصلاة ما غاب كما يزعم أهل البدعة من الصوفية وغيرهم بل سمع بكاء الصبي فتجوَّز في صلاته.

وأيضًا ما رواه النسائي(٣) بسند صحيح عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي إِحْدَىٰ صَلَاتَي الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّىٰ فَسَجَدَ بَيْنَ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم [٤٧٠].

(٣) أخرجه النسائي [١١٤١]، وصححه الألباني.

ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَىٰ ظَهْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَىٰ سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْكَ، قَالَ: «**كُلُّ ذَٰلِكَ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّىٰ يَقْضِيَ حَاجَتَهُ**».

وروىٰ الشيخان(١) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلِأَبِي العَاصِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا».

وبوب البخاري(٢) فقال بَابُ يُفْكِرُ الرَّجُلُ الشَّيْءَ فِي الصَّلاةِ وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «**إِنِّي لَأُجَهِّزُ جَيْشِي وَأَنَا فِي الصَّلاةِ**» فأين الغياب يأهل التصوف.

س ٥٠٥- اشرح هذه العبارة (أريد ألا أريد)؟

هذه العبارة ترد علىٰ ألسنة كثير من المتصوفة وحملها شيخ الإسلام علىٰ محمل حسن وهو سقوط الإرادة التي لم يؤمر بها الشخص وهي إرادة المحرم وإرادة المفضولات المباحة وأما إن أراد سقوط إرادته مطلقًا حتىٰ عن إرادة الطاعة وترك المعصية فهذا محرم شرعًا لأنه يجب علىٰ الإنسان أن يريد الطاعة ويترك المعصية وأيضًا سقوط الإرادة مطلقًا بحيث لا يريد أن يفعل ولا يترك مخالف للحقيقة الكونية.

---

(١) أخرجه البخاري [٥١٦]، ومسلم [٥٤٣].
(٢) صحيح البخاري [٢/ ٦٧].

س ٥٠٦- اشرح هذه العبارة (إن العارف لا حظ له)؟

هذه العبارة أيضًا ترد علىٰ ألسنة كثير من المتصوفة وقد تحمل علىٰ محمل حسن مع شيء من التعسف كما حملها شيخ الإسلام فتحمل علىٰ مدح عدم حظه الذي لم يؤمر بطلبه أي ترك حظوظ الدنيا التي لم يؤمر بطلبها أما الحظوظ التي أُمر بها فإنه لا يمدح بتركها.

س ٥٠٧- اشرح هذه العبارة (إن العارف يصير كالميت بين يدي الغاسل)؟

هذه العبارة مثل ما سبقها فهو كالميت في ترك طلب ما لم يؤمر بطلبه وترك دفع ما لم يؤمر بدفعه فهي تمدح من هذا الوجه مع بعض التعسف أما أن يكون كالميت بالنسبة لجميع الأقدار فهذا مخالف للحس والعقل والشرع.

س ٥٠٨- هل يجوز أن تطلق هذه العبارات؟

إطلاق هذه العبارات عدول عن مذهب السلف الذي هو المذهب الحق في كل شيء.

س ٥٠٩- هل يجوز أن نطلق علىٰ الله تعالىٰ اسم الموجود؟

قال العثيمين: لا أبدًا هذه بدعة ربما تؤدي إلىٰ وحدة الوجود إذا قال أنت وجودي معناه أنه يجعل الله هو ونفسه الله وهذا منكر عظيم جدًّا لأنه لم يرد في الأسماء الحسنىٰ ولكن يجوز أن تخبر بأن الله موجود لكن لا يجوز أن تسمي الله موجودًا لأن الموجود اسم مطلق يشمل الناقص والكامل

والخبيث والطيب وما كان منقسمًا إلىٰ حسن وغير حسن لا يجوز إطلاقه علىٰ الله تعالىٰ.

س ٥١٠- عرف الفناء؟

الجواب: الفناء مصدر فني يفنىٰ فناء إذا اضمحل وتلاشىٰ وعدم، وقد يطلق علىٰ ما تلاشت قواه وأوصافه مع بقاء عينه كما قال الفقهاء لا يقتل في المعركة شيخ فان. وقال تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن:٢٦] أي هالك ذاهب.

قال الخليل(١): «الفَناء نقيض البقاء، والفعل فني يفنىٰ فناء فهو فان، والفِناء سعة أمام الدار.

عرفه الكلاباذي(٢) **بقوله:** «هو أن يفنىٰ الشخص عن الحظوظ فلا يكون شيء من ذلك حظ و يسقط عنه التميز فناءً عن الأشياء كلها شغلًا بما فني به.

وعند الطوسي: «الفناء هو فناء رؤيا العبد في أفعاله لأفعاله بقيام الله له في ذلك».

س ٥١١- ما معنىٰ الفناء عند الصوفية؟

الجواب: هو عدم الإحساس بعالم الملكوت من أجل الاستغراق في عظمة البارئ ومشاهدة الحق هكذا زعموا.

---

(١) العين [٨/ ٣٧٦].
(٢) التعرف لمذهب أهل التصوف ص ١٤٢.

موقف أهل السنة والجماعة من مصطلح الفناء: لم يرد مصطلح الفناء في كتاب الله ولا في سنة رسول الله وقد ورد الفعل فني في قوله تعالىٰ: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرحمن:٢٦] أي هالك ذاهب.

والفناء المذكور في الآية، ليس هو الفناء الذي تشير إليه الصوفية، فإن الفناء في الآية الهلاك والعدم، حيث أخبر - سبحانه - أن كل من علىٰ الأرض يعدم ويموت، ويبقىٰ وجهه - سبحانه -.

كما لم يرد في كلام الصحابة والتابعين، مدح لفظ الفناء، ولا ذمه، ولا استعملوا لفظه في المعنىٰ الذي يشير إليه الصوفية البتة، ولا ذكره مشايخ الطريق المتقدمون، ولا جعلوه غاية. فهذا اللفظ لا ينكر مطلقًا، ولا يقبل مطلقًا، بل لا بد فيه من التفصيل، وبيان صحيحه من معلوله، ووسيلته من غايته.

يقول شيخ الإسلام[(١)] ﵀: «والمعنىٰ الذي يسمونه الفناء ينقسم ثلاثة أقسام: فناء عن عبادة السوىٰ، وفناء عن شهود السوىٰ، وفناء عن وجود السوىٰ.

س ٥١٢- ما أقسام الفناء عند الصوفية؟

أقسام الفناء في كلام الصوفية يراد به ثلاثة أمور:

الأول: الفناء عن إرادة السوىٰ.

الثاني: الفناء عن شهود السوىٰ.

---

(١) مجموع الفتاوىٰ [٢/ ٣٦٩].

الثالث: الفناء عن وجود السوىٰ.

س ٥١٣- اذكر نبذة مختصرة عن الأنواع الثلاثة؟

النوع الأول: وهو الفناء عن إرادة السوىٰ أي عن إرادة ما سوىٰ الله ﷻ بحيث يفنىٰ بالإخلاص لله عن الشرك، وبشرعيته عن البدعة، وبطاعته عن معصيته، وبالتوكل عليه عن التعلق بغيره، وبمراد ربه عن مراد نفسه، إلىٰ غير ذلك مما يشتغل به عن مرضاة الله عما سواه.

وحقيقته: انشغال العبد بما يقربه إلىٰ الله ﷻ عما لا يقربه إليه وإن سُمِّي فناء في اصطلاحهم، وهو محمود علىٰ الجملة ولكن الصواب لا يسم فناء فلم يرد هذ الاسم عن أحد من السلف ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

النوع الثاني: وهو الفناء عن شهود السوىٰ أن يفنىٰ عن شهود ما سوىٰ الله، فيفنىٰ بمعبوده وهو الله عن عبادته، أي ينشغل بالله إلىٰ حدٍّ يترك فيه عبادته، ويفنىٰ بمذكوره (أي الله) عن ذكره، وبمعروفه (أي الله) عن معرفته لنفسه؛ بحيث يغيب عن شعوره بنفسه وبما سوىٰ الله، وهذا حال ناقص كما مر، وقد يعرض لبعض السالكين لكنه ليس من لوازم طريق الله، لذلك لم يعرض للنبي ﷺ ولا للسابقين الأولين، ومن جعله نهاية السالكين فهو ضالٌّ ضلالًا مبينًا، ومن جعله من لوازم الطريق فهو مخطئ وخلاصته عندهم أي لا يشهد ولا يعرف إلا الله.

قال ابن القيم(١) مشبهًا هذه الحالة فَتَأَمَّلْ حَالَ عَبْدَيْنِ فِي خِدْمَةِ

(١) مدارج السالكين [١/ ١٧٦].

سَيِّدِهِمَا، أَحَدُهُمَا يُؤَدِّي حُقُوقَ خِدْمَتِهِ فِي حَالِ غَيْبَتِهِ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنْ خِدْمَتِهِ لِاسْتِغْرَاقِهِ بِمُشَاهَدَةِ سَيِّدِهِ، وَالْآخَرُ يُؤَدِّيهَا فِي حَالِ كَمَالِ حُضُورِهِ، وَتَمْيِيزِهِ، وَإِشْعَارِ نَفْسِهِ بِخِدْمَةِ السَّيِّدِ، وَابْتِهَاجِهَا بِذَلِكَ، فَرَحًا بِخِدْمَتِهِ، وَسُرُورًا وَالْتِذَاذًا مِنْهُ، وَاسْتِحْضَارًا لِتَفَاصِيلِ الْخِدْمَةِ وَمَنَازِلِهَا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ عَامِلٌ عَلَىٰ مُرَادِ سَيِّدِهِ مِنْهُ، لَا عَلَىٰ مُرَادِهِ مِنْ سَيِّدِهِ، فَأَيُّ الْعَبْدَيْنِ أَكْمَلُ؟ فَإِنَّ الصَّحَابَةَ ﷺ - وَهُمْ سَادَاتُ الْعَارِفِينَ، وَأَئِمَّةُ الْوَاصِلِينَ الْمُقَرَّبِينَ، وَقُدْوَةُ السَّالِكِينَ - لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مَنِ ابْتُلِيَ بِذَلِكَ، مَعَ قُوَّةِ إِرَادَتِهِمْ، وَكَثْرَةِ مُنَازَلَاتِهِمْ، وَمُعَايَنَةِ مَا لَمْ يُعَايِنْهُ غَيْرُهُمْ، وَلَا شَمَّ لَهُ رَائِحَةً، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِهِ، فَلَوْ كَانَ هَذَا الْفَنَاءُ كَمَالًا لَكَانُوا هُمْ أَحَقَّ بِهِ وَأَهْلَهُ، وَكَانَ لَهُمْ مِنْهُ مَا لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِمْ.

وَلَا كَانَ هَذَا أَيْضًا لِنَبِيِّنَا ﷺ، وَلَا حَالًا مِنْ أَحْوَالِهِ ﷺ، وَلِهَذَا - فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ، وَعَايَنَ مَا عَايَنَ مِمَّا أَرَاهُ اللهُ إِيَّاهُ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَىٰ - لَمْ تَعْرِضْ لَهُ هَذِهِ الْحَالُ، بَلْ كَانَ كَمَا وَصَفَهُ اللهُ ﷻ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم:١٧-١٨]، وَقَالَ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء:٦٠].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ، أُرِيَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ، وَمَعَ هَذَا فَأَصْبَحَ بَيْنَهُمْ لَمْ يَتَغَيَّرْ عَلَيْهِ حَالُهُ، وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ صَعْقٌ وَلَا غُشِيَ، يُخْبِرُهُمْ عَنْ تَفْصِيلِ مَا رَأَىٰ، غَيْرَ فَانٍ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا عَنْ شُهُودِهِ، وَلِهَذَا كَانَتْ حَالُهُ أَكْمَلَ مِنْ حَالِ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ لَمَّا خَرَّ صَعِقًا حِينَ تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ وَجَعَلَهُ دَكًّا. انتهىٰ من مدارك السالكين.

ويقال أيضًا لبيان ضلال هذا الطريق: أن غياب العقل والوصول

بصاحبه إلىٰ حال كالمجانين والسكارىٰ ليس فيه مدح لا عقلًا ولا شرعًا ولا عادة، بل يذم من يعتمد ذلك شرعًا وعقلًا وعادة.

أيضًا أن هذا الفناء دليل علىٰ ضعف قلب من يحصل له، وأنه لم يستطع الجمع بين الإيمان بالله وعبادته، فيظن أنه إن عبد الله انشغل عن معبوده.

أيضًا أن هذا الفناء فيه تعطيل للشرائع وفتح باب التهاون في الأعمال وتضييع الفرائض، ومعلوم ما في ذلك من مناقضة صريحة لدين الله.

النوع الثالث: الفناء عن وجود السوىٰ وهذا الفناء فيه تعطيل عن وجود السّوىٰ بحيث يرىٰ أن وجود الخالق هو عين وجود المخلوق، وأنه واحد بالعين، وهذا قول أصحاب وحدة الوجود والاتحاد كما هو مذهب ابن عربي وابن سبعين وابن فارض والتلمساني وغيرهم.

س ٥١٤- من قال بالفناء عن وجود السوىٰ فهو أكفر من النصارىٰ وضح ذلك؟

الجواب: نعم هم أكفر من النصارىٰ، حيث إنهم جعلوا اتحاد الله عامًّا في جميع المخلوقات، والنصارىٰ خصُّوه بعبده الذي اصطفاه وهو عيسىٰ ﵇ ولأن النصارىٰ قالوا بالاتحاد بعد أن لم يكن الله متحدًا بعبده فلما خلقه اتحد به يعني أن الرب كان واحدًا أولًا وعيسىٰ كان واحدًا ثم اتحدا وأما هؤلاء (أي من يقول بالفناء عن وجود السوىٰ) فجعلوا الاتحاد أزليًّا أبديًّا وكذلك جعلوا اتحاد الرب ساريًا في كل شيء في الكلاب والخنازير وأما النصارىٰ

خصُّوه بمن عظموه وهو عيسىٰ ﷺ قال ابن القيم في النونية[(١)] عن هذه الفرقة الكافرة:

فــأتىٰ فريــق ثــم قــال وجدتــه ... هـــذا الوجـــود بعينـــه وعيـــان

مـــا ثـــم موجـــود ســـواه وإنمـــا ... غلـــط اللســـان فقـــال موجـــودان

فهـــو الســـماء بعينهـــا ونجومهـــا ... وكـــذلك الأفـــلاك والقمـــران

وهـــو الغمـــام بعينـــه والـــثلج والـــ... أمطـــار مـــع بـــرد ومـــع حســـبان

وهـــو الهـــواء بعينـــه والمـــاء والـــ... تـــرب الثقيـــل ونفـــس ذي النيـــران

هـــذي بســـائطه ومنـــه تركبـــت ... هـــذي المظـــاهر مـــا هنـــا شـــيئان

وهـــو الفقيـــر لهـــا لأجـــل ظهـــوره ... فيهـــا كفقـــر الـــروح للأبـــدان

وهـــي التـــي افتقـــرت إليـــه لأنـــه ... هـــو ذاتهـــا ووجودهـــا الحقـــاني

وتظـــل تلبســـه وتخلعـــه وذا الـــ... إيجـــاد والإعـــدام كـــل أوان

ويظـــل يلبســـها ويخلعهـــا وذا ... حكـــم المظـــاهر كـــي يـــرىٰ بعيـــان

وتكثـــر الموجـــود كالأعضـــاء في الـــ... محســـوس مـــن بشـــر ومـــن حيـــوان

أو كـــالقوىٰ في الـــنفس ذلـــك واحـــد ... متكثـــر قامـــت بـــه الأمـــران

فيكـــون كـــلا هـــذه أجـــزاؤه ... هـــذه مقالـــة مـــدعي العرفـــان

(١) النونية [١/ ٢٠].

أو أنهـــا لتكثـــر الأنـــواع في ... جـنس كمـا قـال الفريـق الثـاني

فيكـــون كليـــا وجزئياتـــه ... هـــذا الوجـــود فهـــذه قـــولان

إحـداهما نـص الفصـوص وبعـده ... قـول ابـن سـبعين ومـا القـولان

عنـد العفيـف التلمسـاني الـذي ... هـو غايـة في الكفـر والبهتـان

ألا مـن الأغـلاط في حـس وفي ... وهـم وتلـك طبيعـة الإنسـان

والكـل شـيء واحـد في نفسـه ... مـا للتعـدد فيـه مـن سـلطان

فالضـيف والمـأكول شـيء واحـد ... والـوهم يحسـب هـا هنـا شـيئان

وكـذلك الموطـوء عـين الـوطء والـ ... وهـم البعيـد يقـول ذا اثنـان

ولربمـا قـالا مقالتـه كمـا ... قـد قـال قولهمـا بـلا فرقـان

وأبـىٰ سـواهم ذا وقـال مظـاهر ... تجلـوه ذات توحـد ومثـان

فالظـاهر المجلـو شـيء واحـد ... لكـن مظـاهره بـلا حسـبان

هـذي عبـارات لهـم مضـمونها ... مـا ثـم غيـر قـط في الأعيـان

فـالقوم مـا صـانوه عـن أنـس ولا ... جـن ولا شـجر ولا حيـوان

كـلا ولا علـو ولا سـفل ولا ... واد ولا جبـل ولا كثبـان

كـلا ولا طعـم ولا ريـح ولا ... صـوت ولا لـون مـن الألـوان

لكنـه المطعـوم والملبـوس والـ ... مشـموم والمسـموع بـالآذان

وكــذاك قــالوا إنــه المنكــوح والــ... مــذبوح بــل عــين الغــوي الــزاني

والكفــر عنــدهم هــدىٰ ولــو أنــه ... ديــن المجــوس وعابــدي الأوثــان

قــالوا ومــا عبــدوا ســواه وإنمــا ... ضــلوا بمــا خصــوا مــن الأعيــان

ولــو أنهــم عمــوا وقــالوا كلهــا ... معبــودة مــا كــان مــن كفــران

س ٥١٥- عرف الحقيقة الكونية والحقيقة الشرعية؟

أولًا: الحقيقة الكونية: هي ما خلقه الله تعالىٰ ودبره وأراده وقدّره من الخير والشر، والتوحيد والشرك، والإسلام والكفر، والظلمة والنور، والعلم والجهل، والظلم والعدل، والبر والفجور، والهدىٰ والضلال، وخلق له أولياء أمثال الأنبياء والمرسلين، وخلق أولياء للشيطان أمثال فرعون وقارون وأبي جهل، وغير ذلك من الأمور الكونية والموجودات الخارجية بقطع النظر عما يحبه الله وشرعه، أو يكرهه ولم يشرعه.

ثانيًا: الحقيقة الشرعية: هي كل ما يحبه الله تعالىٰ ويرضاه وشرعه لعباده وأمرهم به؛ كالتوحيد والإسلام والإيمان والبر والعلم والعدل وجميع أبواب الخير ونحوها.

وكل ما يكرهه الله تعالىٰ ويمقته ويغضب عليه ولم يشرعه لعباده بل نهاهم عنه، كالكفر والشرك والسحر والكذب والزور والبهتان والظلم والغي والبغي وغيرها من الأمور التي يكرهها الله تعالىٰ، فهذه كلها حقائق شرعية.

س ٥١٦- اذكر أقسام العلوم الشرعية الأساسية؟

تنقسم العلوم الشرعية الأساسية إلىٰ ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العلم بأسماء الله تعالىٰ وصفاته وأفعاله.

القسم الثاني: العلم بأمر الله تعالىٰ ونهيه ودينه.

القسم الثالث: العلم بالجزاء المترتب علىٰ العمل.

س ٥١٧- عرف الحال عند الصوفية؟

الحال في اللغة غير الحال في اصطلاح أهل الكلام وهو غير الحال في اصطلاح النحاة غير الحال في اصطلاح الصوفية فالحال عند الصوفية ما يرد علىٰ القلب بمحض الموهبة من غير تعمد ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط وهذا من خرافات الصوفية وترهاتهم.

س٥١٨ – عرف السُّكْر عند الصوفية؟

قال الجرجاني: السُّكْر عند الصوفية هو غيبة بوارد قوىٰ وهو يعطي الطرب والالتذاذ وهو أقوىٰ من الغيبة وهذا أيضًا من خرفاتهم وترهاتهم.

«**السُّكْر لغة**: نقيض الصحو.. والأنثىٰ سكرة وسكرىٰ وسكرانة والاسم السكر، بالضم، والجمع سُكارىٰ وسَكارىٰ وسكرىٰ... ورجلٌ سكّير: دائم السكر... وسكرة الموت: شدّته والسكر: الخمر نفسها.

السكر اصطلاحًا: السكر دهش يلحق سر المحب في مشاهدة جمال المحبوب فجأة، لأن روحانية الإنسان التي هي جوهر العقل لما انجذبت

إلىٰ جمال المحبوب بعد شعاع العقل عن النفس، وذهل الحس عن المحسوس، وألمّ بالباطن فرحٌ ونشاطٌ وهزّة وانبساط لتباعده عن عالم التفرقة والتمييز، وأصاب السرّ دهش ووله وهيمان دونه لتحيز نظره في شهود الجمال الحق، وتسمىٰ هذه الحالة سكرًا لمشاركتها السكر الظاهري في الأوصاف المذكورة.

السكر: وهو حيرة بين الفناء والوجود في مقام المحبة الواقعة بين أحكام الشهود والعلم إذ الشهود يحكم بالفناء، والعلم يحكم بالوجود.

س ٥١٩- عرف الاصطلام عند الصوفية؟

هو وجد غامر يرد علىٰ القلب والعقول فيسلبها ويستلبها بقوة سلطانه وقهره وهذا أيضًا كسابقيه من خرافاتهم وترهاتهم.

الاصطلام لغة: «الصّلْمُ: قَطعُ الأُذُن» «رجلٌ أصْلَمُ، إذا كان مستَأصَل الأُذُنين... والاصطلام: الاستئصال و«الاصطلام: إبادة القوم من أصلهم.

الاصطلام اصطلاحًا: «الاصطلام نعتُ غلبة تَرِدُ علىٰ العقول فيستَلِبُها بقوة سلطانه وقهره.

الاصطلام نعت وَلَهٍ، يرد علىٰ القلب فيسكن القلب تحت غلبته وسلطانه، ولا يقوم هذا النعت بالقلب إلّا إذا تجلىٰ الحق له في صورة الجمال.

الاصطلام هو غلبات الحق التي تجعل كلية العبد مقهورةً لها بامتحان اللطف في نفي إرادته.

س ٥٢٠– اذكر منهج الصوفية في العبادة إجمالًا؟

الجواب: للصوفية منهج في الدين والعبادة يخالف منهج السلف، ويبتعد كثيرًا عن الكتاب والسنة، فهم قد بنوا دينهم وعباداتهم على رسوم ورموز واصطلاحات اخترعوها وهي تتلخص فيما يلي:

١ـ قصرهم العبادة على المحبة فقط، فهم يبنون عبادتهم لله على المحبة ويهملون الجوانب الأخرى كالخوف والرجاء، كما قال بعضهم: أنا لا أعبد الله طمعًا في جنته ولا خوفًا من ناره! وبهذا قد خالفوا سبيل الأنبياء (وهم أفضل الخلق عبادة لله تعالى) قال عنهم الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠]، ولهذا يقول بعض السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والرجاء والخوف فهو مؤمن.

٢ـ الصوفية في الغالب لا يرجعون في دينهم وعبادتهم إلى الكتاب والسنة والاقتداء بالنبي ﷺ، وإنما يرجعون إلى أذواقهم وما يرسمه لهم شيوخهم من الطرق المبتدعة، وربما يستدلون بالحكايات والمنامات والأحاديث الموضوعة لتصحيح ما هم عليه.

٣ـ من دين الصوفية التزام أذكار وأوراد يضعها لهم شيوخهم، فيتقيدون بها ويتعبدون بتلاوتها، وربما فضلوا تلاوتها على تلاوة القرآن الكريم، ويسمونها ذكر الخاصة.

٤ـ غلو المتصوفة في الأولياء والشيوخ بخلاف عقيدة أهل السنة الجماعة؛ حيث جعلوا فيهم شيئًا من صفات الربوبية. وأنهم يتصرفون في الكون ويعلمون الغيب ويجيبون من استعان بهم، وأضافوا عليهم هالة من التقديس في حياتهم، وعبدوهم من دون الله بعد وفاتهم وهذا شرك أكبر ما وقع فيه المشركون الأوائل.

٥ـ من دين الصوفية الباطل تقربهم إلىٰ الله بالغناء والرقص وضرب الدفوف والتصفيق، ويعتبرون هذا عبادة لله.

٦ـ ومن دينهم الباطل ما يسمونه بالأحوال التي تنتهي بصاحبها إلىٰ الخروج عن التكاليف الشرعية نتيجة لتطور التصوف، فقد تطور بهم الحال من الزهد والحلم والصبر والإخلاص والصدق إلىٰ الرقص والغناء والهيمان والخيالات والعشق، ثم إلىٰ القول بالاتحاد والحلول، ثم علىٰ ترك الفرائض واستحلال المحارم وسقوط التكاليف.

فهذا دين الصوفية قديمًا وحديثًا، وهذه مواقفهم من العبادة والدين.

س ٥٢١– اذكر نبذة عن الجهم بن صفوان؟

هو الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ(١)، أَبُو مُحْرِزٍ الرَّاسِبِيُّ مَوْلاهُمُ السَّمَرْقَنْدِيُّ. الْمُتَكَلِّمُ الضَّالُّ رَأْسُ الْجَهْمِيَّةِ وإليه تنسب وَأَسَاسُ الْبِدْعَةِ وَكَانَ ينكر صفات الرب ﷻ وينزهه بِزَعْمِهِ عَنِ الصِّفَاتِ كُلِّهَا وَيَقُولُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَيَزْعُمْ أَنَّ اللهَ لَيْسَ عَلَىٰ الْعَرْشِ بَلْ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فَقِيلَ: كَانَ يُبْطِنُ الزَّنْدَقَةَ، وكَانَ يَقُولُ:

(١) تاريخ الإسلام [٣/ ٣٨٩].

لَيْسَ اللهُ شَيْئًا وَلا غَيْرَ شَيْءٍ لِأَنَّهُ قَالَ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر:٦٢] فَلا شَيْءٌ إلا وَهُوَ مَخْلُوقٌ، قَالَ: وَكَانَ يَقُولُ: إِنَّ الإِيمَانَ عُقِدَ بِالْقَلْبِ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: قَالَ لَنَا عَلِيُّ بْنُ عَاصِمٍ: ذَهَبْتُ إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ سُوقَةَ فَقَالَ: هَا هُنَا رَجُلٌ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ، فَمَرَرْتُ مَعَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا جَهْمُ مَا هَذَا؟ بَلَغَنِي أَنَّكَ لا تُصَلِّي! قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مُذْ كَمْ؟ قَالَ: مُذْ تِسْعَةٍ وَثَلاثِينَ يَوْمًا، وَالْيَوْمَ أَرْبَعِينَ. قَالَ: فَلِمَ لا تُصَلِّي؟ قَالَ: حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لِي لِمَنْ أُصَلِّي، قَالَ: فَجَهَدَ بِهِ ابْنُ سُوقَةَ أَنْ يَرْجِعَ أَوْ أَنْ يَتُوبَ أَوْ يُقْلِعَ، فَلَمْ يَفْعَلْ، فَذَهَبَ إِلَىٰ الْوَالِي فَأَخَذَهُ فَضَرَبَ عُنُقَهُ وَصَلَبَهُ، في سنة (١٢١).

س ٥٢٢- اذكر نبذة عن الجعد بن درهم؟

الجواب: هُوَ أَوَّلُ مَنِ ابْتَدَعَ بِأَنَّ اللهَ مَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيْمَ خَلِيْلًا، وَلا كَلَّمَ مُوْسَىٰ، وَأَنَّ ذَلِكَ لا يَجُوْزُ عَلَىٰ اللهِ. وهو شيخ الجهم بن صفوان وكان الجعد بن درهم قد تلقىٰ هذا المذهب الخبيث عن رجل يقال له أبان بن سمعان، وأخذه أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الاعصم، عن خاله لبيد بن الاعصم اليهودي.

وَقَفَ الْجَعْدُ عَلَىٰ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ، فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنِ الصِّفَةِ، فَقَالَ له وهب: يَا جَعْدُ، وَيْلَكَ! أَنْقِصْ مِنَ الْمَسْأَلَةِ، إِنِّي لأَظُنُّكَ مِنَ الْهَالِكِينَ، لَوْ لَمْ يُخْبِرْنَا اللهُ فِي كِتَابِهِ أَنَّ لَهُ يَدًا مَا قُلْنَا ذَلِكَ، وَأَنَّ لَهُ عَيْنًا مَا قُلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثِ الْجَعْدُ أَنْ صُلِبَ. وَيُرْوَىٰ أَنَّ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الْقَسْرِيَّ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ الأَضْحَىٰ بِوَاسِطٍ، وَقَالَ: ضَحُّوا يَقْبَلُ اللهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مضح بِالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ؛ إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، ثُمَّ

نَزَلَ فَذَبَحَهُ. وَهَذِهِ قِصَّةٌ مَشْهُورَةٌ هللك الجعد في سنة (١١٠)[١].

س ٥٢٣- اذكر نبذة عن فرقة النجارية؟

فرقة من الفرق الضالة تنسب إلىٰ الحسين بن محمد بن عبد الله النجار ويقال عنها أيضًا الحسينية كان يقول بخلق القرآن هلك في سنة (٢٢٠).

س ٥٢٤- اذكر نبذة عن الضرارية؟

فرقة من الفرق الضالة تنسب إلىٰ ضرار بن عمرو القاضي معتزلي جلد له مقالات خبيثة قال ابن حزم: كان ضرار ينكر عذاب القبر. قال المروزي: قال أحمد بن حنبل: شهدت علىٰ ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحي القاضي فأمر بضرب عنقه فهرب هلك في زمن الرشيد.

س ٥٢٥- اذكر نبذة عن الكُلَّابية؟

فرقة من الفرق الضالة تنسب إلىٰ عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب متكلم صاحب بدعة يقال له «ابن كلاب». قال السبكي: وكلاب بضم الكاف وتشديد اللام، قيل: لقب بها لأنه كان يجتذب الناس إلىٰ معتقده إذا ناظر عليه كما يجتذب الكلاب الشيء، أحدث ابن كُلاب القول بأن القرآن كلامٌ قائمٌ بذات الربّ بلا قدرة ولا مشيئة. فهذا لَم يكن يتصوّره عاقل، ولا خطرَ ببال الجمهور، حتىٰ أحدث القول بِهِ ابن كُلاب هلك في سنة (٢٤٠).

س ٥٢٦- اذكر نبذة عن الأشاعرة؟

فرقة من الفرق الضالة تنسب كذبًا إلىٰ أبي الحسن الأشعري قال عنه ابن

---

(١) تاريخ الإسلام [٣/ ٢١٨].

كثير كَانَ مُعْتَزِلِيًّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَتَابَ مِن الاعتزال بِالْبَصْرَةِ فَوْقَ الْمِنْبَرِ، ثُمَّ أَظْهَرَ فَضَائِحَهُمْ وَقَبَائِحَهُمْ ثم رد عليهم قال أبو بكر بن الصيرفي، كانت المعتزلة قد رفعوا رءوسهم، حتىٰ أظهر الله تعالىٰ الأشعري، فجحرهم فِي أقماع السمسم.

قال ابن خلكان(١): في وفيات الأعيان وكان أبو الحسن الأشعري أولًا معتزليًّا، ثم تاب من القول بالعدل (المراد بالعدل عند المعتزلة نفي القضاء والقدر) ومن القول بخلق القرآن قام في المسجد الجامع بالبصرة يوم الجمعة، ورقي كرسيًّا ونادىٰ بأعلىٰ صوته: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي، أنا فلان بن فلان، كنت أقول بخلق القرآن وأن الله لا تراه الأبصار وأن أفعال الشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد علىٰ المعتزلة مخرج لفضائحهم ومعايبهم.

قال ابن كثير(٢): وذكروا للشيخ أبي الحسن رحمه الله ثلاثة أحوال: أولها حال الاعتزال التي رجع عنها والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام وتأويل الصفات الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك.

والحالة الثالثة: إثبات ذلك كله (الصفات التي ورد بها النص) من غير تكييف ولا تشبيه جريًا علىٰ منوال السلف وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخِرًا. قال أبو القاسم بن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري فيما نسب لأبي

(١) وفيات الأعيان [٣/ ٢٨٥].

(٢) طبقات الشافعين [١/ ٢١٠].

الحسن الأشعري.

والذي تبين لي أن أبا الحسن رجع عن مذهب الاعتزال، ورد عليه، وهذا أمر مجمع عليه توفي سنة (٣٣١).

س ٥٢٧– اذكر نبذة عن الكرامية؟

فرقة من الفرق الضالة تنسب إلىٰ مُحَمَّد بنِ كَرَّامٍ السِّجِسْتَانِيِّ المُبْتَدِعِ الضال المجسم، شيخ الكراميين كَانَ يَقُوْلُ: الإِيْمَانُ هُوَ نُطقُ اللِّسَانِ بِالتَّوْحِيْدِ، مُجَرَّدٌ عَنْ عَقْدِ قَلْبٍ، وَعَمَلِ جَوَارِحَ. هلك سنة (٢٥٥).

الكرامية[(١)] بخراسان ثَلَاثَة أَصْنَاف حقاقية وطرايقية وإسحاقية وَهَذِه الْفرق الثَّلَاث لَا يكفر بَعْضهَا بَعْضًا وان أكفرها سَائِر الْفرق فَلهَذَا عددناها فرقه وَاحِدَة وزعيمها الْمَعْرُوف مُحَمَّد بن كرام كَانَ مطرودًا من سخستان إلىٰ غرجستان وَكَانَ أَتْبَاعه فِي وقته أوغاد شورين وافشين.

دَعَا اتِّبَاعه إلىٰ تجسيم معبوده وَزعم أنه جسم لَهُ حد وَنِهَايَة من تَحْتَهُ والجهة الَّتِي مِنْهَا يلاقي عَرْشه وَهَذَا شَبيه بقول الثنوية إِن معبودهم الذي سموهُ نورًا يتناهىٰ من الْجِهَة الَّتِي يلاقي الْكَلَام وإن لم يتناه من خمس جِهَات وَقد وصف ابْن كرام معبوده فِي بعض كتبه بِأَنَّهُ جَوْهَر كَمَا زعمت النَّصَارَىٰ أن الله تَعَالَىٰ جَوْهَر وَذَلِكَ أَنه قَالَ فِي خطْبَة كِتَابه الْمَعْرُوف بِكِتَاب عَذَاب الْقَبْر إِن الله تَعَالَىٰ إحدىٰ الذَّات إحدىٰ الْجَوَاهِر وَأَتْبَاعه الْيَوْم لَا يبوحون بإطلاق لفظ الْجَوْهَر علىٰ الله تَعَالَىٰ عِنْد الْعَامَّة خوفًا من الشناعة

---

(١) الفرق بين الفرق (ص: ٢٠٢).

عِنْد الإشاعة وإطلاقهم عَلَيْهِ اسْم الْجِسْم أشنع من اسْم الْجَوْهَر وامتناعهم من تَسْمِيَته جوهرًا مَعَ قَوْلهم بِأَنَّهُ جسم كامتناع تَسْمِيَة شَيْطَان الطاق الرافض من تَسْمِيَته الإله جسمًا مَعَ قَوْله بِأَنَّهُ علىٰ صُورَة الإنسان وَلَيْسَ علىٰ الخذلان في سَوَاء الِاخْتِيَار قِيَاس وَقد ذكر ابْن كرام فِي كِتَابه أن الله تَعَالَىٰ مماس لعرشه وأن الْعَرْش مَكَان لَهُ وأبدل أَصْحَابه لفظ الماسة بِلَفْظ الملاقاة مِنْهُ للعرش وَقَالُوا لَا يَصح وجود جسم بَينه وَبَين الْعَرْش إِلَّا بَأن يُحِيط الْعَرْش إلىٰ أسفل وَهَذَا معنىٰ المماسة الَّتِي امْتَنعُوا من لَفظهَا.

س٥٢٨ – اذكر نبذة مختصرة عن الجبرية؟

الجبرية فرقة من الفرق الزائغة عن الحق يقال عنهم «القدرية المجبرة» وقد تسمىٰ الجبرية قدرية؛ لأنهم غلوا في إثبات القدر حتىٰ يسلبوا العبد عن الاختيار.

وأصل مذهبهم ومعتقدهم يقوم علىٰ أن العبد ليس له إرادة في فعله ولا في تركه بل هو كريشة في مهب الريح تسير حيث توجه بها الريح وجعلوا فعل العبد بِمَنْزِلَةِ طُولِهِ وَلَوْنِهِ! والعبد مجبور مقهور علىٰ جميع أقواله وأفعاله؛ وإنه لا قدرة له علىٰ شيء منها بل هي عندهم واقعة بغير اختيار منه.

وعلىٰ أساس هذا الأصل الباطل قالوا لا قدرة له علىٰ شيء من الطاعات، ولا علىٰ ترك المعاصي.

– ومع أنه لا قدرة له علىٰ ذلك عندهم، فهو مثاب معاقب علىٰ ما لا قدرة له عليه.

وهذا القول من أشنع البدع وأنكرها.

الجبر[١]: هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلىٰ الرب تعالىٰ، والجبرية أصناف. فالجبرية الخالصة: هي التي لا تثبت للعبد فعلًا ولا قدرة علىٰ الفعل أصلًا، والجبرية المتوسطة: هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلًا، فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثرًا ما في الفعل، وسمىٰ ذلك كسبًا، فليس بجبري.

س ٥٢٩- بين بطلان هذا المذهب؟

بطلانه أبين من أن يبين كما قيل توضيح الواضحات من المشكلات فمذهبهم مخالف لصريح المعقول وصحيح المنقول ومخالف لضرورة العقل والقياس. فهؤلاء غلوا في إثبات القدر، قالوا أفعال العباد بقدرة الله ولا قدرة ولا مشيئة للعبد فيها بل هو كالورقة في مهب الريح مجبور علىٰ فعل نفسه، والفاعل الحقيقي هو الله والإنسان ليس له مشيئة بل هو مثل الورقة في مهب الريح، ومن هنا سموا جبرية، وهؤلاء لا يطبقون مذهبهم في كل شيء بل يطبقونه في حالات دون حالات، وهذا تناقض، والتناقض دليل فساد المذهب، وهذه عادة أهل البدع الوقوع في التناقض. فإنه لو زنىٰ الجبري وترك الصلاة وارتكب الموبقات فاعترض عليه أحد قال أنا مجبور كالورقة في مهب الريح. بينما هو نفسه لو جاء شخص وضربه أو اعتدىٰ علىٰ

(١) الملل والنحل (١/ ٨٥).

ماله أو حقٍ من حقوقه وقال أنا كالورقة في مهب الريح لم يقبل منه الجبري ذلك، وهذا هو التناقض، فهو في الأمور التي يحبها يقول أنا مجبور، وإذا فعل به ما يكره ترك مذهبه. ومن هنا يعلم أن مذهب أهل البدع ليس عن عقيدة وإنما هو عن أهواء وشهوات. ولذا قال بعض أهل العلم لأحدهم: «أنت عند الطاعة قدري، وعند المعصية جبري»؛ لأنه إذا فعل الطاعة قال: أنا الفاعل لها بمشيئتي ولا قدرة لله عليها، وإذا فعل المعاصي قال: أنا مجبور ولا مشيئة لي. وهذا يبين أنهم أهل أهواء ومتبعون لحظوظ النفس.

ولا يمكن أن يجعل القدر حجة لأحد في فعل المحذور وترك المأمور فإن هذا مستلزم للفساد الذي لا صلاح معه والشر الذي لا خير فيه، إذ لو جاز أن يحتج كل أحد بالقدر لما عوقب معتد ولا اقتص من ظالم ولا أخذ لمظلوم حقه من ظالمه، ولفعل كل أحد ما يشتهيه من غير معارض يعارضه فيه، وحينئذ فكلام هؤلاء ساقط ورأيهم متهافت مخالف لما هو معلوم بضرورة العقل والقياس.

ويرد على الفرقتين بقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير:٢٨- ٢٩] ففي قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ رد على الجبرية، وفي قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ...﴾ رد على القدرية.

س ٥٣٠- إذا فما الواجب على المؤمن تجاه الأمر والنهي والمقدور؟

الجواب: المؤمن مأمور بأن يفعل المأمور ويترك المحذور، ويصبر على المقدور كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾

[آل عمران:١٢٠]، وقال في قصة يوسف: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف:٩٠]، فالتقوىٰ فعل ما أمر الله به وترك ما نهىٰ الله عنه، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر:٥٥]، فأمره مع الاستغفار بالصبر(١).

س ٥٣١- ما معنىٰ من أشبه أباه فما ظلم؟

المراد من ذلك أن الذي يشبه أباه في خلقته أو سجاياه لم يظلم أمه لأنه جاء علىٰ مثال أبيه الذي ينسب إليه، وذلك أنه لو خالف أباه لنسب الناس أمه إلىٰ الزنا.

روىٰ ابن عساكر(٢) عن الأصمعي قال: كان رجل من بني تميم يقال له حنظلة، وكان له ابن يقال له مرة، وكان يكثر الخلاف عليه، فكان أبوه ربما قاتله. فقال له ذات يوم: إنك لمر، فقال لأبيه أعجبتني حلاوتك يا حنظلة. قال: اسكت فأنت والله خبيث كاسمك. قال: أخبث مني والله من أسماني. قال: فوالله يا بني لقد تشاءمت بك يوم ولدت. قال: ما ورثته عن كلالة. قال: ما أظنك من الناس. قال: من أشبه أباه فما ظلم والشوك لا يجتنىٰ منه العنب. قال: لا بل أشبهت أمك عليها لعنة الله. قال: والله ما كانت بأردأ من زوجها.

(١) مجموع الفتاوىٰ (٣/ ١٢٠).
(٢) مختصر تاريخ دمشق (٣/ ٢٨٣).

قال: ما أحوجك إلىٰ أدب جيد! قال: أحوج مني إليه من أدبني. قال: لقد كنت حريصًا علىٰ صلاحك دهري. قال: فوالله يا أبه ما أتيت من عجز، ولكن الله سبحانه أعطاك علىٰ قدر نيتك. قال: لقد ساءت حالك منذ تركت الدعاء لك، وأقبلت علىٰ الدعاء عليك. قال: مادح نفسه يقرئك السلام. قال: دعني من هذا فوالله لأستقبلن من أمرك ما كنت له مضيعًا، قال: إذًا والله ولا يبرد في بيتك إلا الريح. قال: والله ما جرأك علىٰ هذا أحد غيري. قال: فَلُمْ إذًا نفسك ولا تلمني. قال: ويحك ما تستحي مني! قال: ما أحسن الحياء في مواضعه. قال: والله لقد اجتمعت فيك خلال رديئة قال: فضل رداءتك يا أبه. قال: أبوك الشيطان الرجيم قال: قل لنفسك ما شئت. قال: لقد دفنت أخاك ساعة ولدت، قال: أعجبني كثرة أعمامي يا مبارك. قال: والله إنك لمغيظي بجوابك. قال: من تكلم أجيب، ومن سكت سلم. قال: ويلك قم عني. قال: إن أعفيتني من معاتبتك قمت. قال: ما يزداد كلامك إلا غلظًا. قال: والله ما يقصر عن الجواب إلا أحمق. قال: اخسأ ويلك يا كلب. قال: الكلب لا يلد إلا كلب. قال: ليس شيء أحسن من السكوت عك. قال: إذًا لا تدعك كثرة فضولك. قال: قم فوالله ما أراك تصلح أبدًا. قال: فقام وهو يقول: وكيف يصلح من أنت أبوه.

قال الأصبهاني(١) وَأَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ عَلِيٍّ الرَّقَّامَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْحُسَيْنِ الدَّرَسْتِينِيَّ، يَقُولُ: ، سَمِعْتُ أَبَا

(١) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني (ص: ١٢٣٥).

حَاتِمٍ، يَقُولُ: قَالَ لِي أَبُو زُرْعَةَ: مَا رَأَيْتُ أَحْرَصَ عَلَىٰ طَلَبِ الْحَدِيثِ مِنْكَ يَا أَبَا حَاتِمٍ، فَقُلْتُ: إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ لَحَرِيصٌ، قَالَ: مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ، قَالَ الرَّقَّامُ: سَأَلْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ عَنِ اتْفَاقِ كَثْرَةِ السَّمَاعِ لَهُ وَسُؤَالَاتِهِ مِنْ أَبِيهِ فَقَالَ: رُبَّمَا كَانَ يَأْكُلُ وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَيَمْشِي وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَيَدْخُلُ الْخَلَاءَ وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَيَدْخُلُ الْبَيْتَ فِي طَلَبِ شَيْءٍ وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ: وَبَلَغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَسْأَلُ أَبَاهُ أَبَا حَاتِمٍ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ عَنْ أَشْيَاءٍ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ إِلَىٰ وَقْتِ ذَهَبَ لِسَانُهُ فَكَانَ يُشِيرُ إِلَيْهِ بِطَرَفِهِ نَعَمْ وَلَا. قَالَ: وَسَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ يَوْمًا يَقُولُ: لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ.

س ٥٣٢- ما أصل هذه المقولة (من أشبه أباه فما ظلم)؟

هو من قول رؤبة بن العجاج: أحد الرجاز المشهورين في الإسلام، عده ابن سلام في الطبقة التاسعة من الإسلاميين - يمدح به عدي بن حاتم الطائي وأصل البيت:

بأبه اقْتدىٰ عديٌّ فِي الْكَرم ... وَمن يشابه أبهُ فَمَا ظلم

رؤبة بن العجاج [١]- ١٤٥ هـ / - ٧٦٢ م: رؤبة بن عبد الله العجاج بن رؤبة التميمي السعدي أبو الجحّاف أَو أَبو محمد. راجز، من الفصحاء المشهورين، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية.

---

(١) معجم الشعراء العرب (ص: ١٢٨٦).

كان أكثر مقامه في البصرة، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكانوا يحتجون بشعره ويقولون بإمامته في اللغة، مات في البادية، وقد أسنّ.

وفي الوفيات: لما مات رؤبة قال الخليل: دفنا الشعر واللغة والفصاحة.

س ٥٣٣- اذكر مذاهب أمة الإجابة في الإيمان؟

القول الأول: قول الجهم بن صفوان وأتباعه من الجهمية هو الإيمان مجرد المعرفة فقط فكل من عرف الله تعالىٰ فهو مؤمن عندهم ويلزم من قولهم لا محالة أن إبليس وفرعون وأبا جهل مؤمنون وبطلان هذا القول أوضح من أن يوضح.

قال جهم ومن وافقه: إن الإيمان مجرد المعرفة، أنكر ذلك أئمة الإسلام، حتىٰ كَفَّرَ من قال بهذا القول وكيع بن الجراح وأحمد بن حنبل وغيرهما(١).

القول الثاني: قول محمد بن كرام وأتباعه من الكرامية هو أن الإيمان قول اللسان فقط وإن كان مع عدم تصديق القلب ويلزم من قولهم لا محالة أن المنافق مؤمنًا وهذا القول كسابقه في البطلان.

قال شيخ الإسلام(٢): «الْفِرْقَةُ الثَّانِيَةَ عَشَرَ» مِنْ الْمُرْجِئَةِ: الكَرَّامِيَة أَصْحَابُ مُحَمَّدِ بْنِ كَرَّامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْإِقْرَارُ وَالتَّصْدِيقُ بِاللِّسَانِ

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٢٧٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٥٤٨).

دُونَ الْقَلْبِ وَأَنْكَرُوا أَنْ تَكُونَ مَعْرِفَةُ الْقَلْبِ أَوْ شَيْءٌ غَيْرُ التَّصْدِيقِ بِاللِّسَانِ إيمَانًا.

القول الثالث: قول المرجئة هو أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإقرار والنطق باللسان وهذا القول أيضًا مثل الأقوال السابقة في البطلان واتفقت الأقوال الثلاثة علىٰ أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص وأن أهله فيه سواء وهذا علىٰ خلاف الأدلة من الكتاب والسنة وهو قول باطل.

قال شيخ الإسلام(١): وَصَارَت الْمُرْجِئَةُ عَلَىٰ «ثَلَاثَةِ أَقْوَالٍ» فَعُلَمَاؤُهُمْ وَأَئِمَّتُهُمْ أَحْسَنُهُمْ قَوْلًا؛ وَهُوَ أَنْ قَالُوا: الْإِيمَانُ تَصْدِيقُ الْقَلْبِ وَقَوْلُ اللِّسَانِ.

وَقال ابن القيم(٢): كُلُّ حَدِيثٍ فِيهِ أَنَّ الإِيمَان لا يَزِيدُ وَلا يَنْقُصُ فكذب مختلق. ا هـ.

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة علىٰ أن الإيمان يزيد وينقص، وما دخلته الزيادة دخله النقص، إذا خلا عن الزيادة قال تعالىٰ: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال:٢]، ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ [آل عمران:١٧٣].

(١) مجموع الفتاوىٰ (١٣/ ٥٥).
(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف = نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول (ص: ١١٩).

فالإيمان يزيد بالطاعة، فكل من كان لله أطوع كان إيمانه أكمل، والتصديق بالقلب يقوىٰ ويضعف.

القول الرابع: قول أهل السنة هو أن الإيمان قول باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح والثلاثة تدل بالمطابقة علىٰ الإيمان والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قال شيخ الإسلام(١): أقوال السلف وأئمة السنة في [تفسير الإيمان]، فتارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح. فإذا قالوا: قول وعمل؛ فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعًا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام، ونحو ذلك إذا أطلق.



๑◈๑

(١) الإيمان لابن تيمية (ص: ١٣٧).

الخاتمة

نسأل الله تعالىٰ أن يرزقنا وإخواننا في النسب والدين صحبة المنعم عليهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، فإن هؤلاء قد هدوا صراطًا مستقيمًا وحسن أولئك رفيقًا، وهم الموعودون في مثل قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الكهف:٣٠، ٣١]، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحج:٢٣-٢٤]، وبالله ثقتنا وعليه اعتمادنا ومن يتوكل علىٰ الله فهو حسبه، وبعد: فإلىٰ هنا ينتهي السؤال والجواب علىٰ التدمرية وهو جهد المقل، فأنا لا أدعي أنه هو كل ما تستحقه هذه الرسالة العظيمة، غير أنني أومن بأن ما لا يدرك كله لا يترك كله.

هذا وأنصح إخواني وطلابي من طلبة العلم أن يتقوىٰ الله ﷻ في السر والعلانية وأن يقوموا بأمر هذا الدين فإن لم يقوموا بهذا الأمر فلن يقوم به أعدائهم أعداء الإسلام فينبغي علىٰ كل مسلم فضلًا عن طالب علم أن يجالس أهل العلم ليتعلم أمور دينه ليكون قلبه معمور بالإيمان ويكون علىٰ الدوام مضطرًا إلىٰ الله مفتقرًا إليه مستعينًا به ليفيض عليه بعفوه وكرمه

وإحسانه ولا سبيل إلىٰ ذلك إلا بالعلم عن الله بمعرفته سبحانه ومعرفة ما شرع فمعرفته تضيء القلوب وتدفعه إلىٰ الصبر علىٰ شرعه المبين بالوحيين الكامل التام ،وهذا هو الطريق الذىٰ سلكه صحابة نبينا ﷺ لذلك تدعو كل يوم في صلاتك فريضةً ونفلًا ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]،

فبناء علىٰ هذه المعرفة يتأتىٰ أهمية علم العقيدة، فمن معناها تأتي تلك الأهمية وهي: عقد القلب علىٰ الايمان بقضية معينة إيمانـًا جازمـًا لا يقبل الشك مع الثبات عليه حتىٰ الممات.

فنتيجة لذلك يكون الإيمان راسخـًا مضيئـًا في قلب المسلم مهما حل به ووقع فيه يكون مثل الجبل ثابتـًا بحول الله وقوته.

هذا والحمد لله رب العالمين، وفـي هـذا القـدر الكفايـة، فأكف لسان القلم عن إظهار أمثال هذا الأمر، وأقول متضرعًا وداعيًا ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨].

وما ذكرناه في هذه الأجوبة الندية علىٰ الرسالة التدمرية من صواب فمن الله وهو المنان به، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه، والله عنده لسان كل قائل وقصده، والله أعلم.

وصلىٰ الله علىٰ خير خلقه محمد وآله وأصحابه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٭٭٭

الفهرس

مُقَدِّمةُ الشَّارِح ٤
التعريف بالمؤلف رحمه الله.. ١٣
فصل مقدمة المؤلف رحمه الله وما تضمنته من فوائد........................ ١٥
فصل الأصل الأول: توحيد الصفات................................ ٤٤
فصل الأصول والأمثلة والقواعد لبيان مذهب السلف ومناقشة مخالفيهم
الأصل الأول القول في بعض الصفات كالقول في بعض ٥٢
فصل تعريفات لا بد منها.. ٩٧
فصل الأصل الثاني: القول في الصفات كالقول في الذات............... ١٠٤
فصل المثلان المضروبان [المثل الأول: الجنة]........................ ١١٣
فصل المعتقد الصحيح في الغيبيات ١١٦
فصل [المثل الثاني: الروح].. ١٢٣
فصل الخاتمة الجامعة وما فيها من قواعد نافعة ١٢٩
فصل [القاعدة الأولىٰ: صفات الله سبحانه إثبات ونفي] ١٣٠
فصل [القاعدة الثانية].. ١٤٥
فصل [القاعدة الثالثة: القول بأن ظاهر نصوص الصفات مراد أو ليس بمراد
يحتاج إلىٰ تفصيل]... ١٥٥
فصل [القاعدة الرابعة: المحاذير التي يقع فيها من يتوهم أن مدلول نصوص
الصفات هو التمثيل] ١٩٥
فصل [القاعدة الخامسة: نعلم ما أُخبرنا به من وجه دون وجه] ٢٠٩

فصل [القاعدة السادسة: بيان الضابط الذي تُعرف به الطرق الصحيحة والباطلة في النفي والإثبات]..٢٣٨
فصل [القاعدة السابعة: دلالة العقل علىٰ كثير مما دل عليه السمع] ٢٥٤
فصل [الأصل الثاني: توحيد العبادة الواجب في شرع الله وقدره اعتقادًا]٢٧١
الخاتمة..٤٥٤
الفهرس ٤٥٦

٭٭٭